العوامل النفسية وأثرها
في بناء الشخصية الإسلامية
في القرآن الكريم دراسة موضوعية

العوامل النفسية
وأثرها في بناء الشخصية الإسلامية
في القرآن الكريم دراسة موضوعية

الدكتور

عثمان فوزي علي العبيدي

الطبعة الأولى

2014 م -1435 هـ

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاَهَا* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا
وَتَقْوَاهَا* قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا*وَقَدْ خَابَ مَنْ
دَسَّاهَا ﴾

صدق اللّٰه العظيم

سورة الشمس ـ الآيات 7ـ 10

الفهرس

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

إن الانسان اذا فكر في نفسه، رآها مدبرة، وعلى أحوال شتى مصرّفة، كان نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم لحماً وعظماً، فيعلم أنه لم ينقل نفسه من حال النقص الى حال الكمال، لأنه لا يقدر ان يحدث لنفسه في الحال الأفضل، التي هي حال كمال عقله، وبلوغ رشده عضواً من الاعضاء، ولا يمكنه ان يزيد في جوارحه جارحة، فيدله ذلك على انه في حال نقصه وأوان ضعفه على فعل ذلك اعجز وكل ذلك يدل على ان صانعه حيّ، عالم، قادر، سميع، بصير، متكلم[1].

فإن أول ما يلفت انتباه الإنسان أن جميع الحاجات التي ركبت فيه يوجد في البيئة ما يقوم بتلبيتها، فالأرض أعدت سلفا لحياته، ففيها طعامه وماؤه ولباسه وسكنه، فالدوافع هي التي تدفعه لأخذ كفايته من هذه الحاجات، وإعادة التوازن إلى جسمه إذا تعرض للخلل، هذا التوازن يسري في خلق الله عز وجل، توازن ثابت كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ .[2]

وللدوافع وظائف ضرورية وهامة للكائن الحي، فهي تشبع حاجاته الأساسية التي تولد معه، لضمان بقائه فرداً ونوعاً فتحفظ ذاته وجنسه ونوعه، وتلك التي نسميها الدوافع الفطرية، ونتيجة تأثر الإنسان ببيئته يكتسب خبرات ومعارف يتعلمها من خلال الحياة الاجتماعية التي فطر عليها وألفها أو تعلمها، وهي الدوافع المكتسبة، ومنها دافع التملك والتنافس والتدين وغيرها، ومع ان القرآن الكريم كان موضوعه الإنسان، بكل جزئياته كأساس في تحقيق منهج الأستخلاف، فإن الاهتمام بالعامل النفسي كان له الأثر الواضح في المنهج القرآني الذي ملأ ذهن الإنسان وتفكيره بالكثير من الآمال المدعمة بالصور الحسية، ولا سيما في مرحلة الانتقال من مرحلة إلى أخرى بدءاً من المولد، مروراً بالوفاة التي عبر عنها بالانتقال من الدنيا إلى عالم البرزخ، ثم الانتقال إلى الحياة الآخرة، وما يرافقها من جنة ونعيم، أو نار وجحيم.

إن طاعة الله عز وجل هي سر المعركة ومحورها في الحياة الدنيا التي ولد الإنسان فيها، وقد كفل الله عز وجل له كل ما يصلحه بهذا المنهج، الذي كانت الطاعة

---

(1) ينظر الاعتقاد والهداية الى سبيل الرشاد، البيهقي الشافعي: 43، تحقيق احمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة، ط1، 1401هـ- 1981م.

(2) سورة الملك الآية: 3.

أولى خطواته، أما ما يترتب على تلك الطاعة سلباً أو إيجاباً، فان الله عز وجل قد اختص به وأعفى الإنسان حتى من مسؤولية النظر فيها، وبذلك حقق نوعاً من الطمأنينة النفسية، التي إذا بلغت درجتها القصوى تحولت إلى الرضى والراحة التامة، وهذه مرحلة متقدمة من الدوافع التي تحفز الإنسان على العمل والتعليم، الذي لابد ان يكون مظنة التغيير نحو الأفضل، وهو بلا شك مقدمة لسنة ثابتة لا تتغير، من سنن الله الاجتماعية، التي عبر عنها القران الكريم بقوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾.[1]

كما يكون للعامل النفسي أثر على الفرد، فإن أثرهُ على الأسرة يكون واضحاً ويكون اشد وضوحٍ على المجتمع وتنظيماته، ومنها الدولة؛ فتوافق سلوك الفرد نظرياً وعملياً، يبعث في نفسه الطمأنينة، سواء في حالتي الغضب والرضا، وبذلك يتخلص من حالات السخط واليأس والحزن والغم، ويكون لجوؤه إلى الله تعالى من خلال الاستغفار والتوبة، وترك المعاصي، والعمل الصالح المقترن بالرجاء والأمل في السعي إلى التغيير المطلوب، أملا في تغيير الله عز وجل الثابت المقترن بالتغيير الإنساني الذي يؤكد على تغيير ما في النفس.

وما يقال على الفرد يصح على المجتمع سواء كان أسرياً أم بمعناه الواسع إذ ليس المجتمع إلا مجموعة الأسر، وما الأسرة سوى عدد من الإفراد تربطهم عدة علاقات، ومصالح متنوعة، دعا القرآن الكريم إلى أقامتها على أساس من الحق والعدل والإحسان وأحاطها بسياج من البر والحب والمواساة. وبقدر ما تكون اللبنات متماسكة وقوية، يكون المجتمع عصياً ومنيعاً على كل القوى التي يمكن أن تؤثر فيه أو تزعزعه، ولهذا نجد القرآن الكريم يؤكد على بناء الفرد والأسرة، ويخصص الكثير من مفردات القران الكريم لهذا الجانب، حتى اعد مجتمعاً في جيل العز والنصرة والتمكين وصفهم رسول الله ﷺ بأنهم كالبنيان يشد بعضه بعضاً.

فعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: ﴿إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك أصابعه﴾ [2]، وكالجسد الواحد كما في حديث الرسول ﷺ ﴿مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى﴾ [3]، ويعبر القرآن الكريم بصورة حسية عن هذا الجانب بقوله

---

(1) سورة الرعد الآية :11.

(2) صحيح البخاري : 21/2، كتاب الصلاة باب تشبيك الأصابع بالمسجد وغيره.

(3) صحيح مسلم : 4/1999-2000، كتاب البر والصلة والآداب باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.

تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾.[1] فحتى لا يتردى علم النفس في هاوية الكلام النظري، فلابد ان يتفاعل مع المشاكل الواقعية للفرد والمجتمع، فإذا كان علماء النفس في الغرب يقولون : لا توجد نظرية تكتسح ساحة علم النفس الا بوساطة الدكتاتورية، فإن المجال مفتوح لتعدد المرجعيات والوجهات العامة التي تقود الأبحاث النفسية والإجتماعية، فلماذا لا يعرض علماء النفس المسلمون مكتسباتهم العلمية على مرجعيتهم الإسلامية؟ وما دامت سوق المنافسة العلمية مفتوحة فلماذا يرضى عالم النفس المسلم أن يكون سجينا لمرجعيات ووجهات وفدت عليه من خارج بيئته وثقافته؟ وقدمت له باسم عالمية المعرفة وموضوعية العلم.

ولعل السبب من اختيار هذا الموضوع يكمن في أن القرآن الكريم، أتى بعلم نفس قرآني ويجب أن نأصل هذه العلوم النفسية على أساس قرآني ولهذا كان الدافع لاختياري لهذا الموضوع الذي كان بعنوان (العوامل النفسية وأثرها في بناء الشخصية الإسلامية في القرآن الكريم).

أما المنهجية التي سلكتها في أطروحتي فكانت بتقسيم الأطروحة على أربعة فصول وقمت بجمع الآيات القرآنية وتفسيرها ومن ثم توزيعها على المباحث والمطالب والذي اقتضت خطة الكتاب فيه أن تقسم الأطروحة إلى أربعة فصول:-

الفصل الاول، مفهوم العامل النفسي وقسمته على ستة مباحث تناولت في مبحثه الأول تعريف العامل النفسي في اللغة والاصطلاح وبما ان موضوع العوامل النفسية موضوع طويل يتضمن الانفعالات، والاتجاهات والميول، والدوافع، فكان التعريف للدافع تعريفا أساسياً لوقوع اختياري على الدوافع لدراستها.

وتناولت في مبحثه الثاني الشخصية الإنسانية وحقيقتها. أما في مبحثه الثالث فكان عن دوافع السلوك في القرآن الكريم، يتضمن الدوافع الفطرية، والدوافع الثانوية وتكلمت في المبحث الرابع على حديث القرآن الكريم عن العوامل النفسية، وعرجت في مبحثه الخامس، على صياغة العامل النفسي للشخصية، وختمت الفصل بمبحثه السادس، وكان عن ضرورة تكيف الإنسان مع بيئته الإجتماعية، لأنه يمثل ضرورة للعامل النفسي.

---

(1) سورة الفتح الآية : 29.

ويأتي الفصل الثاني من هذا، الذي تناولت فيه بعض الإشارات القرآنية لدور الدوافع النفسية، وقسمته على خمسة مباحث، تناول الأول إنزال السكينة في قلوب المؤمنين في غزوة بدر، فالسكينة النفسية والطمأنينة في هذه الغزوة كان لها الإثر في قلوب المؤمنين. أما في مبحثه الثاني فكان عن الثلاثة الذين خلفوا، وكيف شدد الرسول ﷺ عليهم حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، لأن التخلف عن الركب له أثرهُ السيء في النفس. أما في مبحثه الثالث فتكلمت فيه على حادثة الإفك التي إذا تمعن فيها المؤمن جلياً، يرى الأمور من جانب واسع، لأن هذه الحادثة تعد من أشد الحوادث ألماً في حياة الرسول ﷺ ويأتي المبحث الرابع وما كان من موسى عليه السلام والسحرة، وكيف أن موسى عليه السلام وقف في وجه الكفر والطغيان من أجل إعلاء كلمة الله عز وجل؟ويأتي المبحث الخامس وكان عن سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ، وكيف كان أسلوب الحوار والمناقشة في كسب الناس إلى الإسلام وذلك بما يحمل سليمان عليه السلام من القوة والسداد في القول والرأي والتثبت في الأمور والموضوعية.

أما الفصل الثالث فعرجت فيه على بيان أثر العوامل النفسية وقسمته على ثلاثة مباحث: كان الأول أثر الدوافع النفسية على الفرد والمجتمع، بناء الفرد يشكل المحور الرئيس لبناء المجتمع، وذلك بتحفيز الدافع بنفسه، وانتشاله من القلق والاضطراب. أما مبحثه الثاني فكان عن أثرها على الأسرة، لان المجتمع هو مجموع الأسرة فإذا كانت هذه الأسرة قوية متماسكة البناء، كان المجتمع بخير وسلام ويأتي المبحث الثالث لبيان أثر هذه الدوافع على الدولة، ومدى التوافق في السلوك في إقامة العدل ونشر الأمن في ثنايا المجتمع.

ويأتي الفصل الرابع: وكان عن البناء النفسي في القرآن الكريم وقسمته على ستة مباحث.

فكان الأول عن الإيمان بعقيدة التوحيد، وكيف لها الأثر في بناء النفس لأن الإيمان بهذه العقيدة يبعث الطمأنينة في النفس. أما مبحثه الثاني فكان عن الإيمان والشعور بالأمن، لأن الإيمان يحقق الأمان والاستقرار. أما مبحثه الثالث فكان عن الإيمان بالانتماء إلى الجماعة، لأن طبيعة النفس تحب الاجتماع وذلك لأن المؤمن كثير بأخيه. ويأتي المبحث الرابع الذي تكلمت فيه على العبادات التي هي أساس انشراح النفس، لما في الصلاة والصوم والحج والزكاة من إشراقات وفيوضات تعود على النفس بالراحة والطمأنينة. أما مبحثه الخامس، فكان في حساب النفس واليقظة الدائمة من خلال الصبر وذكر الله عز وجل، والتوبة، والاستغفار؛ فكل هذه محطات يتزود منها المؤمن وقوده، ليكون دائماً مع الله عز وجل والذي يكون مع الله عز وجل فلا يتسرب إلى قلبه القلق والفوضى.

أما مبحثه السادس فكان عن البناء الموضوعي للذات من خلال معرفة حدود الذات، والتثبت، ونبذ الآبائية، وأنصاف الناس وعدم هضم حقوقهم، وهذه كلها إشارات يجب على المؤمن أن يتوقف عندها، لكي يكون ذا شخصية متزنة تنظر إلى الأمور بدقة وموضوعية.

ثم خاتمة الكتاب وقائمة بمصادره ومراجعه.

وقد تنوعت المصادر والمراجع التي نهلت منها وتعددت موضوعاتها بسبب طبيعة الكتاب منها كتب علم النفس ومعاجم اللغة والسيرة النبوية، فضلا على اعتمادي

وقد واجهتني بعض الصعوبات الناجمة عن ظروف واقعية منها، ضيق الوقت والوضع الراهن الذي يعيشهُ العراق من احتلال الأعداء وتكالبهم عليه.

هذا جهدي فإن بلغت الصواب فهذا أملي، وان جانبت الصواب فهو من نفسي والشيطان.

عسى الله عز وجل أن يعيننا على التغيير فيغير حالنا الى أحسن حال، وهو مولانا إنه نعم المولى، ونعم النصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على عبده ونبيه محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفصل الأول

مفهوم العامل النفسي والدافع ومظانهما وفيه ستة

المبحث الأول

تعريف العامل النفسي في اللغة والاصطلاح

يعرف في اللغة بأنه: هو الذي يتولَّى أُمور الرجل في ماله ومِلْكِهِ وعمَلِه، ومنه قيل للذي يَسْتَخْرِج الزكاة: عامِل. والعَمَل: المِهْنة والفِعْل، والجمع أعمال، عَمِلَ عَمَلاً واعْمَلَه غَيرهُ واسْتَعْمَله، واعْتَمَل الرجلُ: عَمِلَ بنفسه. إذاً العامل في اللغة: هو أمر ينتهي بنتيجة[1].

وعرف في الاصطلاح بأنه:

1- الكيفية التي تجري بها إشباع الحاجات والغرائز؛ أو هو الكيفية التي تربط دوافع الاشباع بالمفاهيم[2].

2- وبأنه التغييرات التي تطرأ على حالة الفرد؛ وتعيد استقراره النفسي والعاطفي، ويؤثر على تفكيره وسلوكه[3].

3- هو عنصر مشترك بأبواب وعمليات عقلية معينة تقود الفرد إلى توازن السلوك واستقراره[4].

4- وعرف بأنه كل ما يؤدي إلى نتيجة؛ أو حدث تاريخي أو هو أحد الظروف التي تحدث مجتمعة في واقعة ما. أو أحد التكوينات التي ينتهي إليها التحليل العاملي لمجموعة من الارتباطات.

يمكن من خلال ما تقدم أن نعرف العامل بوجهه العام بأنه: ما يؤدي إلى نتيجة مرتبطة بعدة عوامل[5].

يمكن ان نعرف العامل النفسي بأنه:

قوة أو حالة أو ظرف يؤدي بمفرده أو بالتعاون مع غيره إلى إحداث نتيجة معينة.

وهذا التعريف على حسب ما أراه يشترك مع الدافع في جانبين:

أ- كونه بمفرده فتكون حالة داخلية.

---

(1) ينظر لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري: 886/2، مادة (عمل)، دار صادر- بيروت.

(2) ينظر تحليل السلوك التنظيمي، د. موسى المدهون د. إبراهيم الجزراوي: 127، دار الملايين.

(3) ينظر الاضطرابات النفسية عند الأم د. زهير المختار: 61 مجلة الهلال الأحمر العراقي العدد 418 لسنة 1990.

(4) ينظر ذخيرة علوم النفس د. كمال دسوقي 531/1 دار القلم.

(5) ينظر الصحاح في اللغة والعلوم 159/2 تجديد العلامة الجوهري- الحضارة العربية- بيروت.

ب- أو مجموعة كأن يكون مؤثراً خارجياً.

ونظراً إلى أن موضوع العوامل النفسية موضوع يتضمن عدة عوامل منها الانفعالات، والاتجاهات والميول والدوافع، وقد تكون هناك عوامل نفسية غير مباشرة، ونظراً لطول هذه المواضيع، فقد اقتصرت على الدوافع.

وقد عُرِّف الدافع في اللغة بأنه:

1- عرَّفه صاحب اللسان بقوله: هو الاندفاع والمضي في الأمر، وذلك يكون بما يتأثر به الفرد من خلال تأثر سلوكه بهذا الدافع، ويمضي في الأمر(1).

2- وعرَّفه أبو الحسين أحمد بن فارس بأنه: مِن دفعتُ الشيء أدفعه دفعاً، ودافع الله عنه السوء دفاعاً. فالذي يتضح لنا من قوله: دفعت الشيء أدفعه دفعاً، أي التأثير المتغير نحو تحقيق التوازن لدى الفرد(2).

3- وعرفه صاحب الصحاح بأنه: دفعتُ إلى فلان شيئاً، ودفعتُ الرجل فاندفع واندفع الفرس، أي: أسرع في سيره، وكله يصب في عملية الدافع(3).

4- وجاء تعريف صاحب التاج، ليقرر بأن الدافع مأخوذ من دفعه ودفع الشيء إليه ودفع عنه الأذى والشر. وتعريف صاحب التاج، يوجه الدافع نحو التوازن بدرء الأذى والشر عن الفرد(4).

5- وعرَّفه د. جابر عبد الحمد جابر في معجمه بأنه نوع من الحاجات تؤثر في الفرد بحيث يشجع جميع أعضاء جماعته على السلوك التعاوني، وليس على السلوك التنافسي والفردي(5).

أما الدافع النفسي في الإصطلاح فهو:

1- يعرف: الدافع بأنه مثير قوي يدفع الإنسان إلى أن يسلك صورة ما، حتى تخف حدة هذا المثير أو يستبعد كلياً. والدوافع تعمل داخلياً، إلا أنها تعمل متعاونة مع مثيرات خارجية في إثارة النشاط وتوجيهه نحو الهدف الذي يريد تحقيقه(6).

---

(1) ينظر لسان العرب: 89/8، مادة (دفع).

(2) ينظر معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: 288/2-289، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، ط3، مكتبة الخانجي، 1402هـ- 1981م.

(3) ينظر الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري: 1208/3، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط3، 1404هـ- 1984م.

(4) ينظر تاج العروس من جواهر القاموس،للسيد محمد مرتضى الزبيدي: 553/20، تحقيق: عبدالكريم العزباوي.

(5) ينظر معجم علم النفس والطب النفسي: 761/2، إعداد د. جابر عبد الحمد جابر ود. علاء الدين كنعاني، دار النهضة العربية، القاهرة، 1989.

(6) ينظر علم النفس المعاصر: د. حلمي المليجي: 85، دار المعرفة، ط5، 1983.

2- ويعرف: بأنه حالة نفسية ذاتية تحرك الفرد وتوجهه إلى تحقيق شيء ما؛ فالدافعية طاقة كامنة مركبة تثير نوعاً من التوتر الانفعالي الذي لا يبدأ إلا بعد الإشباع. فالدافع سلوك يصدره الإنسان[1].

3- ويعرَّف: بأنه فعالية عضوية داخلية، أو حالة من التكوين المهيئ، للتنبيه المؤدي إلى ضرب معين من السلوك[2].

4- حالة داخلية جسمية أو نفسية تثير السلوك في ظروف معينة، وتواصله حتى ينتهي إلى غاية معينة، ويكون فيه التعبير عن الدوافع الاجتماعية في تحقيق أهداف الفرد والجماعة[3].

5- عرف بأنه حالة جسمية ونفسية داخلية، تؤدي إلى توجيه الكائن الحي، تجاه أهداف معينة، ومن شأنه أن يؤدي استجابة محددة من بين عدة استجابات يمكن أن تقابل مثيراً محدداً[4].

6- (والدافع هو الحاجة التي تبعث النية، فالنية جزء من السلوك، أو هي السلوك والدافع هو الحاجة التي أثارت تلك النية ودفعت إلى التفكير في ذلك العمل والاتجاهات إلى فعله)[5].

فيمكن أن نعرف الدافع النفسي من خلال ما تبين من التعاريف اللغوية والاصطلاحية: بأنه حالة من المضي والتقدم بالسلوك، لوجود مجموعة من الحاجات تجعل الفرد يتوجه نحو تحقيق غاية معينة وأعادة التوازن المختل.

ان الدوافع تعتبر مرشداً للمسلم لكي يحيا بحياة سعيدة، تكمن في توجيه المبادئ الأخلاقية وتأثيرها على الحياة النفسية، ويمكن أن نوجزها بما يلي:

1- يحث الإسلام الرجل والمرأة على اختيار الزوج المناسب، وفي ذلك دافع إلى أن يكون الأولاد صالحين، ويتأثر سلوكهم بصلاح الأم والأب اذن تحقق لنا ان الدافع يثير السلوك ويوجه نحو غايته.

---

(1) ينظر في سبيل موسوعة نفسية (السلوك): مصطفى غالب: 73، دار مكتبة هلال، 1998م، المرشد في علم النفس الاجتماعي، د. عبد الحميد محمد الهاشمي: 33، دار الشروق، ط2، 1409هـ، مدخل إلى علم النفس: 298، د. أحمد فايق ود. محمد عبد القادر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1972.

(2) ينظر علم النفس وتطبيقاته التربوية والاجتماعية، د. عبد العلي الجسماني: 33، مط الخلود، 1404هـ- 1984م.

(3) ينظر أصول علم النفس، د. أحمد عزت راجح: 73، دار العلم- بيروت.

(4) ينظر علم النفس الاجتماعي، د. حامد عبد السلام زهران: 101، دار الكتب، القاهرة، ط5، 1984م.

(5) التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، البحث في النفس الإنسانية والمنظور الإسلامي، 493 د. د. محمد عز الدين توفيق. دار السلام. ط2، 1424- 2002م.

2- يوصي الإسلام الشباب بالزواج المبكر عندما يصل إلى سن النضج النفسي ويقول الرسول ﷺ ﴿يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء... الحديث﴾ [1] لأن الزواج المبكر دافع إلى عدم ارتكاب المعاصي والذنوب.

3- كما يوصي الإسلام بقيام الأسرة المستقرة المتعاونة ولا تشجع على الطلاق، وهي بهذا تحمي الطفل من الاكتئاب والقلق اللذين ينتجان عن الفراق، فيندفع إلى الطمأنينة والاستقرار النفسي.

4- كما يوصي الإسلام بالاستيقاظ المبكر الذي يشجع الفرد أن يبدأ عمله مبكراً، وان ينهيه مبكراً، وكذلك فان مركز الفرد مع الجماعة يشجعه على احترام أخلاقيات الجماعة وقيمها.

5- كما يشكل اللقاءات الجماعية في المسجد الدافع الكبير في حل المشكلات الاجتماعية، فهم يجدون المشورة الجيدة ويجدون النماذج الطيبة التي يشبعونها، وذلك ان القرآن لا يعالج الأمور العبادية فقط ولكنه يضمن القواعد التي تحكم حياة الفرد والمجتمع اقتصادياً وتشريعياً.

6- ويعتبر الدافع الكبير في هذا المجتمع أن الحياة في ظل الإسلام بكونه دين كامل، هو الدافع المعنوي الكبير الذي يشعر به الفرد بالراحة النفسية والطمأنينة التي توجه سلوكه نحو الغاية المقصودة في العيش في سلام وأمان.

---

(1) صحيح البخاري 3/7 كتاب النكاح باب قول النبي ﷺ من استطاع منكم الباءة فليتزوج.

المبحث الثاني

مفهوم الشخصية الإسلامية وحقيقتها؟

الشخصية الإسلامية: مجموعة مكونات متعلقة بالإنسان من خلال تفاعل الإنسان مع بيئتهِ، والعلماء المسلمون يريدون بالشخصية: الذات الواعية لكيانها المستقلة في إرادتها، وهي بذلك تعبر عن وحدة الذات بما فيها من وجدان وفكر وإرادة وحرية واختيار[1].

وهناك من ينظر للشخصية الإسلامية بأنها في حركة دائمة ولا يمكن ان يكون الإنسان موضعا للتعريف، لان الامكانيات والمعطيات الإنسانية لأي شخص لا يمكنها أن تركز في حاضره، ولكن التعريف يتناول الشخصية والشخصية في غنى عن كل تعريف لكونها صيرورة دائمية[2].

(ومع اختلاف هذه النظرات للشخصية، فإنها تتلخص في جملة الصفات الجسمية والعقلية والروحية مضافا لها الاجتماعية والخلقية التي تميز الشخص من غيره تميزاً واضحا)[3].

فكلمة (ذات) بالنسبة للكائن البشري هي صورته كما يراها هو لنفسه في مرآته، بل هي طريقته الخاصة في السلوك والتفاعل مع الآخرين، ثم إن تنظيم الذات في كل ما يتصل بها من دوافع واتجاهات وسمات داخلية وخارجية، وادراكية وانفعالية يندرج في مفهوم الشخصية الذي هو أشمل وأعم من الذات[4].

أما لفظة الإنسانية فقد امتازت بها الشخصية في القرآن الكريم بإنسانيتها فالإنسان في نظر الإسلام (إنسان) عريق الإنسانية منذ نشأته، علوي، رفيع، بنفخة الله فيه من روحه وهذه النفخة الإلهية في الإنسان تهتدي دائما إلى منشئها[5].

والشخصية الإسلامية تنطلق من شهادة (لا اله إلاّ الله محمد رسول الله)، وهي التغيير الظاهري الذي يدخل الإنسان به الإسلام، ألا أن تلك الشهادة الظاهرية مع ضرورتها فهي لا تكفي، أمام الله تعالى، فالمؤمن الذي يريد أن يحقق الشخصية يجب

---

(1) ينظر الإنسان من هو؟ قاسم حسين صالح: 226 مط التعليم العالي بغداد- 1987م.
(2) ينظر من الكائن إلى الشخص، د. محمد عزيز الحبابي: 150، دار المعارف- بمصر، 1996م.
(3) الإسلام وقضايا علم النفس الحديث، د. نبيل محمد توفيق: 174، دار الشروق جدة، 1980م.
(4) ينظر الشخصانية الإسلامية، د. محمد عزيز الحبابي: 14، ط1، دار المعارف بمصر، ط1، 1969. والمرشد في علم النفس الاجتماعي: 148.
(5) ينظر معركة التقاليد، محمد قطب: 132 دار الشروق- بيروت- 1983.

أن يتمثل بهذا الاعتقاد الإيماني المركز الذي يجمع بين الظاهر والباطن، ويملأ كينونته ويجعله قادراً على التواصل الدائم مع الله الخالق، ومع مخلوقاته جميعا بوساطة نشدان الحق والخير والصلاح في إطار ضوابط الشريعة الإسلامية الشاملة.

أذن فالشخصية المسلمة تعني الكائن المسلم، وما حوله من شعور ووعي وثقافة وروح اجتماعية وإنسانية نابعة من منهجية الإسلام في شؤون الكون وخالقهِ والمجتمع والإنسان[1].

لذا يجب ضبط حياة الفرد وتنمية ضميره وصياغة شخصيته، لكي تسهم في تحقيق تماسك الجماعة وتحقيق التكامل الإجتماعي على مستوى الجميع كله، لما تحققه من الشعور بالترابط والتقارب والألفة والقوة بين أبناء العقيدة الواحدة نتيجة لوحدة المنطلق ووحدة الهدف[2].

وهذه الشخصية تميزت بعدة خواص منها: إنها ذات طبيعة قابلة للإرتقاء الجسدي والروحي معا، وقابلة للنزول إلى اسفل سافلين، لذا فأننا لو ربينا السمع والبصر والفؤاد تربية سليمة صحيحة على وفق منهج الله عز وجل نكون قد أزحنا الحواجز والعقبات التي تعوق الروح عن الانطلاق بالنفس الإنسانية نحو الخير والحق.

وبذلك يفسح المجال للروح من أجل السمو الإنساني الذي يتحقق بأداء الإنسان لوظيفته التي خلق لها، على أكمل وجه[3].

في حين إننا لو أهملنا ذلك نكون قد أهملنا قدرات وإمكانيات هائلة أعطاها الله لنا وسلمنا قيادتها، وحينئذ نعيش كالمخلوقات الأخرى، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾.[4]

فالله تعالى عندما خلق فينا هذه الصفة وقال: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨﴾.[5] جعلنا على خط شروع واحد في السباق إلى القمة قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ

---

(1) ينظر قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، الأستاذ الدكتور محسن عبد الحميد: 117، ط1، 1422هـ- 2001م.
(2) ينظر بناء المجتمع الإسلامي ونظمه دراسة في علم الاجتماع الإسلامي، د. نبيل محمد السمالوطي دار الشروق- جدة 1408هـ- 1988م.
(3) ينظر منهج التربية الإسلامية، أصوله وتطبيقاته د. علي أحمد مدكور، مكتبة الفلاح- الكويت، ط1. ينظر منهج التربية الإسلامية محمد قطب: 36/1 ط3- دار الكتاب الإسلامي.
(4) سورة الأعراف الآية: 179.
(5) سورة الشمس الآيات: 7-8.

عَيۡنَيۡنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ ﴾ (1).

لذا لم نجد منهجا أخذ الإنسان بالتفصيل الشمولي غير القرآن الكريم إذ جاءت نظرة الإسلام في تكاملها وتناسقها، وشمولها لكل جوانب النفس وكل جوانب الحياة، غير مسبوقة من الوجهة التاريخية حتى اليوم بعد كل ما ظهر من نظريات تتفرد وحدها بالشمول والعمق والاتزان[2].

وتمتاز الشخصية الإنسانية بالقدرة على التفكير وعلى الحركة تقف خلفها دوافع تنبع من حاجات إنسانية أساسية مردها إلى مقومات الشخصية الإنسانية.

ودوافع الشخصية الإنسانية متشعبة ومتعددة، فإذا أردنا أن نصوغ الشخصية الإسلامية، فإن الأمر يحتاج إلى التركيز على العقل والنفس الجسم والخلق والاعتقاد، فيكون الأمر بتوجيه العقل نحو تفكير سليم، والنفس نحو اطمئنان وإيمان، والجسم نحو صحة نفسية، والخلق نحو التوجيه الإسلامي، والاعتقاد بانسجام هذا الكون مع الحياة، كل هذا من ملامح الشخصية المتزنة[3].

وإذا لم تسطع الشخصية الإنسانية أن تعبر عن دوافعها بصورة متصلة، فإن ذلك يؤدي إلى اهتزاز صحتها أو اضطرابها. إذ يؤدي التوتر الداخلي إلى إثارة السلوك عند الشخصية الإنسانية بل استمرار هذا السلوك إلى أن يخف ذلك التوتر أو يزول فتستعيد بذلك الشخصية الإنسانية توازنها[4].

إذاً غاية السلوك هنا إرضاء الدافع الذي أخل بالتوازن عن طريق إزالة التوتر، من هنا نقيم التوجيه النبوي الرائع الذي يقرر هذا المعنى في الحديث عنه ﷺ (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) [5].

فالحركة في الشخصية يمكن أن نسميها (سلوكاً) والتفكير يكون من أجل إرضاء النية ؛ فالنيات (دوافع) والحركة سلوك أو تفكر (أعمال) [6].

---

(1) سورة البلد الآيات: 8-12.

(2) ينظر الإنسان بين المادية والإسلام، 157- مط عيسى الحلبي وأولاده، ط3 ينظر الموسوعة في سماحة الإسلام، محمد الصادق عرجون، مطابع سجل العرب- مصر- 1972م.

(3) ينظر أصول علم النفس 12، والقرآن وعلم النفس 23، الإسلام وقضايا علم النفس للحديث 9، العلاقات الإنسانية، د. سعيد عبد الحميد مرسي 110، القاهرة، ط1، 1985م.

(4)ينظر أصول علم النفس 12، و القرآن وعلم النفس 23، الإسلام وقضايا علم النفس للحديث 9، العلاقات الإنسانية، 110.

(5) صحيح البخاري: 3/1 كتاب بدء والوحي، باب كيفية كان بدء الوحي إلى الرسول ﷺ.

(6) ينظر الشخصية الإنسانية في القرآن الكريم دراسة موضوعية بلاغية، د. سعيد خضر، 57 رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب بأشراف، د: محسن عبد الحميد سنة 1424هـ-2004 م.

وحب الله هو مفتاح الشخصية، وهذا يستتبع حب الرسل جميعا، وما حملوه من رسائل هداية وحب خاتم الرسل الذي جاء بالرسالة الجامعة.

وعندما يفكر الناس في الشخصية، فانهم يرونها عادة باعتبارها التأثير الذي يحدثه الفرد للآخرين، أو يرونها باعتبارها الانطباعات التي يتركها الفرد على الآخرين كأن يروه مثلا شخصاً عدوانيا أو شخصا مسالماً. أما علماء النفس فإنهم حينما يدرسون الشخصية فانهم ينظرون إليها باعتبارها الأبنية والعمليات النفسية الثابتة التي تنظم خبرات الفرد وتشكل أفعاله واستجاباته للبيئة التي يعيش فيها، والتي تميزه من غيره من الناس [1].

فصاحب الشخصية السليمة هو الذي يتمتع برزانة العقل و بأنه سعيد بما قسم الله له، وهو يتمتع بنشاط كافٍ، واستغلال كامل لقابلياته [2].

ولا يستند مفهوم الشخصية أساسا على الأنماط السلوكية الملاحظة بل على التكوينات غير الملاحظة، أو كما تسمى (التكوينات الفرضية) وهذه التكوينات نحاول أن نستنتجها من السلوك الذي يخضع للملاحظة والضبط [3].

فالشخصية: (مجموعة من الصفات التي تميز الشخص عن غيره) [4].

والشخصية السوية في الإسلام هي التي توازن بين البدن والروح، وتشبع فيها حاجات كل من البدن والروح.

ولعل التنبيه القرآني في قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [5].

يعد دليلا واضحا على ضرورة يقظة المسلم المؤمن لكل ما يصدر عنه من أقوال وأفعال، فتكون كلها خالصة لوجه الله الكريم حتى تتفق مع قوله تعالى في حسن السير والسلوك ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾،[6] وكذلك قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [7].

---

(1) ينظر القرآن وعلم النفس: 199.
(2) ينظر النفس انفعالاتها وأمراضها وعلاجها: 78-79 د. علي كمال، ط3، دار واسط 1983.
(3) ينظر السلوك في سبيل موسوعة نفسية: 60.
(4) الشخصية الإنسانية في التراث الإسلامي: د. نزار العاني، 37، دار الفرقان، عمان، ط1، 1418 هـ - 1998م.
(5) سورة التوبة الآية: 105.
(6) سورة الحشر الآية: 7.
(7) سورة النساء الآية: 59.

لذلك نجد أن الضمير الإنساني للمسلم المؤمن يتحلى بالإخلاص في القول والعمل المقرون بالنية الحسنة، والمترجم إلى عمل صالح يرضي الله ورسوله والمؤمنين [1].

والثبات في الدعوة على المبدأ من دواعي الاستقرار الفكري والنفسي والعقدي، وذلك فالإسلام يدعو للثبات على المبدأ ضمانا للأستقرار النفسي وعدم التذبذب، أو التأرجح ومن ثم عدم الضياع والشعور بالفوضى، وانعدام الرؤية وتقود مثل هذه المشاعر إلى المرض النفسي. الذي يصيب الشخصية بالعوق التام [2].

ومع إن علم النفس الحديث لا يزيد عمره على (200) سنة، فإن علم النفس في الإسلام ترجع جذوره إلى زمن طويل، وقد ظهر هذا في مؤلفات الإمام الغزالي المختلفة (إحياء علوم الدين، ميزان العمل، معارج النفس).

حتى عد بحق أول مؤسس لعلم النفس الإسلامي،حيث صاغت هذه المؤلفات الشخصية السوية التي يجب أن يتحلى بها الفرد في هذا المجتمع. فتصاغ الشخصية في إحدى كلمتين هما (الرضا) و(الاعتدال) فالرضا الانعكاس الداخلي للشخص السوي واما (الاعتدال) فهو المظهر الخارجي لسلوكه[3].

وعلى المسلم أن يتبصر بعض النماذج القرآنية التي تصور لنا الشخصية الإنسانية في مختلف المجالات والأحوال كما في هذه الشخصيات الآتية[4]:-

1. نموذج الغني الشاكر بشخصية سليمان(عليه السلام) الذي قال عندما سمع كلام النملة وفهم عنها: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ﴾ [5].
2. نموذج الحاكم الملك العادل الذي لم يلهه سعة ملكة عن عبادة ربه ورعاية شعبه في شخصية ذي القرنين، الذي بلغ بفتوحة مطلع الشمس ومغربها ولكنه ظل متمسكاً بالعدل يكافئ المحسن ويعاقب المسيء كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن

---

(1) ينظر الخصائص المميزة لسيكولوجية الشخصية الإسلامية، د. ماهر محمد عمر، 1-2. د. ت.
(2) ينظر الآثار النفسية المبادئ الإسلامية، د. عبد الرحمن محمد العيسوي، أستاذ علم النفس – كلية الآداب: 3 - د. ت.
(3) ينظر العلاج النفسي من منظور إسلامي، هيام المفلح: 1. د. ت.
(4) ينظر ثقافة الداعية. د. يوسف القرضاوي: 27 –29، مؤسسة الرسالة بيروت، ط2، 1399هـ–1979م.
(5) سورة النمل الآية:19.

تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ٨٦ ﴾ .[1] ومن النماذج الأخرى نموذج الشاب المتعفف عن الحرام برغم فتونه وجماله ونظرته وقوة دواعي الإغراء، وإحاطة أسبابها كما في شخصية يوسف (عليه السلام) مع امرأة العزيز.كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾ .[2]

3. ونموذج الشاب المتمثل لأمر الله، كما في شخصية الذبيح (عليه السلام)[3] كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ ﴾.[4]

ويشير القرآن الكريم إلى ضرورة تحقيق التوازن في الشخصية كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا ﴾.[5]

وان أهم ما تتصف به الشخصية الإسلامية للإنسان المؤمن بربه والمتوكل عليه، تمتعه بضمير إنساني ممتزج بنسيج رباني ذي بعدين أساسين في علاقته مع ربه وهما: (خشية الله عز وجل) و (الرجاء في عفوه ومغفرته ورحمته) وهذا يشكل الضابط الأساسي لسلوكياته، والمنظم التلقائي لعلاقته مع المحيطين به والمخالطين له سواء كانوا في محيط الأسرة، أو في رحاب الدراسة أو في موقع العمل، فالإنسان المسلم المؤمن يراعي ضميره في كل خطوة من خطواته، وفي كل مرحلة من مراحل حياته، منذ أن فطره الله على الفطرة السليمة عند صرخته الأولى وحتى صمته الأخير. فهو دائماً يجد نوراً في عقله وقلبه يضيء بصيرته فيهديه إلى صراط المستقيم، وما أكثرها تلك الآيات التي تحفظه من التعثر في خطواته فلا يضل طريقه في أي لحظة من حياته، ولنبدأ بقوله تعالى بفاتحة الكتاب المبين ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ

---

(1) سورة الكهف الآية: 84-86.
(2)سورة يوسف الآية: 24.
(3) ينظر ثقافة الداعية: 27–29
(4) سورة الصافات الآية: 102.
(5) سورة القصص الآية: 77.

﴿ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ ،[1] ويؤكد الله عز وجل هدايته للبشر وتنقية ضمائرهم في محكم كتابه و قرآنه المجيد بقوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾.[2]

والرسول ﷺ استخدم التربية الشعورية، وهي إيجاد وازع نفسي قوي للإنسان بمثابة مرشد لسلوكه في الحياة بعواقب أفعاله [3].

والتربية الشعورية هي أساس هام من أسس التربية الإسلامية، لأنها ترتبط مباشرة بالإيمان بالله، فالله هو الذي يعلم ما في السرائر ويعرف خبايا النفوس ويراقب كل صغيرة وكبيرة من أفعال البشر، وأساس هذه التربية الشعورية النفسية،ومنطلقها حديث رسو ل الله ﷺ الذي يرويه الإمام البخاري عن عمر بن الخطاب عن الرسول ﷺ انه قال (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك) [4]

والعبادة ليست مقتصرة على الصلاة وبقية الفرائض إنما هي سلوك يسلكه الإنسان في حياته قولاً وفكراً وعملاً، وتكون هذه التربية بالتدريب والتثقيف والتأمل [5].

ومن الواجب بعد هذا العرض أن نعرف أبعاد الإسلام النفسية والاجتماعية إنَّ هذا الدين يتكون من سبعين شعبة تطوى في دائرتها الأرض والسماء، وتحدد للإنسان علاقته بربه ونفسه و أسرته ومجتمعه كله، وتحدثه عن جملة العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات، والأحكام التي يلتزمها، والشعائر التي يرفعها فليس للإسلام برنامج حزب سياسي يتولى السلطة فيفشل أو ينجح ! إنه قبل ذلك وبعده دين ينهض على أصول بيّنة وصراط يسير فيه المرء عارفاً كيف يعاشر القريب والبعيد، والعدو والصديقْ؟ وهذا هو حقيقة الشخصية وأساسها [6].

---

(1) سورة الفاتحة الآية: 1-2.
(2) سورة البقرة الآية: 1.
(3) ينظر روح الدين الإسلامي، عفيف عبد الفتاح طبارة: 173، دار العلم للملايين- بيروت، ط6، 1977.
(4) صحيح البخاري: 20/1، كتاب الوحي، باب كيفية بدأ الوحي إلى الرسول ﷺ.
(5) ينظر فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف. د. عبد الجواد سيد بكر: 230، دار الفكر العربي، ط1، 1983 م، التربية في الإسلام. د.احمد ألا هواني : 103، دار المعارف بمصر، ط2، 1967 م. الأخلاق النظرية، لعبد الرحمن بدوي، 54، وكالة المطبوعات – الكويت، ط1، 1975م.
(6) ينظر المحاور الخمسة في القرآن الكريم، محمد الغزالي 119، دار القلم، ط1، دمشق 1421هـ-2000م.

وبعد هذا السرد القرآني عن حقيقة الشخصية الإنسانية يمكننا أن نخرج بنتيجة وهي أنه لا توجد نظرية في علم النفس يمكن أنْ تزيد شيئاً أو تلغي شيئاً بما وصف به القرآن الكريم حقيقة الشخصية الإنسانية في هذا المجال غير أنَّ الحقيقة الكاملة للموضوع تدعونا إلى الرجوع إلى المنبع الرئيس والمصدر الأصلي وهو القرآن الكريم لأن منزله جل شأنه أعلم بحقيقة الإنسان ودقائقه وخفاياه، قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾.[1] وقال أيضاً ﴿ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾،[2] فنظرة متأنية في هذه الآيات وما تقدم ذكره يتضح لنا ذلك الفرق الشاسع بين الشمول والجزئية وبين الدوام والوقتية وبين العلم الشامل المحيط، وبين العلم البشري القاصر، فلا يمكن أن تأتي فكرة بشرية، ولا أن يأتي منهج من صنع البشرية يتمثل بالشمول أبداً، إنما هو تفكير جزئي، وتفكير وقتي ومن جزئيته يقع النقص ومن وقتيته يقع الاضطراب الذي يحتم التغير[3].

فطريقة القرآن الكريم في صياغة الشخصية الإنسانية صياغة شاملة متكاملة بدنياً وعقلياً وروحياً، وتوجيه السلوك في الإتجاه الذي يمكنها من عمارة الأرض وإصلاحها على وفق منهج الله وشريعته هو المنهج القرآني الذي نتبعه في تحليل آيات الشخصية الإنسانية الذي يجعلنا ندرك الأصول الصحيحة في بناء الشخصية الإنسانية فدين الله منهج الحياة، قاعدته أن يكون السلطان كله في حياة الناس لله عز وجل. وهذا هو معنى عبادة الله وحده، معنى ألا يكون للناس إله غير الله عز وجل [4].

ولابد للبشرية من العودة إلى هذا المنهج الرباني الذي يشمل واقع الإنسان المادي والروحي (نظام يشرع للأرض وهو متجه إلى السماء، نظام يوحد بين شقي هذا الكائن الآدمي، قبضة الطين ونفخة الروح، وهذا النظام هو الإسلام)[5].

قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾،[6] إذن الشخصية الإسلامية هي كون واسع مدهش، فزيادة على ما

---

(1) سورة الملك الآية: 14.
(2) سورة البقرة من الآية: 140.
(3) ينظر خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، محمد قطب 108: دار الشروق- بيروت، ط7، 1982.
(4) ينظر في ظلال القرآن، سيد قطب: 542/8، دار الشروق، ط7، 1318هـ- 1978م.
(5) معركة التقاليد: 75، ينظر الخصائص العامة للإسلام، د: يوسف القرضاوي: 98، مكتبة وهبة- وهبة- القاهرة ط4، 1989.
(6) سورة الإسراء الآية: 9.

ما أودعه الله تعالى فيها من سر الحياة وتخصص الأعضاء وقوة الإدراك والسلوك المتميز، فإن للشخصية الإنسانية قدرة على استخدام ما أوتيت من مقومات ودوافع بصورة مثلى في تحقيق الوظيفة التي خلقت من اجلها، فهي بحق عالم فسيح ورحب تحكمه سنن وتنظمه قوانين، أودعها الله تعالى فيها، وهيأ للشخصية الإنسانية المقدرة على الكشف عنها، لتغير مسارها بالإتجاه الصحيح، وتغير ما بالنفس من إصلاح للتفكير وتهذيب للسلوك وتنقية للعادات، وشحذ للهمم، وتنمية للملكات والمهارات، فيجب أن نبذل ما بوسعنا، لإعادة بناء الصرح و إقامة العدل وجمع الكلمة والوقوف على القدم بوجه من يخطط ليل نهار لإضعاف عزمنا وقدراتنا فيجب أن نتجه نحو التغير حتى يغير الله لنا[1]﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ﴾[2].

إذن يمكن أن نخرج بنتيجة قرآنية عن الشخصية الإسلامية، وكيف يريدها القرآن الكريم، فالقرآن الكريم يريد من الفرد أن تقمع رغباتك وتخضع نفسك وتخالف هواك، وتحكم شهواتك، لتفوز برتبتك ومنزلتك عند الله عز وجل، وتكون وارث للكون المسخر من أجلك، فأنت لا تستحق السيادة على العالم الا إذا استطعت أولاً أن تسود مملكتك الداخلية.

فيؤدي هذا التوحيد وهذه النظرة إلى أثر تركيبي في بناء الشخصية، فلا تتوزع مشاعرهُ، ولا تنقسم همته، أنه القرآن الكريم وما يصنع في تربية النفوس.

وليس ما رآه فرويد بأن التوبة نكوص، وقمع الشهوات كبت، والندم تعقيد، والصبر على الأذى برود ولم ير من النفس الإنسانية الا الجانب الحيواني، الفرويدي لا يؤمن بإمكانية تبديل النفس بينما يقول علم النفس القرآني بإمكانية تبديلها.. ويقول بشفاء النفس ونزع الغل من الصدور، بل توجد صوراً ونماذج من تبدل النفوس الظلامية إلى النورانية في لحظة بالفضل والهدى الإلهي كما حدث لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الذي تحول من الغلظة والقسوة والشر والضلال إلى نموذج رفيع

---

(1) ينظر الحركة الأستشراقية، مراميها وأغراضها د. رشيد العبيدي: 145-149، مط أنوار دجلة، 1424هـ-2003 م.
(2) سورة الرعد الآية: 11.

للعدل الكامل في لحظة ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾. [1]
وذلك هو شفاء النفوس الذي نتعلمه من القرآن الكريم.

ولكن ليس لنا وما ذهب اليه فرويد، بقوله: أ- الانا. ب- الهو. جـ- الانا الأعلى.

فأن لنا القرآن الكريم الذي قال عن أقسام النفس:

أ- أمارة بالسوء ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾. [2]

ب- لوامة ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾﴾. [3]

جـ- مطمئنة راضية ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾. [4]

يفتح هذا التصنيف القرآني آفاقاً واسعة لتحديد الرؤية الاسلامية للشخصية ابنيتها وعملياتها، نموها ونشاطها، محدداتها ومعايير تقييمها، كما يفتح مجالاً لدراسة الفعل الارادين وكيف يتجه نحو الخير والشر، ويفتح مجالاً للبحث انطلاقاً من سنة إلهية هي ان الشر ليس أصيلاً في النفس الانسانية، بل هي نفخة علوية طاهرة تنفخ في جسد طاهر، وتولد على الفطرة التي تمثل هذه الطهارة والبراءة الأصيلة.

ويفتح هذا التصنيف آفاقاً واسعة لبحث الرضى والطمأنينة وعلاقتهما بالصحة النفسية[5].

(1) سورة الحجر الآية: 47.
(2) سورة يوسف الآية: 53.
(3) سورة القيامة الآيات: 1-2.
(4) سورة الفجر الآيات: 27-28.
(5) ينظر التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية: 91.

المبحث الثالث

دوافع السلوك في القرآن الكريم

إن الدوافع متصلة بكل مباحث علم النفس ومناهجه ومدارسه، وبالفعل فإن المربي الذي يريد أن يفهم نفور التلميذ من الفصل وعزوفه عن الدراسة بحاجة إلى دراسة الدوافع الكامنة وراء هذا السلوك الشاذ، والقاضي الذي يريد أن يفهم سلوك الإجرام لدى المتهم يحتاج إلى دراسة الدوافع التي تقف خلف هذا السلوك المضاد للمجتمع، والأخصائي النفسي الذي يحاول تقديم المشورة النفسية للمريض بحاجة إلى الكشف عن الدوافع الشعورية أو اللاشعورية التي تسبب للمريض تلك الاضطرابات فالدوافع من الخصائص النفسية المشتركة بين الناس وإنما يختلفون في طرق إشباعها، وكيفية ترتيبها ودرجة إثارتها [1].

فالدوافع تؤدي وظائف ضرورية وهامة للكائن الحي، فهي التي تدفعه إلى القيام بإشباع حاجاته الأساسية الضرورية لحياته وبقائه، كما تدفعه إلى القيام بكثير من الأفعال الأخرى الهامة والمفيدة له في توافقه مع البيئة التي يعيش فيها. فقد جاءت الإشارة إلى دوافع السلوك كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴾. [2]

فإذا توجهت النفس إلى السلوك الإسلامي القويم، والدعوة الربانية الإنسانية الأخلاقية تبشر بها، وتضحي من أجلها بالوقت والمال والنفس،كان لها سلوكها المستقيم، الذي يدفعها إلى مواجهة التحديات، وتكون في سيرها واثقة مطمئنة سعيا لرضا الله عز وجل[3]. كما نلمسه في قوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ

(1) ينظر التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية البحث في النفس الإنسانية والمنظور الإسلامي: 493، التربية ودورها في تشكيل السلوك، مصطفى محمد الطحان: 18، ط1، 1423هـ- 2002م.
(2) سورة قريش الآية: 4.
(3)المصادر نفسها

ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ
يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾.[1]

أما المجالات التي تتأثر بالدافعية فهي:

أ- التعلم والأداء.

ب- الانتباه والإدراك.

جـ- التذكر والنسيان.

د- السلوك الاجتماعي والوجداني.

وفي كل مجال من هذه المجالات إما أن تؤثر الدافعية بشكل إيجابي، وإما أن تؤثر بشكل سلبي، فتؤدي إلى أداء منحرف أو شاذ، ودرجة هذه الدافعية هي التي تحدد أثرها الإيجابي أو السلبي، فلكل دافع عتبة تختلف من شخص إلى آخر يتحول معها من عامل إيجابي في السلوك إلى عامل سلبي، ومن خلال ذلك يجب أن نقرر أن توجيه السلوك بإثارة الدافع نحو العامل الإيجابي، لهو الأمل المنشود الذي يسعى إليه الفرد لتحقيق ذاته وسط المجتمع الذي يعيشه[2].

والآن نشرع في بيان ما تتضمنهُ عوامل السلوك من دوافع فطرية، ودوافع ثانوية (الاجتماعية المكتسبة).

أولاً: دوافع فطرية: (هي الدوافع الفطرية البيولوجية التي تولد معنا مثل الجوع والعطش والجنس والراحة والنشاط)[3].

(أو هي الدوافع التي ترتبط بحاجات البدن الفيسولوجية وما يحدث فيها من نقص أو اختلال في الاتزان)[4].

هي التي تنشأ عن نقص أو خلل فسيولوجي يصحبه توتر داخلي يحرك الكائن إلى سد النقص وإزالة التوتر بنشاطات تهدف إلى الإشباع [5]

وتؤدي الحاجة استثارة الدافع، والدافع يدفع إلى الإشباع بواسطة الحافز،فنقص السكر في الدم، حاجة، والجوع والطعام حافز (أو باعث) والنشاط الناشئ عن الدافع نشاط تأهبي (الكتاب عن الطعام) ونشاط استهلاكي(تناوله) الدوافع أذن ليست شيئاً مادياً ظاهراً، بل هي إحساس داخلي يوجه السلوك الداخلي والخارجي للكائن

---

(1) سورة الفتح الآية: 29.
(2) ينظر التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية: 495.
(3) أساسيات علم النفس التربوي: 144.
(4) القرآن وعلم النفس: 23.
(5) ينظر التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية: 496.

الحي.[1] وهذه الدوافع يولد الإنسان مزوداً بها، فهي دوافع تظهر عند الإنسان منذ لحظة الولادة ويتوقف عليها بقاء حياة الإنسان، فهي حاجات فسيولوجية، تتصل بالأعضاء الداخلية للجسم. وهذه الدوافع زود الله عز وجل بها الإنسان حتى تستمر الحياة، ومن بين هذه الخصائص الهامة التي أودعها الله في طبيعة تكوين الإنسان والحيوان (الدوافع الفيسولوجية) فتقوم هذه الدوافع بتأدية وظائف هامة للحيوان والإنسان، فهي تلبي حاجات البدن، وتسد كل ما يطرأ عليه من نقص عضوي وتقاوم كل ما يطرأ عليه من خلل أو أضطراب، أو فقدان الاتزان، وهي تعمل دائما على الاحتفاظ للبدن بقدر معين من الاتزان الحيوي اللازم لحفظ ذاته وبقائه[2].

(1) ينظر المصدر نفسه.
(2) ينظر دراسات في سيكولوجية النمو، حامد عبد العزيز الفقي: 25، عالم الكتب، القاهرة، 1974-1975.

والدوافع الفطرية قسمان:
أحدهما: ضروري لبقاء الفرد.
وثانيهما: ضروري لبقاء النوع.
وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الدوافع الفسيولوجية الهامة وسوف نتناول فيما يأتي بعض ما جاء في القرآن الكريم متعلقاً بهذه الدوافع.

1- دوافع حفظ الذات:

ذكر الله سبحانه وتعالى في بعض آيات القرآن الكريم أهم الدوافع الفسيولوجية التي تقوم بحفظ الذات وبقاء الفرد مثل الجوع والعطش، والتعب، والحرارة، والبرودة، والألم وخاطب الله تعالى آدم (عليه السلام) وهو في الجنة مذكراً له بما هو فيه من نعيم حيث لا يؤذيه الشعور بالجوع، أو العطش، وحيث لا يعرى فيخدش حياؤه وتؤذيه تقلبات الجو، كما في قوله تعالى: ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾.[1]

وفي ذلك أخبار من الله عز وجل حين أسكنه الجنة، إن لك يا أدم إن لا تجوع ولا تعرى ولا تصيبك الشمس، وفيه من الترغيب في نفي نقائضها التي هي الجوع والعطش والعرى والضحو. فهذا كله مضمون لك مادمت في رحابها، والجوع والعرى يتقابلان مع الظمأ والضحوة. وهي في مجموعها تمثل متاعب الإنسان الأولى في الحصول على الطعام والكساء، والشراب[2]. والآية الكريمة تدل على الدوافع الضرورية للفرد في نفي الجوع والعطش عن آدم(عليه السلام).

ونجد في الآيات آلاتية من سورة النحل إشارة إلى بعض دوافع حفظ الذات وهي: الحرارة والبرودة، والتعب، والألم، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾.[3]

---

(1) سورة طه الآيات: 117- 120.
(2) ينظر جامع البيان عن تأويل أي القرآن، أبو جعفر بن جرير الطبري 20/ 222، دار الفكر 1408هـ- 1988م، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم العظيم والسبع المثاني، للعلامة أبي الفضل شهاب الدين الآلوسي: 8/ 271، دار الفكر، في ظلال القرآن: 105/5.
(3) سورة النحل الآية: 80.

أي ومن نعمة الله عليكم أيها الناس أن جعل لكم مما خلق ظلالاً تستظلون بها من شدة الحر وهي جمع ظل. وهي للتشويق والإيذان من أول الأمر بأن هذا الجعل لمنفعتهم، وأن من بيوتكم المعهودة التي تبنونها من الحجر والأخشاب سكناً لكم. والسكن أيضاً دافع فطري يحتاج إليه الإنسان[1].

وهذه الدوافع موجودة في كل من الحيوان والإنسان، وتشير الآية الآتية من سورة النمل إلى دوافع حفظ الذات عند النمل مما يجعلها تتجنب ما يؤذيها ويلحق بها الضرر ويصيبها بالهلاك والدمار كما في قوله تعالى: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾.[2]

يعني قولها: ألا تكونوا حيث انتم سيحطمكم سليمان (عليه السلام)، وخافت هذه النملة على النمل أن تحطمها الخيول بحوافرها فأمرتهم بالدخول إلى مساكنهم ففهم ذلك سليمان عليه السلام منها. وهذا من دوافع حفظ النوع من الدمار[3].

والله عز وجل جعل الليل ساتراً بسواده ليستريح فيه الناس ويسكنوا ويناموا بعد عناء العمل وكثرة الحركة والنشاط أثناء النهار، فقال الله تعالى أيضاً عن دافع التعب والراحة ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.[4]

فهي الوفاة إذن حين يأخذهم النعاس؛ هي الوفاة في صورة من صورها بما يعتري الحواس من غفلة وما يعتري الحس من سهوة، وما يعتري العقل من سكون، وما يعتري الوعي من سبات، وهو السر الذي لا يعلم البشر كيف يحدث؟ وإن عرفوا ظواهره وآثاره وهو (الغيب) في صورة من صورهِ الكثيرة المحيطة بالإنسان. والله يتوفاكم بالليل حال نومكم أي ينميكم ويعلم من يكفر ومن يعصي ربه وهؤلاء البشر مجردون من كل حول وطول حتى من الوعي، هاهم في قبضة الله كما هم في الحقيقة - لا يردهم إلى الصحوة والحياة الكاملة إلا إرادة الله..فما أضعف البشر في قبضة الله!! ويكون في نهاية المطاف إلى الله عز وجل[5].

---

(1) ينظر جامع البيان 8/ 155، روح المعاني 7/ 203.
(2) سورة النمل الآية: 17.
(3) ينظر الكشاف عن حقائق التنزيل في وجوه الأقاويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري 3/ 141، دار الفكر- بيروت، تفسير القرآن العظيم، للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القريشي 4/ 343، مكتبة هلال، ط1، بيروت- 1986.
(4) سورة الأنعام الآية: 60.
(5) ينظر في ظلال القرآن: 2/ 1121، التفسير الفريد للقرآن المجيد 2/ 861، د. محمود عبد المنعم الجمال.

2- دافع بقاء النوع:

كما اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يُوجِد في طبيعة تكوين الإنسان والحيوان دوافع فسيولوجية فطرية، تدفعه إلى أنواع السلوك الضرورية لحفظ الذات، فقد أقتضت حكمته كذلك أن يوجِد في طبيعة تكوينهما دافعين فسيولوجيين فطريين يدفعانهما إلى القيام بنوعين هامين من السلوك يتوقف عليهما بقاء النوع، هذان الدافعان هما:

أ- دافع غريزي وفطري.

ب-دافع الأمومة[1]

أ- الدافع الجنسي: الدافع الجنسي يقوم بوظيفة هامة هي التناسل لبقاء النوع. وبوساطة الدافع الجنسي تتكون الأسر، ومن الأسر تتكون الشعوب والمجتمعات كما يخاطبنا الله عز وجل في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ .[2]

إذن فمهمة الدوافع الفطرية هي تذكير الإنسان بضعفهِ وتذكره بنعمة الله عليه؛ لان وجود دوافع في داخل النفس، ووجود بواعث لإشباعها في خارج البيئة آية من آيات الله تعالى، وانظر على سبيل المثال ارتباط النوم بالليل على سبيل المثال قال تعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴾ .[3] ﴿ وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ .[4]

يقول الله تعالى: ياأيها الناس إنا أنشأنا خلقكم من ماء ذكر من الرجال، وماء أنثى من النساء، وقدرنا هذا الأمر لكي يكون التكاثر بينكم والتعارف[5].

واقتضت مشيئة الله تعالى أن توجد وظيفة التناسل في النباتات، كما اقتضت مشيئة الله عز وجل أن يوجد كل شيء في الكون أزواجاً، كما في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ

(1) ينظر القرآن وعلم النفس: 34.
(2) سورة الحجرات الآية: 13.
(3) سورة الروم الآية: 23.
(4) سورة القصص الآية: 73.
(5) ينظر جامع البيان: 13/ 138.

ٱلَّذِى مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِى ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ .[1]

ب- دافع الأمومة: يصف القرآن الكريم عواطف الأم وحبها لأولادها، وشغفها بهم، وخوفها لبعدهم عنها، وفرحها لقربهم منها، وذلك من خلال ذكره تعالى لقصة موسى (عليه السلام)، والذي يمثل دافع الأمومة كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ .[2]

أي خالياً من ذكر كل شيء في الدنيا الا من ذكر موسى عليه السلام، وقيل: فارغاً من الوحي إذ أوحى إليها حين أمرت أن تلقيه في البحر، ولكن ربط الله عز وجل على قلبها. وإن كادت لتظهر أمره ولكن ثبتها الله وكان ما أراد الله عز وجل، فلما ولدته خبأته عن عيون فرعون، فمكث عندها زمناً فلما خافت عليه من انكشاف سرها المكتوم فيقضي، على فلذة كبدها، والله القادر على كل شيء أرشدها أن تصنع له تابوتاً ثم تضعه فيه وتلقيه في البحر، قد لا تهمنا تفصيلات القصة كثيراً ولكن الذي يهمنا فيها روعة التعبير القرآني ودقته في تصوير هذه اللحظات الحرجة في حياة أم موسى (عليها السلام)، ودافع الأمومة الأخاذ المتجلي في سياق هذا النص القرآني الرائع ومكنونه[3].

ثانياً: الدوافع الاجتماعية (المكتسبة): هي الدوافع التي لا يمكن إرجاعها مباشرة إلى الحالات الفسيولوجية للبدن الناشئة عن وجود نقص، أو حاجات كالجوع والعطش والتعب؛ ويذهب معظم علماء النفس المحدثين إلى أن الدوافع النفسية هي في الأغلب مكتسبة على أساس دوافعنا الفسيولوجية، أي أنهم يعدونها متفرعة أو مشتقة منها نتيجة تفاعلها مع خبرات الفرد وعوامل تنشئته الاجتماعية.[4]

(أو هي ما تتأثر بخبرات التعلم التي يتلقاها الفرد ويتعرض لها في الثقافة التي يعيشها)[5].

---

(1) سورة الرعد الآية: 3.

(2) سورة القصص الآية: 10.

(3) ينظر الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي 13/ 255 مط دار الشعب، التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي 20/ 22- 23، مط الاستقلال، القاهرة، ط4، 1388- 1968.

(4) ينظر القرآن وعلم النفس: 37.

(5) أساسيات علم النفس التربوي: 144.

(أو هي التي يتعلمها الإنسان ويكتسبها، نتيجة إحتكاكه بغيرهِ من الأفراد)[1].
ومن هذه الدوافع النفسية:-
أ- دافع التملك: دافع التملك من الدوافع النفسية التي يتعلمها الإنسان أثناء تنشئته الاجتماعية. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الموضع في قوله تعالى: ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ﴾ .[2]

ب- دافع العدوان: يظهر دافع العدوان في سلوك الإنسان العدواني تجاه الآخرين بهدف إلحاق الأذى بهم سواء كان ذلك في صورة عدوان بدني، أو في صورة عدوان لفظي.

وقد أشار القرآن الكريم إلى دافع العدوان أثناء ذكره لقصة آدم وحواء وإغواء الشيطان لهما، كما في قوله تعالى: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴾ .[3]

وإبليس وسوس لهما وحملهما على الزلة بسبب الشجرة، وزين لهم السوء، وهكذا أخذ إبليس الحاسد الحاقد يحتال عليهما ويغريهما بالأكل من الشجرة حتى زلا فأكلا منها فأخرجهما الله مما كانا فيه من النعيم ولما كان الأمر كذلك أمرهما الله بالنزول إلى الأرض، ليعيشا وذريتهما وإبليس متعادين ولهم في الأرض مستقر ومتاع، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فدافع العدوان هو دافع نفسي[4].

جـ- دافع التنافس: والتنافس من الدوافع النفسية التي يتعلمها الإنسان من الثقافة التي ينشأ فيها. وقد حث القرآن الكريم الناس على التنافس في تقوى الله عز وجل، وعمل الخيرات كما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴾ .[5]

والتمسك بالقيم العليا، واتباع المنهج الرباني حيث لا توجد لنا سعادة وهناء إلا باتباع المنهج الرباني.الذي رسمهُ الله عز وجل لنا في قرآنه لهُ دافع كبير يجب ان تتوجه إليه النفس كما في قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ

---

(1) فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، لعلي خليل أبي العينين: 195، دار الفكر، ط2، 1980م.
(2) سورة الفجر الآية: 20.
(3) سورة البقرة الآية: 36.
(4) ينظر روح المعاني 235/1-236، التفسير الفريد للقرآن المجيد 41/1.
(5) سورة المائدة الآية: 48.

ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾.[1]

أي في الحياة سواء في علاقتهم مع الله عز وجل، أو في علاقاتهم الأسرية، أو في علاقاتهم مع المجتمع حتى يحظوا بمغفرة الله ورضوانه وينعموا بدخول الجنة قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾.[2]

ويكون التنافس في ذلك النعيم، وفي ذلك التكريم، فهو مطلب يستحق المنافسة، وهو أفق يستحق السباق، وهو غاية تستحق الغلاب. والذين يتنافسون على شيء من أشياء الأرض مهما كبر وجل وارتفع وعظم، إنما يتنافسون في حقير قليل. والدنيا لاتزن عند الله جناح بعوضة. ولكن الآخرة ثقيلة في ميزانه.

فالنفس الإنسانية مندفعة إلى هذا التنافس الشريف المبارك. وفي ذلك الأمر الجليل فليرتقب المرتقبون[3].

د- دافع التدين: إن دافع التدين دافع نفسي له أساس فطري في طبيعة تكوين الإنسان، ويختلف مستوى التفكير، في أعماق النفس البشرية للتدين. وتبين الآية القرآنية، أن دافع التدين دافع فطري كما في قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾.[4]

أي فسدد وجهك نحو الوجه الذي وجهك إليه ربك يا محمد لطاعته وهي الدين حنيفاً مستقيماً لدينه وطاعته، فطرة الله التي فطر الناس عليها، صنعة الله التي خلق الناس عليها. وبهذا يربط بين فطرة النفس البشرية وطبيعة هذا الدين وكلاهما من صنع الله، وكلاهما موافق لناموس الوجود، وكلاهما متناسق مع الآخر في طبيعته واتجاهه، صنع الله عز وجل الذي أتقن كل شئ في هذا الوجود بعظمته وقدرته،فالتدين أصل والخروج عن الدين طارئ[5].

---

(1) سورة الروم الآية: 30.
(2) سورة المطففين الآيات: 22- 26.
(3) ينظر: الكشاف 4/ 233، في ظلال القرآن: 6/ 3860.
(4) سورة الروم الآية: 30.
(5) - ينظر جامع البيان 11/ 40، في ظلال القرآن: 5/ 2767، التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية: 520-521.

وذلك أن الله خلق أول إنسان بيده، وجعله نبياً وعلمه ما لم يكن يعلم، فالأصل في الإنسان أنه مؤمن، وهو وأن ولد بلا علم الا ان الله عز وجل علمه ما يصلح به حياته.

فدافع التدين هو من أظهر الدوافع في حياة البشرية، وهذا الدافع هو الفطرة نفسها، وفيه الميل العام إلى الطيبات والنفور من الخبائث، وهذه هي اسس الدين الحق، فهو تصديق بحق، وتكذيب بباطل، وامر بعدل، ونهي عن ظلم وهو سلوك روحي تخرجه الرسالات إلى حيز الواقع.

وفي الإسلام- دين الفطرة- التأكيد على فكرة التوازن عند تلبية الدوافع، لان عدم اشباعها يضر بالصحة النفسية والجسمية، كما ان الاسراف يضر ايضاً[1].

وتوجد أيضاً الدوافع اللاشعورية:- وهي التي قد يشعر الإنسان ببعض الرغبات أو الدوافع غير المقبولة أو المثيرة لقلقه فيعمل على إبعادها، وقد أشار القرآن الكريم إلى التعبير اللاشعوري بوساطة فلتات اللسان عما يجيش في النفس من دوافع يحاول الإنسان كتمانها واخفاءها، وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ ﴾.[2]

اذن فالدوافع المكتسبة هي الدوافع المميزة للإنسان، والتي تكون مستقلة وتتصل بالمكون الثاني للإنسان وهو الروح وما ينشأ عنها من حياة عقلية ووجدانية.

ومن الدوافع النفسية الدافع إلى الأمن، كما في قوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾ ﴾.[3]

والدافع إلى حب الاستطلاع، الذي زود الله الإنسان بالحواس للاستطلاع والاستكشاف فاعطى الدافع في حياته العلوم والحضارات ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ .[4]

---

(1) ينظر التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية: 522.
(2) سورة محمد الآية: 29.
(3) سورة قريش
(4) سورة النحل الآية: 78.

والدافع إلى اثبات الذات الاجتماعية، والدافع إلى الحب والدافع إلى التقدير، والدافع إلى الانتماء ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ .[1]

وليس للإنسان دافع واحد بل دوافع، وقد لا يستطيع في وقت واحد اشباعها جميعاً ومن هنا نشأ الصراع بين دوافع الإنسان، بأن يجذبه دافع ما إلى إتجاه معين، ويجذبه دافع أخر إلى اتجاه مضاد، حيث يقفون بين الإيمان والكفر موقف المتردد والعاجز عن اتخاذ قرار نهائي، كما في قوله تعـالى: ﴿ قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَابِنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ .[2]

وعملية الجمع والترجيح بين الدوافع عملية عقلية تخضع لثقافة الشخص وموازينه في الحياة، كما تخضع للظروف المحيطة به عندما حصل الصراع بين بعض دوافعه، ويمكن ان تتدخل حالته الانفعالية في تلك اللحظة ايضاً. ومن هذه الثقافة والمشاعر والظروف تتجمع مجموعة من المرجحات تقوي دافعاً على حب آخر أو توجد توازناً بينهما.

وقد دعا القرآن الكريم إلى السيطرة على هذه الدوافع بحيث يصبح الفرد وهو المسيطر على دوافعه والموجه لها، ولا تكون دوافعه هي المسيطرة عليه، ويتبين رأي القرآن الكريم بوضوح في اعترافه بمشروعية إشباع الدوافع الفسيولوجية كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ .[3]

وفي هذا يتمثل اعتدال المنهج الإلهي القويم. المنهج الذي يوازن بين الدنيا والآخرة، ولا يحرمه أن يأخذ بقسط من المتاع في هذه الحياة بل يحضه على هذا ويكلفه إياه تكليفاً كي لا يتزهد الزهد الذي يهمل الحياة ويضعفها. وبعبارة أخرى نستطيع القول: إنه يجمع بين المادة والروح.

فيجب التحكم بهذه الدوافع، فإمَّا ان تسيطر على دوافعك أو تسيطر دوافعك عليك، وعندما ينحرف إشباع الدوافع الفطرية يظهر الادمان على الكحول والزنا واللواط وأكل الحرام، وعندما ينحرف اشباع الدوافع المكتسبة يظهر البخل والظلم والاعتداء وحب الجاه والشهرة.

---

(1) سورة الانبياء الآية: 92.
(2) سورة الأنعام الآية: 71.
(3) سورة القصص الآية: 77.

والسيطرة على الدوافع هو قرار إنساني وتوفيق الهي، هو قرار من الإنسان ان يتحول إلى تصور جديد، لان الهداية بيده، بهذا التغير الفكري تصبح للإنسان حاجات روحية يضبط بها حاجاته البيولوجية والنفسية، وبهذا يستعيد ما فقد من إنسانيته لانه لا يكون بعد الآن ابن دوافعه أو ابن ظروفه بل يكون ابن قراراته[1].

أذن يمكن لنا القول:

1- توجد في الإنسان دوافع فطرية ودوافع مكتسبة ويجب على الإنسان أن يقوم باشباع حاجاته الفطرية والمكتسبة على أساس شرعي.
2- توجيه الدوافع نحو تعاليم القرآن الكريم، له الأثر الكبير في بناء الشخصية القرآنية.
3- الدوافع لها علاقة بالسلوك، حيث توجد بينهما مفاهيم أساسية تتعلق بالتكوين البنائي للشخصية.
4- ان غالب الأمراض النفسية تأتي عن طريق اضطراب الدوافع، مما يؤدي إلى تأثر أعصاب الإنسان وتغير بها نظرته إلى الحياة ويضطرب سلوكه، ويكون علاج هذا السلوك المضطرب بتوجيه الدوافع والسعي نحو تحقيق رضا الله عز وجل.
5- ان القرآن الكريم يزودنا بدستور كامل للأخلاق وللسلوك البشري، ان ملاحظات القرآن الكريم ما هي الا مرشد للإنسان في مختلف مراحل عمره، وكذلك في الحياة الاجتماعية على الأرض، حتى نصل إلى المعرفة الإلهية عن طريق فهم العالم.

(1) ينظر في ظلال القرآن 5/ 2711، التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية: 526.

المبحث الرابع

حديث القرآن الكريم عن العوامل النفسية

لقد أولى القرآن الكريم النفس عناية كبيرة في آياتهِ، فالقرآن الكريم دعوة إلى إصلاح النفس وتهذيبها، فالذي يطبق منهج القرآن الكريم، يجد الإنسان نفسه محاطاً بعدة دوافع تدفعه دفعاً رقيقاً نحو النور، وتمكنه أن يتوافق في سلوكه نظرياً وعقلياً، وتتجسد في نفسه الراحة والطمأنينة.

فالعامل النفسي في القرآن الكريم له جانب من شخصية الإنسان وهي أقرب إلى الطبع، أو القوة الحيوية التي تشمل الغريزة في عملها الواعي[1].

(وفي أغلب الآفاق المادية والمعنوية يحسب للأمور حسابا دقيقاً، وتؤخذ الحيطة له كي لا يقف المرء في بدايات الطريق حائراً؛ والقرآن الكريم في حديثه للنفس الإنسانية حارب هذا الملل، وأقصاه عنه إقصاءٍ، وعمل على تجديد حياته بين الحين والحين حتى أنه يمكنها أن تستقبل في كل يوم ميلاداً جديداً)[2].

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾.[3]

والمثل القرآني يولي أهمية كبيرة للعامل النفسي كما في قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾،[4] ويفتح له رحاباً حديثة، فهو حينما يدعو إلى الإفادة من سابق الأحداث، والاعتبار بسالف التجارب والتأمل في واقع الدلائل، يريد أن يغير منها الإنسان في حاضرة ومستقبله، ويجعل المرء ناظراً إلى ذلك باعتباره وسائل لتهيئة المناخ المناسب الفعال لبث تعاليمه وقيمه، وتأصيل مفاهيمه ومثله والقيام بوظيفته ومهمته، فإذا تركت النفس بدون تهذيب يصحبها عدم أتزان، كالذي يغضب من أدنى شئ، والذي يفزع من صفير الطائر أو يرتاع من خبر، أو يفرط من

---

(1) ينظر الإنسان في القرآن، عباس محمود العقاد، 337- 338، من الأعمال الكاملة، دار الكتاب، ط7، بيروت 1974.
(2) نظرات في القرآن، محمد الغزالي: 132، مكتبة المثنى، بغداد، ط2، 1380- 1961م.
(3) سورة طه الآية: 113.
(4) سورة السجدة الآية: 18.

الضحك من شئ يسير. ولكن بالتدريب والاستمرار وبالتخلق تكسب النفس أخلاقاً جديدة[1].

وفي سورة الأعراف إيحاء نفسي وعامل جميل مؤثر في النفس الإنسانية حين يقرن الله عز وجل اللباس الساتر للبدن، مع لباس التقوى الذي دل عليه قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾.[2]

والإخبات لفظ جميل وعامل نفسي له أثره العظيم، كما عبر عنه الله عز وجل في سورة هود وبقوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾.[3]

والإخبات هو الخشوع والخضوع وهو مأخوذ من الخبت وهو الأرض المطمئنة، وخبت ذكره أي خفى، فقوله (أخبت) أي دخل في الخبت، ومنه المخبت من الناس الذي أخبت إلى ربه واطمأن إليه[4].

وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات فآمنت قلوبهم وعملت جوارحهم الأعمال الصالحة قولاً وفعلاً من الإتيان بالطاعات وترك المنكرات، والاطمئنان إلى ركن الله عز وجل في كل أمر[5].

وفي سورة القصص قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن وَعَدۡنَٰهُ وَعۡدًا حَسَنٗا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعۡنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ هُوَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ﴾.[6]

أعميتم فسويتم بين من وعدناه وعداً حسناً فهو لا شك لا قيه وبين من متعناه في الدنيا بمتع فانية، ثم هو يوم القيامة من المحضرين للحساب والسؤال والعذاب إن لم يشكر ويؤمن.

---

(1) ينظر الصورة النفسية في المثل القرآني، د. محمد حسين علي، 349، دار الرشيد- العراق، 1981، علم النفس وأثره في التربية الإسلامية، مجلة الوعي: الإسلامي، محمد علم الدين سنة 11 عدد 1311- 1395- 1975.
(2) سورة الأعراف الآية: 26.
(3) سورة هود الآية: 23.
(4) ينظر لسان العرب 2/ 27.
(5) ينظر تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، للأمام محمد الرازي فخر الدين 217/9، دار الفكر، ط3، 1405هـ- 1985م، تفسير القرآن العظيم 3/ 233.
(6) سورة القصص الآية: 61.

فالمعنى النفسي والعامل المؤثر نلمسه في وعد الباري عز وجل في الآخرة لعباده المؤمنين، وما أعد لهم من الجنات والأنهار جزاء بما عملوا في الدنيا[1].

والقرآن الكريم، ذكر العامل النفسي بملء ذهن الإنسان بهذه الجنة التي يتخيلها الإنسان، فهذه الصورة الحسية التي تجسد لنا الجنة التي تنطلق من مبدأ التأثير العاطفي، والسيطرة النفسية على المدارك، فالناس أنماط في الحياة، هناك من يعبد الله طمعاً في جنته، وهناك من يعبده خوفاً من نارهِ فيأتي المثل فيمتلك على الإنسان قلبه بسرد ملذات الجنة الحسية في قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾.[2]

وهذا بيان لحال فريقين المؤمنين والكافرين في الآخرة مع وصف الجنة وما بها بعد بيان حالها في الاهتداء والضلال، صفة الجنة التي وعد بها المتقون، فهي تشيع روح الطمأنينة في النفس المؤمنة، وتطرد منها مشاعر الخوف، وهم آمنون من الفزع الذي يصيب من في السماوات والأرض. والله عز وجل يحيطهم بالثمرات، ووعدهم الله عز وجل بهذه الأنهار المختلفة التي تلقي على صاحبها روائع الآثار النفسية والروحية[3].

وتصوير الدنيا في القرآن الكريم التي يتكالب عليها الناس لها ميزانها النفسي كما يقرره السياق في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.[4]

ويصور القرآن الكريم أعمال الكافرين الضالة، وهم في صراع نفسي وتمزق داخلي بين المنع والردع والتسبب والانحلال كما في قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

---

(1) ينظر التفسير الفريد للقرآن المجيد 3/ 2376.
(2) سورة محمد الآية: 15.
(3) ينظر التفسير الواضح: 24/ 26، جولات في روضات الجنات محمد رشيد العويد: 90-91، دار إبن حزم، ط4، 1420هـ- 1999م.
(4) سورة يونس الآيات: 24.

بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾ .[(1)]

فهذا مثل ضربه الله عز وجل لأعمال الكفار. فالأعمال التي كانوا يعملونها في الدنيا يزعمون أنهم يريدون الله بها، مثل رماد عصفت الريح عليه في يوم عاصف، فنسفته وذهبت به، فكذلك أعمال أهل الكفر يوم القيامة، لا يجدون شيئاً ينفعهم عند الله. وأخرج ابن جرير عن ابن عباس (رضي الله عنهما) انه قال الذين كفروا بربهم وعبدوا غيره، فأعمالهم يوم القيامة كرماد، اشتدت به الريح في يوم عاصف، لا يقدرون على شيء ينفعهم، كما لا يقدر على الرماد إذا أرسل في يوم عاصف. فهي الصورة السلبية للأعمال عند الله [(2)].

وذكر القرآن الكريم في معرض حديثه عن العوامل النفسية بصورة غير مباشرة أن هذه العوامل قد تقود الفرد إلى الاضطراب النفسي والفكري في التمسك بالأفكار القديمة كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾ .[(3)]

أي تصرفنا عن عبادة الأصنام، وتكون لكم العظمة والملك والسلطان. وهو خطاب لموسى (عليه السلام) لأنه هو الذي ظهرت على يده معجزة العصا واليد البيضاء. وما نحن لك بمصدقين فيما جئتنا به، فيجب أن تكون أعمالنا موزونة، بميزان الله عز وجل غير متأثرة بنزعة فردية، أو تقليد أعمى للآباء دون فهم دقيق لمجريات الحياة[(4)]. ولعل العامل النفسي يبرز بصورته الجميلة، إذ أطرقت بسمعك واتجهنا بأرواحنا نحو قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ .[(5)]

فالباري عز وجل عقد مقارنة ومعادلة بين قسمين من الوجوه أحدهما: ناظرة إلى ربها مطمئنة نفسياً، وثانيهما: عابسة تظن أن ينزل بها أمر يقصم الظهر وهي

---

(1) سورة إبراهيم الآية:18.
(2) ينظر جامع البيان 8/ 196، والدر المنثور في التفسير المأثور: جلال الدين السيوطي 16/5-17، دار الفكر– ط1- بيروت- 1983.
(3) سورة يونس الآية: 78.
(4) ينظر الجامع لأحكام القرآن 7/ 366- 367، تنوير الأذهان من تفسير روح البيان، إسماعيل حقي البر وسوي 2/ 155، اختصار وتحقيق خادم الكتاب والسنة الشيخ محمد علي الصابوني ط2، 1409- 1989.
(5) سورة القيامة الآيات: 22- 25.

مكتئبة نفسياً. هذه الوجوه الناضرة.. نضّرها الله، لأنها إلى ربها ناظرة، فأي مستوى من الرفعة؟ وأي مستوى من السعادة؟. إن روح الإنسان لتستمع أحياناً بلمحة من جمال الإبداع الإلهي في الكون أو النفس تراها في الليلة القمراء فكيف بالنظر إلى وجه الكريم[1]؟.

فكان حديث القرآن الكريم عن العوامل النفسية يمثل حقيقة هامة، الا وهي انه لو اتبعت تعاليم الله عز وجل، وقيم الدين الإسلامي الحنيف بروح صادقة، فأنها تخلق أفراداً لا يعانون على الإطلاق من الصراعات النفسية، والإحساس بالذنب؛ بل أفراداً يتمتعون باستقرار عاطفي ويكونون مجتمعاً صحيحاً مستقراً، فمجتمعنا من المؤمنين بالمعنى الحقيقي يستطيع السيطرة على معظم المشاكل العاطفية والنفسية التي يعاني منها الجنس البشري هذه الأيام أما القرآن الكريم فهو يقدم الهوية الإسلامية والشخصية الواضحة الصريحة المعالم لأنه فهم السلوك البشري وشكل شخصيته، لان الإسلام ينظر للدين كمنهج وأسلوب يمكن الإنسان من ان يحيا الحياة الدنيا بنجاح هنا على الأرض، وليمكنه كذلك من الفوز في الحياة الأبدية في الآخرة.

(1) ينظر في ظلال القرآن 6/ 3770.

المبحث الخامس

صياغة العامل النفسي للشخصية

إن القرآن الكريم صاغ الشخصية الإسلامية بما هيأ لها من أسباب العلم والمعرفة في الإحاطة بهذا المنهج القرآني الذي أنزله الله عز وجل، ولكن هل سنصبح قادرين على استخدام هذه المعرفة بأنفسنا لمصلحتنا الحقيقية؟ يجب أن يعيد الإنسان صياغة نفسه حتى يستطيع التقدم ثانية.. ولكنه لا يستطيع صياغة نفسه دون ان يتعذب، لأنه البناء والهدم في وقت واحد. ولكي يكشف عن الوجه الحقيقي يجب عليه أن لا يستسلم في أول الطريق؛ فصياغة النفس تحتاج إلى صبر ومجاهدة ومثابرة، لأن المعركة مع الشيطان وعباده المؤمنين مستمرة، ولكن إذا فقهنا أن سر معركة الحياة هو بطاعة الله سبحانه، ويفوض المؤمن أمره إلى الله تعالى فيهديه السبيل، ويمهد له الأمور ويكنس من أمامه العتاه، فالصياغة تغيير والتربية تعديل السلوك، وتنميته ونرفض قول من يقول: بأن الخَلقَ كالخُلقُ لا يقبل التغيير، لأن السلوك يتغير بالاتجاه المطلوب المرغوب بوساطة التربية[1].﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.[2]

إن الصياغة الإيمانية التي يقوم عليها بنيان الدين، تأتي دائماً بمثابة الأفق الذي يصب في إرادة الجماعة المؤمنة على معطيات الزمن والتراب، ويوجهها في مسالكها الصحيحة، ويجعلها تنسجم في علاقاتها وارتباطاتها مع حركة السكون والطبيعة ونواميسهما، فيزيدها عطاء وقوة وإيجابية وتناسقاً كما يمتد عمودياً في أعماق الإنسان، لكي يبعث فيه الإحساس الدائم بالمسؤولية، ويقظة الضمير، ويدفعه إلى سباق زمني لا مثيل له لاستغلال الفرصة التي اتيحت له، كي يفجر طاقاته ويعبر عن قدراته التي منحه الله إياها عن طريق (القيم) التي يؤمن بها و (الأهداف) التي

---

(1) ينظر الإنسان ذلك المجهول، تأليف اليكس كاريل، تعريب شفيق أسعد فريد: 312- بيروت- مكتبة المعارف، صناعة الحياة، لمحمد أحمد الراشد: 21، الإمارات العربية، ط1، 1410هـ- 1989م، التربية ودورها في تشكيل السلوك: 32.
(2) سورة البقرة الآية: 282.

يسعى لبلوغها، فيما يعد جميعاً- في نظر الإسلام- عبادة شاملة يتقرب بها الإنسان إلى الله عز وجل [1].

مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾.[2]

وللإسلام وسائله المحكمة في صياغة المؤمنين به صياغة تختلف عن الأديان الأخرى والمبادئ، والفلسفات الأرضية، بما فيه من حكمة وعمق في خفايا النفس الإنسانية قال تعالى: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾ .[3]

وهذه الوسائل يمكن إجمالها فيما يأتي:

1- التصور السليم لموقع الإنسان في الكون:

فالإنسان عبد بفطرته وخلقته لربه، لا لغيره، وظيفته الانقياد لأمره، إذ الدنيا دار امتحان لجميع مواهبه وقواه النفسية في شعاب الحياة، والمختبر هو الله وحده، الذي لا يخفى عليه شيء في قلب الإنسان وعقله وجوارحه قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾.[4]

2- النظام الروحي:

بأسسه ومراحله ومناهجه التطبيقية ترسيخ لمعاني الخلق وإخصاب لدوافع السلوك،وأن النظام الروحي بمراحله الإيمان والطاعة والتقوى، كل تلك الصلات بالنظام الروحي تسهم في تقوية الصلة بين الإنسان وربه، ويضمن انشراح النفس بالالتزام بالسلوك الإسلامي ويكون العامل النفسي له أثره الواضح في صياغة الشخصية باحتضان هذا النظام الروحي الذي له أثرهُ على النفس، والذي يعمل على ترقيته في منازل ومسالك عالية، تؤتي أكلها كل حين، نحو هدفها ومسارها الذي رسمه الله عز وجل لها في هذا الكون.

3- مسؤولية الدولة في الهيمنة على الخلق، وتربية الأمة به:

لا يقتصر الإسلام على وصايا وتخطيط نظري فحسب، وإنما يجاوزه إلى إلزام الدولة برعاية الخلق للأمة، وإلزامها بالقيم الإسلامية، وإزالة غيرها بجميع الوسائل المحكمة

---

(1) ينظر التفسير الإسلامي في التاريخ، د. عماد الدين خليل: 225-226، ط2- 1987م.
(2) سورة الذاريات الآية: 56. ج
(3) سورة البقرة الآية: 138.
(4) سورة الطلاق الآية: 12.

التي عني بها ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾.[1]

4- القيم الخلقية، والمسؤولية الضخمة إزاءوها:

لابد من التأكيد على القيم الخلقية واسترجاعها والتذكير الدائم بها واستغلال وسائل الإعلام جميعها للتعريف بها وتحبيبها، وإزالة الغموض واللبس عنها، ونقد الخلق الغربي والشرقي نظرياً وواقعياً مع الموازنات المنطقية الحيادية بين الإسلام، وما سواه في ميدان الخلق.

5- القدوة العملية في السلوك:

ما اقتصر الإسلام على التصور السليم والنظام الروحي المحكم ومواجهة القيم الخلقية دائماً في بؤرة الذاكرة، فحسب وإنما صاغ لها نموذجاً صالحاً، هو سيد البشرية، فكان أكرم إنسان على الله عز وجل، وكان خلقه اعظم خلق ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾،[2] فأمرنا أن نقتدي به ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾.[3]

وقد حفظت لنا السيرة النبوية سيرته وأخلاقه وهي توضح آفاق الحياة[4].

ويجب في صياغة الأفراد مراعاة النظرة الإسلامية العامة للإنسان، أنه خلق في هذه الحياة للابتلاء من خلال مجموعات الأوامر والنواهي التي عليه أن يخضع لها؛ وهذا يستلزم قابلية هذا الإنسان للاندفاع نحو الخير والشر، وهذه القابلية تظل مصاحبة للإنسان مدى حياته، ولولا تزويد الله- تعالى- للإنسان هذه القابلية لكان في تكليفه ومخاطبته بالشرائع نوع من الظلم له؛ والله- تعالى- منزه عن ذلك. وذلك يجب مراعاة اختلاف أحوال بني البشر، لأن الإنسان خطاء؛ في ساحة المعترك بين الحق والباطل فتارة ينتصر الحق على الباطل عنده، وتارة يهزم، وتارة يغلب عليه الإنصاف، وتارة الظلم؛ وكثير من الظروف والملابسات التي تضعف من مقاومته لأهوائه وشهواته؛ ومن ثم فإنهم لم يأخذوا بكل قول يقال مجرداً عن ظروفه

---

(1) سورة الحج الآية: 41.
(2) سورة القلم الآية: 4.
(3) سورة الأحزاب الآية: 21.
(4) ينظر مدخل إلى التصور الإسلامي للإنسان والحياة، عابد توفيق الهاشمي 173-179، دار الفرقان للنشر ط1- 1402هـ- 1982م.

وسياقاته، وإنما حاولوا استبطان الأمور، والنفاذ إلى الدوافع الخافية من اجل حكم متوازن منصف.[1] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾[2]، ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾.[3]

وكل مجتمع يتكون من ثلاثة عناصر رئيسية هي: الأفكار والأشخاص والأشياء. وترتبط هذه المكونات الثلاثة طبقاً لعلاقة معينة تتبدل طبقاً للزمان والمكان. وحسب صياغة العلاقات تتكون شبكة العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات، ويتشكل محور الولاءات في المجتمع، ويتعدد مناهج الفهم والتفكير الذي ينتشر فيه، ويترتب سلم القيم الذي يوجه أنماط السلوك فيه.

ويكون المجتمع في أعلى درجات الصحة حين يكون الولاء للأفكار هو المحور الذي يتمركز حوله سلوك الأفراد وعلاقاتهم وسياسات المجتمع، بينما يدور الأشخاص والأشياء في فلك الأفكار. ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾.[4]

ففي هذه الحالة يتسلم مركز القيادة الأذكياء الذين يحسنون فقه التحديات واتخاذ القرارات، ويتسم منهج التفكير بالفهم والرسوخ والإحاطة، وتدور اهتمامات الأفراد والجماعات حول القضايا العامة الكبرى حول التحديات الداخلية والخارجية، وما تتطلبه من تضحيات، وتعبئة استعدادات لأن الصياغة تحتاج إلى فكر ثاقب يحمله الأشخاص يدور حوله الأشياء[5]. ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾.[6]

إذن لابد من صياغة للأفراد تبدأ بالتفكير وتنتهي بالعمل؛ العمل بمقتضى الدستور (الحق) الذي نزل به القرآن الكريم والجهاد في سبيل إقرار هذا الدستور،

---

(1) ينظر فصول في التفكير الموضوعي، د. عبد الكريم بكار، 119-129، دار القلم، ط1، 1413هـ- 1993م.
(2) سورة الحجرات الآية: 6.
(3) سورة الاسراء الآية: 36.
(4) سورة النحل الآية: 43.
(5) ينظر هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، د. ماجد عرسان الكيلاني 374-378، الدار العالمية، 1416هـ- 1995.
(6) سورة الحج الآية: 41.

وتيسير دفة الحياة على نهجه وشريعته[1]. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.[2]

وفي هذا العالم نجد عدة مظاهر للهدم والبناء وسلسلة غير متناهية للفناء والبقاء تحت هذا القانون المهيمن الشامل. والقرآن الكريم يقيم منهجاً للبناء متمثلاً بصياغة فريدة له، وذلك في طهارة القلوب من كل أدران الحقد والحسد وسوء النية، ويتمثل في طهارة الألسنة من الفحش في القول كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾،[3] والجهر بالسوء كما في قوله تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾،[4] والغيبة والنميمة كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾.[5]

وكثير من الأخلاق التي تمكن القرآن الكريم أن يغرسها في النفوس نبعت من أشرق منبع وأطهره نبعت من إيمان بالله يرجى ثوابه ويخشى عقابه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور[6].

أذن العامل النفسي له دور في صياغة الشخصية من خلال:

أ- توجيه الدوافع واشباعها له الأثر في صياغة الشخصية.

ب- الاتجاهات والأفكار، يجب أن تحتل مركز القيادة في المجتمع، حتى لا تتأثر الشخصية بصياغة متعثرة عن من لا يحسن الفكر ولا يقدر على توجيه الناس الوجهة الصحيحة التي ارادها لهم القرآن الكريم.

جـ- الميول والعواطف والوجدان، لها أساسيات في صياغة الشخصية فاذا توجهت إلى غير مسارها أصيبت الشخصية بالشلل والعوق.

---

(1) ينظر منهج التربية الإسلامية، محمد قطب: 83/1، ط3، دار الكتاب الإسلامي.
(2) سورة النحل الآية: 11.
(3) سورة الحجرات الآية: 11.
(4) سورة النساء الآية: 148.
(5) سورة الحجرات الآية: 12.
(6) ينظر الحضارة الإسلامية أسسها ومبادؤها لأبي الأعلى المودودي، 37، ط1- ترجمة عاصم حداد- بيروت، منهج القرآن في تربية المجتمع، د. عبد الفتاح عاشور: 289، دار الجيل للطباعة، ط1، 1399-1979م.

د- إيجاد الحلول للمشاكل الاقتصادية التي تؤثر في نفسية الفرد مباشرة، أو غير مباشرة مما يؤدي اضطراب الشخصية، أما إذا دفعت الزكاة إلى المستحقين، ووزعت الأموال بشكل عادل، فان الشخصية تكون ذو صياغة قوية ومتينة.

المبحث السادس

تكيف الإنسان مع البيئة الإسلامية ضرورية للعامل النفسي

إن مفهوم التكيف له أثره الواسع في تكوين شخصية الفرد، لأن التكيف مع بيئة اجتماعية مناسبة، يساعد الفرد على ممارسة نشاطاته وسلوكياته وفق ما يريد ويكون التكيف له أفقه الواسع اذا كانت البيئة هي التي يعيش فيها الفرد بيئة صالحة مقيمة لحدود الله واقفة عند حرامه ومتبعة حلاله. ووفقاً لهذا المفهوم يمكن أن يوصف سلوك الإنسان كردود أفعال لعديد من المطالب والضغوط البيئية التي يعيش فيها كالمناخ وغيره من عناصر البيئة الطبيعية. والكائن الحي في الواقع لديه من القدرة ما يساعده على التكيف والتلاؤم مع ظروف البيئة المادية والطبيعية، فالإنسان كما يتلاءم مع البيئة الطبيعية يستطيع أن يتلاءم مع الظروف الاجتماعية والنفسية التي تحيط به، والتي تتطلب منه باستمرار، أن يقوم بمواءمات بينها وبينه ؛ظروف الحياة نفسها تدفعه إلى هذا التكيف ويساعده على ذلك بما يملك الفرد من قدرة على التطبع الاجتماعي والذكاء ومن هنا يفسر السلوك الإنساني، باعتباره موافقات مع مطالب الحياة وضغوطها وهذه المطالب في أساسها اجتماعية نفسية في صورة علاقات متبادلة بين الفرد والآخرين وتؤثر بدورها في تكوين الفرد الذي يقوم ببناء النفس على أساس هذا التكيف[1].

إن البيئة وما ينطوي عليها من متغيرات هي أساس العامل النفسي، لأن البيئة الاجتماعية لها الأثر البالغ والكبير، فالذي في أسرة مؤمنة مسلمة، تقيم حدود الله عز وجل وتولي لها أهمية فهذه (الأسرة المؤمنة) تعد بيئة اجتماعية فيها عنصر العامل النفسي في أعلى درجاته، ويكون التكيف الإيماني مع هذه البيئة الاجتماعية يسير نحو الاطمئنان النفسي والروحي، وكذلك المجتمع الذي أفراده مؤمنون، فان التكيف معه سيكون له أثرهُ على من يمارس سلوكياته في داخله، لأن التكيف ممتزج مع النفس الإنسانية.

وقلما كتب المعاصرون في (النفس) من زاوية القرآن الكريم، لأنه يجب دراسة هذا الجانب بدقة حتى يعيننا في معرفة طريقنا إلى تكييف أنفسنا في الحياة، التكيف السليم، حتى نكون على وعي سليم بالإسلام، الذي يرسم لنا طريق النجاة والأمن

(1) ينظر المدخل إلى علم النفس، د. عبد الله عبد الحي موسى: 466، ط3، مكتبة الخانجي القاهرة.

والفوز والسيادة في متاهة الحياة المتطورة التي لا يقر لها قرار، والتي يشقى بها أهلها حين يقطعون صلتهم عن هدى حياتهم في مسيرة الواقع الاجتماعي[1].

والهدف منه ربط القلوب دائماً بالله عز وجل، في كل حادثة وفي كل شعور.

والمجال دائما مفتوح أمام كل مرب له عين مفتوحة، وقلب واع وإدراك بصير. إنه يستطيع أن يدرك اللحظة المناسبة للتوجيه، واللحظة التي تبلغ فيها حرارة الانفعال درجة الانصهار وعندئذ يعقد العقدة الوثيقة التي لا تنحل، ويطبع الطابع العميق الذي لا يزول، وحتى يكون الفرد على درجة من التكيف، فلابد من أسرة مؤمنة يتكيف من خلالها داخل البيت بما يريد من عبادة ربه، لأن هذا الأمر ملموس واقعياً ما للأسرة من أثر كبير في عملية التكيف[2].

ويلاحظ عندما نتعرض لمفاهيم الأمراض النفسية أن دوافع الإنسان تحركه فيسلك سلوكاً معيناً في البيئة التي يعيش فيها، وهو يستهدف من هذا السلوك الحصول على الملاءمة التي تحقق له الشعور بالأمن والارتياح. إلا أنه يحدث أثناء محاولة الإنسان للتكيف، أن ينجح أو يفشل أحيانا أخرى. وفي حالة الفشل ينشأ سوء التوافق وهو نتيجة طبيعية لردود الأفعال الناتجة عن اصطدام الفرد بالبيئة الخارجية، وما تحتويه من عقبات وصعاب وكف ومنع وإحباط، وعندها يقوم الفرد باستخدام طرق كثيرة، لعله يجد فيها وسيلة لتخفيف التوتر الذي ينشأ بسبب عدم التوافق بين الفرد والبيئة ؛وتشمل تلك الطرق: التبرير، والكبت ؛مما تجعله إنسانا ذا شخصية ضعيفة في المجتمع. على خلاف إذا كان الفرد متكيفا مع الإيمان: أسرة، ومجتمعا، ودولة، فلا يبقى من هذه الطرق شيء، بل هو في أمن وإيمان، واطمئنان وتكيف ملائم مع البيئة [3].

وزاد الأمر سوء أننا في ضعفنا اتصلنا بالغرب المادي في قوته وجبروته غير أننا كنا أسرع من أي شيء آخر إلى تلقف هذه الهنات، ولم نحسب حضارة الغرب الا متعاً ولذات، فألقيت في حياتنا التعسة وخلفت نفايات كثيرة، يحملها المصلحون اثقالاً فوق أثقالهم.

وما أروع الحياة حين تلتقي مع السماء والأرض لقاء المشوق!! أو إلتقاء الشجاع في ساحة الحرب!! إن الدين ما يجد رجاله الحقيقيون إلا بين هؤلاء الأحياء بمشاعرهم وأفكارهم [4].

---

(1) ينظر مدخل إلى التصور الإسلامي للإنسان والحياة: 24.

(2) ينظر منهج التربية الإسلامية 215/1.

(3) ينظر في سبيل موسوعة نفسية، السلوك: 106.

(4) ينظر هذا ديننا، محمد الغزالي: 135-136، مط السعادة 1960، والإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين، محمد الغزالي: 37، ط5، 1380- 1960، والإسلام والطاقات المعطلة: محمد الغزالي:24، دار الكتب، ط2- بمصر- 1383-1964.

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ .[1]

ولنا بمحمد ﷺ قدوة حسنة حيث وضع مفتاح النبوة على قفل الطبيعة البشرية، فانفتح على ما فيها من كنوز وعجائب وقوى ومواهب، أصاب الجاهلية في صميمها، فسدد رميته، وأرغم العالم العنيد بحول الله عز وجل على أن ينحى منحى جيداً ويفتح عهداً سعيداً، ذلك هو العهد الإسلامي الذي لا يزال غرة في جبين التاريخ[2].

ويكون التكيف بوساطة تنشئة الأفراد اجتماعياً، وتكوينهم تكويناً صالحاً، في سبيل تنمية صفاته الفردية، حسب قدراته الفردية وهي في ذلك لا تواجه واقعاً أياً كان، لتقره أو تبحث عنه، عن سند أو حكم أو برهان، تعلقه عليه، كاللافتة المستعارة، وإنما هي تواجه المجتمع والواقع، لتزنه بميزان القرآن الكريم، فتقر منه ما يوافق هذا الميزان، وتلغي منه ما لا يوافقه. ويكون التكيف ضمن:

أ- الاهتمام بالأسرة والأم، إذ بهما يشكل الوعاء التربوي الأول، الذي يلتقي بالطفل.

ب- الاهتمام بالطفولة والشباب، على أساس أنهما ذخيرة المجتمع.

جـ- التشكيل الاقتصادي للإنسان، على أساس تنميته إنساناً منتجاً.

د- التشكيل السياسي للأفراد بحيث تجعلهم واعين سياسياً قادرين على الإسهام في تقدم المجتمع الإسلامي والدفاع عنه والحفاظ على أمنه وطمأنينته.

هـ- تشكيل الإنسان عالمياً باعتباره عضواً في المجتمع الدولي[3].

ولابد للدعاة إلى الله عز وجل ان يراعوا في مناهج دعوتهم وأساليبهم الدعوية خصوصية هذه الأصول الكلية ويضعوها في الترتيب اللائق بها ويعطوها من الاهتمام بما يناسب حجمها وأثرها في النفس والمجتمع[4].

والتكيف للبيئة الاجتماعية الذي يصوره الإسلام قائم على ركنين أساسين (الثوابت) و (المتغيرات).

فالثوابت هي التي تحدد المبادئ والقيم والتي تحقق الحاجات الأساسية الدائمة للإنسان، والتي تضمن له إنسانيته، فإن فقدت في تطوره مسخت إنسانيته، وهزل في نفسه وفي واقعة.

---

(1) سورة ق الآية: 37.

(2) ينظر ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، للسيد أبي الحسن علي الحسني الندوي: 146دار بن كثير، ط1 دمشق ـ حلب سنة 1420هـ-1999م.

(3) ينظر فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم: 111-117.

(4) ينظر الفقه الحركي في العمل الإسلامي المعاصر، إبراهيم موسى الأبراهيم، دراسة تأصيلية نقدية: 175، دار عمار، ط1، 1418-1997.

و (المتغيرات) هي التي تجدد وسائل حياته، وتوسع مدى تصوره للسلوك ومدى تحركه في الحياة، وفي تنوع أسلوب التعامل الاجتماعي الإنساني ومرونته.

فالتكيف السليم منوط بمدى استيعاب هذين العاملين ومدى المرونة وبعد النظر في طبيعة التصرف السلوكي في ضوئهما.

فالثبات في عملية التكيف الاجتماعي، هو إطار شامل للفكر بين النفس الإنسانية والإسلام وواقع الحياة، الذي تأنس به وتلح في طلبه، وتلبية في حاجاتها التي يوافرها الإسلام للجسم والعقل والنفس والروح، والإنسانية في قلق فكري ونفسي واجتماعي، حين تحرم من بعض حاجاتها الإنسانية أو يحال بينها دونه[1].

ودوافع هذا الثبات هو مصدر الحق الذي نؤمن به، وهو أعظم قوة في الكون. وطبيعة الهدي الإلهي، فهو دافع فطري للتكيف وعقلي، لان العقل الموضوعي هو الذي يخر لعظمة ما فيه من توجيه متكامل ومنطقي. وهو دافع واقعي بسبب تجاوبه مع الواقع، وعملي لبعده عن الفلسفات والنظريات وخلقي، لأنه يدور في فلك رضوان الله ورضاء الناس في مجال الحق. وهو بعد كل ذلك دافع إنساني[2].

(وإن النفس الإنسانية لتتردى في الحضيض دركات ما لم يكن هذا البناء الشامخ للفضيلة والخير مستمراً وعامراً في ميدانه الرحب، وما لم يكن البناء، كذلك فإن الفطرة تتغير من نقائها إلى سوادها، فتستمرى الباطل والمنكر، وتستهجن الحق والمعروف، وقد تستمر في انتكاستها، فتنتهي إلى الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، وكما هو واقع اغلب الإنسانية اليوم)[3].

ويمكن أن نقول: إن طاقات النفس الإنسانية في البيئة الاجتماعية لابد ان توجه وذلك من خلال ما يأتي:

1- اختيار البيئة الاجتماعية لنماء قوى النفس. كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾[4].

(1) ينظر الفقه الحركي للعمل الحركي الإسلامي: 180.

(2) ينظر التصور الإسلامي للإنسان والحياة: 44-51.

(3) المصدر نفسه: 34-35.

(4) سورة الفرقان الآية:74.

2- الحرص على اجتناب البيئة الفاسدة. كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.(1)

3- التحذير من الالتجاء إلى الفاسدين والمنحرفين والاستظلال بظلهم. كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾،(2)

4- إصلاح البيئة الفاسدة. كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾.(3)

5- الهجرة إلى بيئة خصبة حين يعجز عن الإصلاح. كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ .(4)

6- توجيه طاقات النفس الإنسانية في تطوير الحياة بهدي الله. كما في قوله تعـــالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .(5)

(1) سورة الانعام الآية: 68.
(2) سورة هود الآية: 113.
(3) سورة يوسف الآية: 108.
(4) سورة النساء الآية: 97.
(5) سورة البقرة الآية: 143.

7- مسؤولية المسلم في إصلاح البيئة الاجتماعية العالمية. كما في قوله تعالى:
﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .[1]

8- توجيه الإسلام لطاقات النفس في عملية تطوير البناء.

كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ .[2] بهذه الخطوات يكون البناء الشامخ، قد استوى وغيرت النفس من سوادها إلى نقائها وقامت لا تخاف شيئا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر[3].

إذن فالإسلام لم يغفل أهمية التفاعل الكامل المتكامل بين العوامل والمثيرات في تكوين الشخصية الإسلامية، وفي تدعيم تنشئتها الاجتماعية على أسس ربانية إيمانية بما يرضي الله ورسوله والمؤمنين، وبما يكفل لها طيب الإقامة في الدنيا الفانية وحسن الثواب في الآخرة. ويجب مراعاة الانماط المتباينة في السلوك في الجوانب المختلفة للشخصية البشرية، ولا ينكر الإسلام أهمية المؤثرات البيئية وتفاعلها مع العوامل الوراثية في تكوين شخصية الفرد، وتحديد سلوكه حيث تعتبر البيئة المصدر الأساس في تحديد الأنماط السلوكية للإنسان.

وبناء على ما تقدم تعتبر البيئة والوراثة المصدرين الأساسيين لتشكيل السلوك الإنساني وفقاً لما ورد في القرآن الكريم.

---

(1) سورة البقرة الآية: 256.
(2) سورة التوبة الآية: 111
(3) ينظر التصور الإسلامي للإنسان للحياة: 34-35.

الفصل الثاني

بعض الإشارات القرآنية لأهمية الدوافع النفسية

الفصل الثاني

بعض الإشارات القرآنية لأهمية الدوافع النفسية

يشير القرآن الكريم في كثير من آياته الكريمات إلى دور الدوافع النفسية؛ وما لها من الأثر البالغ والواضح في بناء الشخصية؛ ويكون ذلك بتغير ما في النفس، مما تشكل الدوافع النفسية دوراً كبيراً في نواحٍ كثيرة في حياة الفرد فيبرز دورها في قول الباري عز وجل﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾،[1] حيث تشير الآية إلى عملية التغير الاجتماعي، حيث يرى القرآن الكريم ان العامل النفسي مقدمة ضرورية للتغير الاجتماعي، فالإسلام نفسه دعوة إلى التغير النفسي من عادات المجتمع المادي أو الجاهلي، حيث يوجه القرآن الكريم دعوة إلى التحول من مظاهر اجتماعية معينة إلى مظاهر أخرى مقابلة لها تماماً عن طريق التبصير باخطار المظاهر الاجتماعية الأولى، فدور العوامل النفسية يعد ضرورة تسبق التغير الاجتماعي لا يحدث في نظر الإسلام بالزام أو اكراه بوساطة السلطة الخارجية؛ فالحياة النفسية يؤثر فيها الإقناع والمنطق. حيث ان الالزام والإكراه قد يسبب عناداً مضاداً، فان لم يبد هذا العناد فلأنه قد غلف بالنفاق والتهرب من الالتزام. فمن إشارات القرآن الكريم ترغيبه في الانفاق، كما في قوله تعالى: ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴾،[2] وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾.[3]

فمع كون القرآن الكريم يشير في الآية الأولى إلى أن المال مستخلف عليه من الله عز وجل والمالك الحقيقي له هو الله تعالى، ويشير في الآية الثانية صراحة إلى أن الله عز وجل هو الذي يؤول إليه كل ما في الدنيا حيث يعد بالأجر الكبير والجزاء الأوفى للمنفق، فهو حث له وترغيب في أن ينفق بحريته ومشيئته فيحفظ عليه إنسانيته التي يلتزم بوساطتها، ولا يلزمه بأمر خارج عنها، وهكذا فالإقناع هو الذي يشكل الأهمية الكبرى في عملية التغير الاجتماعي في عملية صياغة دور العوامل النفسية في التحول وله اثره البالغ في البناء، وليس بالإكراه والإلزام؛ حيث إن

---

(1) سورة الرعد الآية: 11.
(2) سورة الحديد الآية: 7.
(3) سورة الحديد الآية: 10.

العوامل النفسية هي التي تؤدي إلى التحول الاجتماعي ولا يتم ذلك إلا بعد تحول نفسي[1].

وكان للعوامل النفسية دور كبير في عدم الاستجابة إلى كلام الكفار والمنافقين وعدم التأثر به نفسيا، حيث قرر القران الكريم انه كلما لقيت دعواتهم آذاناً صاغية فانهم يفرحون بذلك ويستبشرون وهذا شأنهم في كل عصر كما في قوله تعالى: ﴿ فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ﴾[2].

ويبرز دور العوامل النفسية وما تشير إليه آيات القرآن الكريم في مواضع كثيرة، ففي يوم الأحزاب، حيث مر المسلمون بازمات واحداث، لقد كان الوجود الاسلامي مهدداً بالإجتثاث، حيث صور القران الكريم هذا الموقف بانعكاساته النفسية كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ﴿١١﴾ ﴾[3].

ولعل من أبرز الأمثلة التطبيقية لدور العوامل النفسية ما تشير إليه غزوة فتح مكة، فقد أدى دور العوامل والتخطيط الفذ الذي وضعه الرسول ﷺ، والذي أستخدم فيه عامل المفاجأة وإظهار القوة والتقدم نحو مكة في أربعة أرتال لإرباك قريش وتشتيت قواها وعقلها أدى ذلك إلى إحداث خلل في توازنها النفسي، وإلى زعزعة ثقتها في إمكان المقاومة والنصر على المسلمين؛ مما أدى إلى تجريدها تماماً من إرادة القتال، وقد تمثل هذا في قول أبي سفيان: هذا محمد جاءكم فيما لا قبل لكم به وبذلك فتح المسلمون مكة بلا قتال يذكر فالنصر لا يكون بكثرة العدد ولا بجودة السلاح فقط إنما يكون بدافع معنوي يغمر نفوس المحاربين ويدفعهم إلى التضحية والفداء[4].

---

(1) ينظر القرآن والمجتمع، د. محمد البهي: 112، ط2، 1406هـ-1986م.
(2) سورة التوبة الآية:81.
(3) سورة الأحزاب الآية: 9-11.
(4) ينظر السيرة النبوية لابن هشام 404/3حققها وضبطها مصطفى السقا وآخرون، دار الفكر، بيروت، السيرة النبوية دروس وعبر. د. مصطفى السباعي: 171/ ط1، مطبعة انوار دجلة، 1423هـ- 2003م.

وقد أكد القران الكريم هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾.[(1)]

ومع هذا فإن الإسلام لم يهمل الإهتمام بالسلاح اللازم في المعركة، ليكون في خدمتهم، حيث لم يشأ الإسلام أن يدخل المسلمون معركة دون الاعداد لها مادياً ومعنوياً؛ فقد أهتم بإعداد المقاتلين، ليكونوا على درجة من الكفاءة في القتال؛ فعلمهم على أصول القتال ومواجهة العدو وأهتم بهم بدنياً وعقلياً، وغرس فيهم روح المقاتل الصادق المؤمن حتى أصبحوا مضرب الامثال بين جند العالمين[(2)].

فالعوامل النفسية لها الأثر في البناء إذا تكفلت النفس بتكوين حالة نفسية متكاملة، يكون السلوك فيها متمشياً مع المعتقدات الدينية مما يؤدي إلى توافق الشخصية والسعادة النفسية والصحية، فنجد المؤمن المثقف ثقافة قرآنية يمتلك أعلى درجات السكينة النفسية فلا يجزع إذا أصابته مصيبة، لأنه يؤمن بالقدر خيره وشره ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه[(3)].

ويردد دائماً قوله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾.[(4)]

فالقرآن الكريم يمتلك الدواء الأول والأخير، لمن تدبر صفحاته وعاش في ظل رحابه، حيث يملك الدواء للمشكلات النفسية وما يعانيه الأفراد وما تعاني منه المجتمعات، إذ بمرور الزمن يتضح أن القرآن الكريم قد أوجد الطرق العلاجية التي ما توصل اليها علم النفس إلا حديثاً،[(5)] وقد أكد القرآن الكريم هذه الحقيقة في العديد من آياته من ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي

(1) سورة البقرة الآية:249.
(2) ينظر فن إدارة المعركة في الحروب الإسلامية،فرج محمد: 7-8، مجمع البحوث الإسلامية للكتاب1391-1972.
(3) ينظر التوجيه والارشاد النفسي، حامد عبد السلام: 320، عالم الكتب، ط2، 1980.
(4) سورة الحديد الآية: 22.
(5) حيث ثبت في دول الغرب انه يتم معالجة المريض نفسياً من خلال قراءة القران الكريم عليه، فقد تماثل الشفاء الكثير من الذين يعالجونهم بهذه الطريقة، حيث أثبت الباحث الهولندي البروفسور فان دير هوفين أن قراءة القرآن وذكر الله وخاصة حَرف الهاء في كلمة الله يعالج اصعب الأمراض النفسية ويبعث على هدوء الأعصاب لدى الإنسان. (لفظ الجلالة يعيد التوازن النفسي والروحي للانسان نحو موسوعة اسلامية نفسية: 1 د.ت).

﴿ ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾،[1] وقوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾.[2]

فبين سبحانه وتعالى أنه أنزل هذا القرآن الكريم ليذهب ما في القلوب من أمراض وشك وقلق، ليفيض عليها البرء والعافية واليقين والأطمئنان والسلام مع الإيمان[3].

ولابد أن نشير إلى أن جمهور المرشدين والمعالجين النفسيين على اختلاف أديانهم أجمعوا على ان العوامل النفسية تقوم على أسس ومفاهيم ومبادئ وأساليب دينية وروحية، إذ ان المعتقدات الدينية لكل من المرشد والمسترشد هامة وأساسية لكونها تعد ضوابط للسلوك ومعايير مقدسة محددة له[4]،من خلال ما عرضناه يتبين أن اشارات العوامل النفسية ودورها له تأثير فعال في تنظيم سلوك الأفراد وضبطها، فهنا يكمن دورها في أعطاء الفرد القوة على التغلب وقهر الازمات النفسية والإنفعالية أثناء تعرضهُ للمشكلات الأجتماعية والمواقف المحرجة في حياته[5].

أن ما نحتاجه الآن هو فهم للسلوك البشري بطريقة علمية في ضوء القرآن الحديث، وان على علماء النفس المسلمين، وكذلك المحلليين النفسيين ومن يعملون في مختلف جوانب المهنة لتطوير علم النفس الإسلامي، ووضع خطوط عريضة ترشد الأمة الإسلامية، وبهذا يحولون المجهول الى معلوم، ويبدلون الجهل بالمعرفة وهذا ما سنتناوله في المباحث الآتية:-

المبحث الأول

إنزال السكينة في قلوب المؤمنين في غزوة بدر

إن القرآن الكريم بكل ما فيه من عبر ومواعظ يمد الإنسان بطاقة نفسية هائلة، ويعطي الفرد الإحساس بالسكينة والاطمئنان النفسي.

بيد أن القرآن الكريم كتاب جاء لتغيير النفس الإنسانية، وقد حفل بعدة صور ومشاهد للتأثير في النفس، وبعض هذه الصور والمحاولات كانت تمارس من الكافرين على المؤمنين لصدهم عن سبيل الله، وثنيهم عن المضي في طريق الدعوة إلى الله واتباع رسل الله. فضلاً عن تجارب الأنبياء التي حفل بها القرآن الكريم،

---

(1) سورة يونس الآية: 57.
(2) سورة الإسراء الآية: 82.
(3) ينظر في ظلال القرآن 443/4.
(4) ينظر التوجيه والارشاد النفسي: 59.
(5) ينظر الاجتماع الديني: 177.

والتي لخصت لنا تاريخ الصراع بين الكفر والإيمان، فقد عرض لنا القرآن الكريم تجربة النبي محمدﷺ، وهي أغنى التجارب في هذا الميدان.

فقد واجه أنواعا من العداء، وألوانا من العدوان وصوراً من الحرب المادية والمعنوية[1].

كما في قوله تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ ﴾[2].

وإن كل أزمات العصر ومآسيه ستزول.. ابتداءً من أعمق أعماق الإنسان، وحتى أكثر العلاقات الاجتماعية عمومية وشمولاً، بمجرد أن يتبصر الناس بالنور الذي جاءهم من خالق السموات والأرض ومبدع الإنسان والحياة، وسوف ينزل الله عز وجل السكينة في قلوب المؤمنين الموحدين، كما أنزلها في قلوب أهل بدر، ويبدلهم من بعد خوفهم آمناً ويمكنهم الأرض، إذ هم استقاموا على الشرط ولندع السياق القرآني يقرر هذا الشرط[3].

في قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾[4].

ولعل من الضروري أن نشير إلى ان سبب غزوة بدر لما سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مقبلاً من الشام، ندب المسلمين اليهم، وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله ينفلكموها. فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول اللهﷺ يلقى حرباً، وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الأخبار ويسأل من لقي من الركبان تخوفاً على أمر الناس، حتى أصاب خبرا من بعض الركبان أن محمدا قد استنفر أصحابه لك ولعيرك فحذر عند ذلك فاستأجر ضمم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة، وأمره أن يأتي قريشا فيستنفرهم إلى أموالهم ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه فخرجوا سريعا إلى مكة، وجيش

---

(1) ينظر الحرب النفسية من منظور اسلامي، د. أحمد نوفل، 10-11،دار الفرقان، ط2، 1407-1995.

(2) سورة المؤمنون الآية: 25.

(3) ينظر فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر د. عماد الدين خليل: 224، مؤسسة الرسالة، ط1، 1397- 1977.

(4) سورة النور الآية: 55.

المسلمين ببدر لا يمثل كل طاقاتهم العسكرية، فإنهم خرجوا لأخذ القافلة ولم يعلموا أنهم سيواجهون جيش قريش[1].

ولم يطمئن بعض المسلمين لنجاة القافلة ومواجهة جيش المشركين، لأنهم لم يستعدوا للقتال، وقد صور القرآن الكريم موقفهم في الآيات الآتية ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٦ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧﴾[2].

وقد ثبت في القرآن الكريم أن الله تعالى أمد المسلمين بالملائكة يوم بدر، وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝١٢٣ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ۝١٢٤ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ۝١٢٥ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١٢٦﴾[3].

وقال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝١٠﴾[4].

وقال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾[5].

---

(1) ينظر السيرة النبوية، لابن هشام 606/1، السيرة النبوية الصحيحة، محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية د. أكرم ضياء العمري 354/2، مكتبة العبيكان- الرياض، ط1، 1416هـ- 1995م.
(2) سورة الأنفال الآيات: 5-7.
(3) سورة آل عمران الآيات: 123-126.
(4) سورة الأنفال الآيات: 9-10.
(5) سورة الأنفال الآية: 12.

وجعل الله عز وجل إرداف الملائكة بعضها بعضاً وتتابعها بالمسير إليكم أيها المؤمنون مدداً لكم وبشرى تنصركم بنصر الله إياكم على أعدائكم ولتسكن قلوبكم بمجيئها إليكم، وما تنصرون إلّا أن ينصركم الله عليهم، فالله عز وجل بيده كل شيء، عزيز لا يقهره شيء، ولا يدخل تدبيره وهن ولا خلل، ولعل اشارتنا في هذا الموضع يعود إلى دور العامل النفسي، لأن النفس الإنسانية جُبلت على حب ما يفرحها فقتال الملائكة مع المسلمين كان له العون الإلهي والنفسي، لأن الباري عز وجل يعلم أن ميدان المعركة فيه أحتدام النفوس والمشاعر، فإذا جاءهم مدد من الملائكة طارت النفس وفرحت مع ما تتمتع به من قوة إيمانية ونفسية(1).

والمقصود التنبيه على أن الملائكة وإن كانوا قد شاركوا المؤمنين في القتال، إلا أن الواجب على المؤمن أن لا يعتمد على ذلك بل يجب أن يكون اعتماده على اغاثة الله ونصره وهدايته وكفايته، والباري عز وجل هو الحكيم فيما ينزل من النصرة فيضعها في موضعها، فالمؤثر الحقيقي هو الله تعالى، حتى يثق به المؤمنون، ولا يقنطوا من النصر عند فقدان أسبابه، والله يبشركم بأنكم تنتصرون وتطمئنون بالإمداد، وتكِّنُ إليه نفوسكم وتزول عنكم الوسوسة، ولا تحسبون النصر من الملائكة (عليهم السلام) فإن الناصر هو الله تعالى لكم والملائكة، والله لا يغالب في حكمه ولا ينازع في قضائه، يفعل ما يشاء، حسبما تقتضيه الحكمة الباهرة، فهو درس نفسي من جانب، وإشارة قرآنية إلى التوكل والأخذ بالأسباب من جانب أخر(2).

كانت التربية الإلهية في الحقيقة مستمرة لا تنقطع أبداً في الحضر والسفر، في الجهاد والإقامة، في الغزو وفي المرابطة فقد كان القرآن الكريم ينزل، ليبني هذه الأمة وكان ﷺ إمام المربين يعالج هذه النفوس البشرية حتى تستوي على منهج الله، وهو الخط الذي لم ينقطع أبداً خلال حياة الرسول ﷺ.(3)

وكانت غزوة بدر في اليوم السابع عشر من رمضان، يوم الجمعة لثمانية عشر شهراً من الهجرة، وكان عدد المشركين ما بين تسعمائة إلى الألف، وكان عدد المسلمين ثلاثمائة وثلاثة عشر أو اربعة عشر رجلاً، فنصرهم الله يوم بدر وقتل فيه صناديد قريش، وعلا في ذلك اليوم بناء الإسلام، وكان أول قتال قاتله النبيﷺ وكان رسول الله ﷺ وابو لبابة وعلي بن أبي طالب (رضي الله عنهما) يتعاقبون على بعير واحد، فأراد المؤمنون أن يؤثراه بالركوب فقال: ﴿ما أنتما بأقوى مني، ولا أنا بأغنى

---

(1) ينظر جامع البيان: 192/6-193.
(2) ينظر تفسير الفخر الرازي 135/8، روح المعاني 174/5.
(3) ينظر المنهج الحركي للسيرة النبوية، لمنير محمد الغضبان: 426/2، مكتبة المنار، الأردن، ط3، 1411هـ.

عن الأجر منكما﴾.[1] ويا لروعة هذا الموقف !! عندما يستوي القائد والجند في تحمل الشدائد، وقد تملكهم الصدق والإخلاص في التطلع إلى رضوان الله وثوابه، فهو موقف له دوره النفسي، واشارته الواضحة إلى تعزيز الدافع المعنوي في قلوب المؤمنين[2]. وفي ذلك يقول الباري عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾.[3]

ولا غضاضة في الذل إلا إذا كان عن قهر البغاة والظالمين، ولم يكن المؤمنون مقهورين ولا مستذلين من الكافرين، وإنما كانت قوتهم في أوائل تكونها، وجعل الباري عز وجل التقوى ملاك الأمر كله فهي التي تعدكم للقيام مقام الشكر على النعم التي يسيريكم إياها فمن لم يروض نفسه بالتقوى غلب عليه اتباع الهوى فلا يرضى له أن يكون شاكراً يعرف النعمة لمَ وهبت لأجله من الحكم والمنافع؟[4].

أما آثار هذه الغزوة واشاراتها فهي:-

أ- أما بالنسبة للدعوة: فقد انضمت اعداد جديدة للاسلام في المدينة وبعض شخصيات مكة.

ب- وأثرها بالنسبة لقريش: فقد هشمت كبرياءها وقتل جُلُّ قياداتها، وخيرة أبنائها وشبابها، وفاتها المركز الضخم الذي كانت تطمح إليه بين العرب، وبدت هذه الآثار فيما كان يريد الباطل أن يصل إليه.
وقد كبت الباطل أيما كبت، وحاولت قريش أن تتجلد للمصيبة، ومنعت النوح على قتلاها، ولعل هذه الحادثة تبرز الوضع النفسي المرير والمحطم الذي آلت إليه قريش.

جـ- أما موقف المسلمين في المدينة فقد تعزز وأصبحوا سادة المنطقة كلها.

د- أما أثرها بالنسبة لليهود في المدينة: فقد غلا الحقد في قلوبهم، وأصبحوا يشعرون بخطورة الإسلام والمسلمين عليهم.

هـ- وأثرها بالنسبة للعرب كافة: شعر العرب أن القوة الإسلامية مرهوبة الجانب قوية الشكيمة، كانت بدر من حيث آثارها الخطيرة ظاهرة

---

(1) مسند احمد411/1، اسناده حسن من أجل عاصم بن بهدلة، مسند الإمام أحمد، تحقيق شعيب الارنؤوط: 17/7.
(2) ينظر جامع البيان: 74/3، الجامع لأحكام القرآن: 190/4، في ظلال القرآن3/ 1483-1484، السيرة النبوية الصحيحة 355/2.
(3) سورة آل عمران الآية: 123.
(4) ينظر تفسير القرآن الحكيم، الشهير بتفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، 109/4-111، ط2، اعيد طبعه بالأوفيست، دار المعرفة للطباعة والنشر، ط2.

أرضية، وظاهرة كونية شارك بها الإنس والجن والملائكة، وباركها الله عز وجل بنصره الكبير[1].

ويمكن أن نحصر هذه الاشارات القرآنية ودور العوامل النفسية فيما يأتي:

1- الملائكة: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ﴾.[2]

2- المطر والنعاس: ﴿إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ﴾.[3]

3- الملائكة تقاتل وتثبت ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ﴾.[4]

4- القلة والكثرة ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ﴾.[5]

فقد قاد الرسول ﷺ بنفسه ثماني وعشرين غزوة خلال سبع سنين بعد هجرته إلى المدينة. مع ذلك لم يفشل الرسولﷺ في أي معركة خاضها المسلمون بقيادته، لأن الذي يدرس غزوات بدر وأحد والخندق وحنين يطلع على الأثر الشخصي الفعال لقيادة محمد ﷺ، ذلك الأثر الشخصي الحاسم الذي لو لم يكن المسيطر الأول على سير القتال لتبدل وجه التاريخ عما هو معروف به الآن[6].

هذا هو رسول الله ﷺ مربياً وقدوة وقائداً.. وهكذا ينبغي أن يربي القادة من الشباب، ليكونوا حملة الراية فيتواصل العطاء وتكمل المسيرة، وعند ذلك نرجو الله

---

(1) ينظر فقه السيرة النبوية، منير محمد الغضبان 283-285، دار الوفاء، ط1، 1417- 1997.
(2) سورة الأنفال الآية: 9.
(3) سورة الأنفال الآية: 11.
(4) سورة الأنفال الآية: 12.
(5) سورة الانفال الاية: 12.
(6) ينظر الرسول القائد تأليف اللواء الركن محمود شيت خطاب، 297، منشورات دار مكتبة الحياة- بيروت، ط2، 1996.

أن يمن علينا بقطف الثمرات اليانعة الناضجة، وإلاّ فمزيد من الحيرة والتخبط والضياع في القلق والإضطراب النفسي[1].

ولعل كلام الأنصار في غزوة بدر له اشارة قرآنية واضحة لدور العوامل النفسية، وما لهذا الكلام من أثر نفسي يقع في النفس فيجلي عنها ما قد يعلق بها من هموم وأحزان فقد قالوا للرسول ﷺ في هذا الموقف: ﴿فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا، على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقي بنا غداً، إنا لصبر في الحرب، صدق في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله- فسُرّ رسول الله ﷺ بقول سعد بن معاذ، ونشطه ذلك ثم قال: سيروا وأبشروا، فإن الله وعد لي إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم﴾.[2]

وكذلك قول المقداد بن عمرو الذي يمثل التكاتف والترابط النفسي فقد قال للرسول ﷺ (يا رسول الله أمضِ لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾.[3]) ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون،فو الذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه، حتى تبلغه فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له به.

سنة الله الثابتة والدائمة التي تعني بالنصر الإلهي، وكانت طاعة المسلمين في بدر؛ طاعة شملت كل المشاركين في بدر المهاجرين والأنصار سبباً في تحقيق النصر[4].

وسورة الأنفال تكاد تكون متخصصة بغزوة بدر، وذلك على طريقة القران الكريم التربوية الشمولية، ومنهجه في ربط الأحداث في النفوس، وتربية الصف المسلم والجماعة المسلمة وربط الواقع بالتاريخ الإنساني، فالقرآن الكريم يفتح أفاقا كبيرة، ليصبح الهدف الذي يريد أن يصل إليه قد بنيَ بناءاً فريداً، من مدرسة عالمية أساسها التقوى، والشكر في مقام النعم.

فكانت غزوة بدر تربية نبوية تعلمنا على أن أسباب النصر والتمكين، إنما تكون بتقوى الله عز وجل وكانت شخصيات صحابة رسول الله ﷺ في هذه الغزوة من أقوى الشخصيات مما يعطينا الدرس النفسي الرائع الفريد، هو أن الإيمان بالله عز وجل هو العلاج الوحيد للعودة الى الشخصية الإسلامية في وعيها الكوني الممزوج

---

(1) ينظر الفقه الحركي في العمل الاسلامي المعاصر:89.
(2) السيرة النبوية لابن هشام: 615/1.
(3) سورة المائدة الآية: 24.
(4) ينظر السيرة النبوية لإبن هشام: 615/1.

بالإيمان، وربط الروح بالترقي سعياً نحو وجه الله، فإن الشخص، وكذلك الأمة لا ترضى بالعيش بين الجحور بل يضل ساعياً نحو الكمال والتكامل في شؤون الحياة فتعمر به الحياة.

المبحث الثاني

الثلاثة الذين خلفوا

أشار القرآن الكريم، في هذا الدرس القرآني، إلى ضرورة الالتزام بقوانين المعركة وضوابطها من غير شك ولا نفاق، لأن الرسول ﷺ يعلم أصحابه على القوة والشدة، وأن يكون أمر الثلاثة الذين خلفوا درساً في الحياة من زمن الرسول ﷺ وإلى يومنا هذا،ويجب أن تكون الطاعة لله ورسوله، والتخلف أمر غير ذلك، لأن الإنسان يجب أن يقدم على الحياة بقوة وبأس شديدين، لا أن يخذل وأن يخاف مما كتبه الله عز وجل لعباده، فالنفس كما أرادها القرآن الكريم يجب أن تأخذ على اللين والشدة، حيث يستخدم اللين في موضعه قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾،[1] وأن تكون الشدة في موضعها، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾.[2]

(وحين قدم رسول الله ﷺ، وقد كان تخلف عنه رهط من المنافقين، وتخلف أولئك الرهط الثلاثة من المسلمين من غير شك ولا نفاق: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية؛ فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: لا تكلمِّن أحداً من هؤلاء الثلاثة، وأتاه من تخلف عنه من المنافقين فجعلوا يحلفون له ويعتذرون، فصفح عنهم رسول الله ﷺ، ولم يَعْذرهما الله ولا رسوله. واعتزل المسلمون كلام اولئك النفر الثلاثة)[3].وهؤلاء الثلاثة قال عنهم القرآن الكريم ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.[4]

لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار، وعلى الثلاثة الذين خلفوا وهؤلاء الذين وصفهم الله بهذه الآية، فارجأهم عمن تاب عليه ممن تخلف عن رسول

(1) سورة آل عمران الآية: 159.
(2) سورة الانفال الآية: 60.
(3) السيرة النبوية لابن هشام 531/3.
(4) سورة التوبة الآية: 118.

الله ﷺ وقد ضاقت عليهم الدنيا بسعتها غماً وندماً على تخلفهم عن الجهاد مع رسول الله ﷺ وضاقت عليهم أنفسهم بما نالهم من الوجد والكرب بذلك، وأيقنوا بقلوبهم أن لا شيء لهم يلجئون إليه مما نزل بهم من أمر الله من البلاء بتخلفهم خلاف رسول الله ﷺ ولا شيء ينجيهم من كربه، ولا مما يحذرون من عذاب الله إلا الله، ثم رزقهم الانابة إلى طاعته والرجوع إلى ما يرضيه عنهم، لينيبوا إليه ويرجعوا إلى طاعته، والانتهاء إلى امره ونهيه، والله هو الوهاب لعباده، الموفق من أحب توفيقه منهم لما يرضيه عنه، الرحيم بهم أن يعاقبهم بعد التوبة، أو يخذل من أراد منهم التوبة والإنابة، وهو مثل لشدة الحيرة، والمراد أنهم لم تحملهم الدنيا مع سعتها، وضاقت عليهم قلوبهم وعبر عنه بذلك مجازاً. وأصبحت الأرض لا تسع المرور لضيقها، فالتعبير صادق في مدلوله الواقعي فوق صدقه في جماله الفني الذي يرسم هذه الأرض تضيق بالثلاثة المخلفين وتتقاصر اطرافها وتنكمش رقعتها فهم منها في حرج وضيق. وقد عقبت سورة التوبة بتفصيل موقف المتخلفين، فأنكرت عليهم التخلف عن النفير العام حيث تحول الجهاد إلى فرض عين، ثم اعلنت قبول توبتهم وأخذ صدقات أموالهم[1].

وصار النبي ﷺ معرضاً عنهم ومنع المؤمنين من مكالمتهم، وأمر أزواجهم باعتزالهم، وبقوا على هذه الحالة خمسين يوماً وقيل: أكثر، وضاقت عليهم أنفسهم والمراد ضيق صدورهم بسبب الهم ومجانبة الأولياء والأحباء ونظر الناس لهم بعين الإهانة ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ﴾.[2] والله عز وجل يريد من المؤمن أن يتعلم درساً في الصدق حيث يرشدهم إلى التقوى والصدق في الأفعال والأقوال، فقد عوقبوا على ذلك هذه المدة ثم تاب الله عليهم، فكان عاقبة صدقهم خيراً لهم وتوبة عليهم ولهذا قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾،[3] أي اصدقوا والزموا الصدق تكونوا من اهله وتنجوا من المهالك، ويجعل لكم مخرجاً من كل أمر فالتقوى أساس الأعمال والصدق أساس الأقوال[4].

وقد ملأ الغم قلوبهم من فرط الوحشة بحيث لا يدخلها أنس ولا سرور، وعلموا في نهاية المطاف أنه لا ملجأ ولا عاصم من سخطه، إلاّ أن يطلبوا المغفرة منه، فتاب الله عليهم ليستقيموا على توبتهم، هنا في هذا الجو المكروب يخلع على المشهد ظلاً

---

(1) ينظر جامع البيان 56/7، روح المعاني 41/6-42، في ظلال القرآن 1732/3، السيرة النبوية الصحيحة 533/1.
(2) سورة التوبة من الآية: 118.
(3) سورة التوبة الآية: 119.
(4) ينظر تفسير الفخر الرازي: 224/8، تفسير القرآن العظيم: 170/3.

من الكربة واليأس والضيق لا مخرج منه إلا بالالتجاء إلى الله مفرج الكروب. ثم يجيء الفرج ثم تاب عليهم من هذا الذنب الخاص، لينيبوا إلى الله إنابة كاملة في كل ما سيأتي[1].

ونخرج من ذلك بجواز هجران أهل المعاصي، حتى يتوبوا ويتيقنوا أن لا ملجأ يلجئون إليه في الصفح عنهم وقبول التوبة منه إلاّ إليه. والتوبة النصوح ان تضيق على التائب الأرض بما رحبت، وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب وصاحبيه. وبدأ الله عز وجل بالتوبة منه فقال تعالى: ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾،[2] والله فسح لهم ولم يعجل عقابهم. وهؤلاء تخلفوا من غير شك ولا ارتياب[3].

ويمكن لنا أن نقول: إن الضعف طبيعة من طبائع النفس الانسانية، فالإنسان لا يكاد يستقر على شيء ولا يثبت على قاعدة، بل يستجيب للمؤثرات المتعارضة، ويتلون بألوان مختلفة، قال تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴾.[4]

وتوبة كعب ﷺ وما حملت في آفاقها من معاني السمو والإعتراف بالخطأ وتعاليه، عن الدنيا التي تتراقص له بدعوة ملك غسان له أما بعد، فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسيك، فقلت لما قرأتها: وهذا أيضاً من البلاء وأنها زيادة في إمتحانه، فإذا كان هذا المستوى في الصدق والولاء لله ورسوله، والالتزام في تنفيذ أشد العقوبات عليه واستعداده لطلاق امرأته، وتخليه عن ماله طاعة لله ولرسوله فيجب علينا أن نقارن بين أعلى المستويات الإيمانية عندنا والتي لا ترقى أبداً ادناها هناك، فيجب ان نرتقب من ذلك المستوى الإيماني التربوي الرفيع[5].

وحتى تعرف الحركة الإسلامية سلامة صفها، فلابد من أن تعرف مقدرتها على تنفيذ مثل هذه الأوامر في قطاع خاص من قطاعاتها. وحين لا تنجح في هذا الحيز الضيق فهي على المستوى الأوسع أعجز، وهي بالتالي تحتاج إلى معاناة مستمرة في محاولة البناء المستمر في الإنضباط والالتزام. وقد عاش المجتمع مأساة

---

(1) ينظر التفسير الفريد للقرآن المجيد 1302/2، في ظلال القرآن: 1732/3.
(2) سورة التوبة الآية: 118.
(3) ينظر الجامع لأحكام القرآن 287/8-288، فقه السيرة النبوية 384.
(4) سورة النساء الآية: 28.
(5) ينظر السيرة النبوية الصحيحة 536/2، عناصر القوة في الاسلام، سيد سابق 38-39، ط1، مكتبة وهبة، 1382-1963م.

الأخوة الثلاثة في أشد ما يكون يقظة والتزاماً وألماً، حتى إن التوبة حين نزلت من السماء ما تمالك صارخ أن يصرخ مع الفجر بأعلى صوته من قمة الجبل أن أبشر يا كعب بن مالك، حتى إن إحدى أمهات المؤمنين أرادت أن تبشره من المساء فقال عليه الصلاة إن لا يدعكم الناس تنامون،وظهر الصف الاسلامي فعلاً أنه كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وكان أروع ما في الأمر تمام الإنضباط مع تمام العاطفة والحب والاشتراك في الأمل والألم[1].،إذن يمكن أن نخرج من هذا الدرس القرآني بنتيجة عملية منطقية حيث اشار أن دعوة الإسلام تقوم وتبنى على الحزم والانضباط، وعلى الامتثال لأمر القائد، وعدم مخالفته بالخروج عنه، والباري عز وجل له حكمة كبيرة قد تكفينا عن أي كلام وهي إرادة الله عز وجل أن يروض هذه النفس على الصبر والثبات.

لأن الله عز وجل قد علم أنها ستقود الأمم فأرادها قوية صلبة حتى تقود من في أمرتها بقوة، وبعدها أطلق التوبة عز وجل بعد أن وعيت الدرس تماماً.

(1) ينظر المنهج الحركي للسيرة النبوية: منير محمد الغضبان: 702/3.

المبحث الثالث

حادثة الإفك

تعد حادثة الإفك من أشد الأحداث ألماً في حياة الرسول ﷺ، فقد أشاع عليه المنافقون باتهام السيدة الطاهرة عائشة (رضي الله عنها) بالفاحشة، ومع ذلك يقول القرآن الكريم إنه خير؛ فالقرآن الكريم يشير إشارة هامة إلى دور العامل النفسي في هذه اللحظات الحرجات، وما تعرض له بيت الرسول ﷺ من اتهامات وإشاعات، إذن أراد الله عز وجل أن يبين للأمة الإسلامية أن الدعوة إلى الله عز وجل، لابد لها من الصبر والتحمل، وأخذ الأمور بموضوعية تامة، ويريد أن يغرس في قلوب العالم مسألة مهمة وهي التثبت والتبصر من الأمور قبل القاء التهم على الآخرين بدون أي حق، والتجني على أعراضهم، إذن القرآن الكريم يعطينا عدة دروس، ويلح علينا في حتمية المثابرة والمصابرة على فهم هذه الدروس، حتى تكون هذه النفس الانسانية دائماً في مرتبة عالية من الفهم والتبصر والذوق الرفيع في التعامل مع المعطيات الموجودة في هذه الحياة.

وقد ورد ذكر حديث الإفك في سورة النور في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.[1]

والذي أفتري به على الصديقة أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)، هو أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء، وهو البهتان لا تشعر به حتى يباغتك، وبعد فشل محاولة المنافقين في إثارة العصبية الجاهلية اعماهم الغضب فقالوا بالإفك.

قال محمد بن اسحاق: حدثني يحيى بن عباد عن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عن عائشة (رضي الله عنها)، حين قال فيها أهل الإفك ما قالوا فكل قد دخل في حديثها عن هؤلاء جميعاً يحدث بعضهم ما لم يحدّث به صاحبه، وكل كان عنها ثقة، فكلهم حدث عنها ما سمع، قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فأيهن خرج سهمُها خرج بها معه؛ فلما كانت غزوة (بني المُصطلق) أقرع بين نسائه، كما كان يصنع، فخرج سهمي عليهن معه، فخرج بي رسول الله ﷺ،[2] وقد وافت الفرصة لايذاء الرسول ﷺ في نفسه وأهل بيته، وكانت عائشة (رضي الله عنها) أم المؤمنين

---

(1) سورة النور الآية: 11.

(2) ينظر جامع البيان: 111/9، السيرة لابن هشام 297/3.

قد خرجت معه إلى غزوة بني المُصطلق، وذلك بعد ما شرع الله الحجاب للنساء وفي طريق العودة، عندما اقترب المسلمون من المدينة نزلت من هودج البعير لبعض شأنها، فلما عادت افتقدت عقداً لها فرجعت تبحث عنه، فحمل الرجال هودجها فوضعوه على البعير وهم يحسبونها فيه- إذ كانت صغيرة خفيفة ومضى المسلمون إلى المدينة تاركيها في البيداء وقد وجدت عقدها وفقدت الركب، فمكثت في مكانها تنتظر أن يعرفوا بخبرها ويعودوا إليها، فمر بها صفوان بن المعطل السُّلمي وهو من خيرة الصحابة فحملها على بعيره وانطلق بها إلى المدينة، فوصل اليها بعد دخول الرسول ﷺ، وقد استغل المنافقون هذا الحادث ونسجوا حوله، وتولى ذلك عبد الله بن أبي بن سلول وأعزى بالكلام مسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش فاتهمت رضي الله عنها بالإفك[1].

وكان قول الإفك قولاً مختصاً بالأفواه من غير أن يكون له مصداق ومنشأ في القلوب، لأنه ليس تعبيراً عن علم به في قلوبكم فهذا قوله تعالى: ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ [2]

فهو قول هدفه الأضعاف وزعزعة الصف الإسلامي الذي يستمد تماسكه من الباري عز وجل الذي جاء بالبراءة العلنية من فوق سبع سماوات.

ولاشك أن المسلمين الثلاثة اشتركوا في إشاعة الإفك، ولكن الدور الكبير كان للمنافقين أتباع عبد الله بن أبي سلول، وأنما ذكرت أسماء الثلاثة لأنهم مسلمون، وما كان ينبغي أن يقعوا في حبائل المنافقين وقد عاتبهم القرآن الكريم بقوله ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ ﴾.[3]وكان دور عبد الله بن أبي سلول أشاعة الفاحشة.

كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾.[4]

فكان هذا الحادث، قد كلف أطهر النفوس في تاريخ البشرية كلها آلاما لا تطاق،

---

(1) ينظر السيرة النبوية الصحيحة 410/2-411.
(2) سورة آل عمران الآية: 167.
(3) سور النور الآية: 12.
(4) سورة النور الآية: 19.

وكلف الأمة المسلمة كلها تجربة من أشق التجارب في تاريخها الطويل وعلق قلب رسول الله ﷺ وقلب زوجه عائشة (رضي الله عنها) التي يحبها، وقلب أبي زوجه وقلب صفوان بن المعطل... شهراً كاملاً. علقها بحبال الشك والألم الذي لا يطاق.

أما الآلام التي عاناها رسول الله ﷺ وأهل بيته والجماعة المسلمة كلها، فهي ثمن التجربة، وضريبة الابتلاء الواجبة الأداء فكانت التجربة مباركة، والابتلاء محمود والأداء على التجربة والابتلاء بأروع ما يكون في الصبر والتحمل.[1]

كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾.[2]

وبعد ذلك يشير القرآن الكريم إلى دور العامل النفسي حين يعلن الباري عز وجل النداء إلى المؤمنين الذين صدقوا الله ورسوله لا تسلكوا سبل الشيطان، ولا تنهجوا نهجه، ولا تقتفوا آثاره باشاعتكم الفاحشة في المؤمنين واذاعتكم الإفك والبهتان في كل ناد، ومن يتبع طرقه ويصغ إلى وساوسه يرتكب الفحشاء والمنكر ويصير آثماً عاصياً مؤاخذاً بما ارتكب كما في قوله تعالى: ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.[3]

وفي هذا زجر لهؤلاء الذين خضعوا لوساوسه فغرهم. ولولا تفضل الله عليكم- أيها الأفاكون المختلعون- بتوفيقكم التوبة المحضة التي تمحوا الذنوب وتغسل الأدران، ما طهر أحد منكم من أثمه، وكانت عاقبته النكال. ولكن الله يطهر من يشاء من عباده بقبول توبتهم من المعاصي التي اقترفوها رحمة منه وفضلاً والله سميع لما تقولتم به من بهتان، وهو عليم بضمائركم وإخلاصكم في التوبة والمرجع إليه للحساب.وأما من خاض فيه من المنافقين كعبد الله بن أبي بن سلول وأضرابه، فليس أولئك من المرادين في هذه الآية لأنه ليس عندهم من الإيمان والعمل الصالح ما يعادل هذا أوما يعارضه[4].

ونلمس عناية القرآن الكريم بالجانب النفسي حتى مع المخالفين لأمر الله عز وجل وكم يعطي القرآن الكريم الفرص تلو الأخرى؟ لكي تبنى هذه النفوس، فلما نزل هذا في عائشة (رضي الله عنها) وفيمن قال لها ما قال، قال: أبو بكر رضي الله عنه، وكان ينفق على مسطح، لقرابته وحاجته، والله لا أنفق على مسطح شيئاً ابداً، ولا انفعه بنفع أبداً بعد الذي قال لعائشة، وأدخل علينا؛ قالت فأنزل الله في ذلك، وما كان الجواب القرآني أسمع أخي الحبيب

---

(1) ينظر روح المعاني: 118/9، في ظلال القرآن: 2495/4-2500.
(2) سورة النور الآية: 10.
(3) سورة النور الاية: 17.
(4) ينظر تفسير القرآن العظيم: 227/4، التفسير الفريد للقرآن المجيد: 2162/3- 2163.

وتـــدبر[1] ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ [2].

إن المحنة هي التي تمحص القلوب، وتكشف ما في الصدور من ايمان أو كفر وقد يتزلزل المؤمن لكنه لا يفقد إيمانه. قد يفقد موقفه وقد يفقد شجاعته وثباته، لكن إيمانـه لا يتزلـزل، أمـا ضـعيف الإيمـان فينهـار إيمانـه أمـام هذه الحادثـات، وينكشـف جلبابه[3].

ولكن الباري عز وجل، أعلن براءة الطاهرة الصديقة بنت الصديق (رضي الله عنهم جميعاً) حين نزل الوحي ساعته، فسرى عن رسول الله ﷺ وهو يضحك. فكانت أول كلمة تكلم بها: يا عائشة، أما الله فقد برأك، فقالت لها أمها: قومي إليه. فقالت عائشة- ادلالاً ببراءة ساحتها، وثقة بمحبة رسول الله ﷺ: والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله. والـذي أنزلـه الله بشـأن الإفك هو قولـه تعـالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٞ مِّنكُمْۚ ﴾.[4] فهو مقام الربوبية ومقام العبودية، وسنة العروج بالحبيب ﷺ في معارج التعليم والتأديب[5].

ومع ذلك فان محنة الإفك هذه جاءت منطوية على حكمة إلهية أستهدفت إبراز شخصية النبي ﷺ وإظهارها صافية مميزة عن كل ما قد يلتبس بها. إن معنـى النبـوة فـي حياتـه ﷺ، كـان مـن المحتمـل أن يبقـى مشـوباً، فـي وهـم بعـض المشـككين بـه والكافرين، على السواء، لـو لـم تـأت حادثـة الإفك هذه لتهز شخصـية النبـي ﷺ، هزاً قوياً يفصل انسانيته العادية عن معنى النبوة الصافية فيه، لتجلي معنى النبوة والـوحي تجلية تامة أمام الأنظار والأفكار، حتى لا يبقى أي مجال للقياس بينه وبين أي معنـى من المعاني النفسية أو الشعورية الاخرى.

وأنتهت غزوة المريسع بكل ما حملت من محن وما أثير بها وعلى أعقابها من فـتن لتمـتحن الصـف الاسـلامي فتفـرز المنـافقين فيـه، وتحاصـرهم مـن كـل جانـب وتسقطهم من المجتمع[6].

---

(1) ينظر السيرة النبوية لابن هشام: 303/3.
(2) سورة النور الآية: 22.
(3) ينظر فقه السيرة النبوية: 393.
(4) سورة النور الآية:11
(5) ينظـر الرحيـق المختـوم، صـفي الـدين المبـاركفوري: 284، دار القلـم- بيـروت، النبـأ العظـيم، نظرات جديدة في القرآن، د. محمد عبد الله دراز: 27، ط2، 1390- 1970م.
(6) ينظر فقه السيرة، محمد سعيد رمضـان البـوطي: 222، المـنهج التربـوي للسـيرة النبويـة (التربيـة الجهادية) منير محمد الغضبان 176/2، مكتبة المنار، ط1، 1411هـ- 1991م.

وقد ركزت الآيات على تربية المسلمين من خلال هذه الحادثة بوجوب التحلي بالأخلاق وأشارت إلى:

1- وجوب أن يكون حسن الظن أصلاً لا يخرم بين المؤمنين والمؤمنات، ولذلك جاء التعبير القرآني لهذا الأصل بقوله تعالى: ﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ (1).

2- وجوب الاستنكار لمقالة السوء تلك جملة وتفصيلاً في التصور الذهني أولا وإعلان ذلك بلسان المقال ثانياً.

3- الخلق الاسلامي يفرض على المسلمين عدم نقل أخبار تلك الحادثة، والإنكار على من يتحدث بها، ثم التأكيد على استنكارها.

4- الوصية بأخلاق الإسلام في الرضا والغضب، وعدم الإنصياع لردود الفعل، إذ نهى الله عز وجل أهل الفضل والسعة من المؤمنين، ان يحلفوا على ان لا ينفقوا، أو لا يفعلوا الخير، مع من اخطأ من المؤمنين ولاسيما الذين هم من أهل السابقة في الدين، وذوي الحاجة، وذوي القربى، وخلق الاسلام مع المخطئين من اولئك هو العفو والصفح، وبهذا تنال المغفرة(2).

(وحدث حديث الإفك نحو السنة السادسة للهجرة بعد ان تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش)(3). وحادثة الإفك تجلت في بيان عدل الله في اختياره الذي ركبه في الفطرة، وحققه في واقع الناس. وهو أن تلتئم النفس الخبيثة بالنفس الخبيثة وأن تمتزج النفس الطيبة بالنفس الطيبة. وعلى هذا تقوم العلاقات بين الأزواج، وما كان يمكن ان تكون عائشة (رضي الله عنها) كما رموها، وهي مقسومة لأطيب نفس على هذه الأرض،ولقد أحبت نفس رسول اللهﷺ حباً عظيماً. فما كان يمكن أن يحببها الله لنبيه المعصوم، إن لم تكن طاهرة تستحق هذا الحب العظيم،أولئك الطيبون والطيبات قال تعالى: ﴿**مُبَرَّأُونَ مِمَّا يَقُولُونَ**﴾.(4). بفطرتهم وطبيعتهم، لا يلتبس بهم شيء مما قيل، لهم مغفرة ورزق كريم، مغفرة عما يقع منهم من اخطاء ورزق كريم دلالة على كرامتهم عند ربهم الكريم،بذلك ينتهي حديث الإفك. ذلك الحادث الذي تعرضت فيه الجماعة المسلمة لأكبر محنة إذ كانت محنة الثقة في طهارة بيت الرسول ﷺ وفي

---

(1) سورة النور الآية:12.

(2) ينظر سورة النور، دراسة وتحليل، د. اسماعيل ابراهيم علي السامرائئ: 212، دارعمار للنشر والتوزيع، ط1، 1423هـ- 2003م،

(3) تراجم سيدات بيت النبوة (رضي الله عنهن)، د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ): 283، دار الكتاب العربي- بيروت.

(4) سورة النور من الآية 26.

عصمة الله لنبيه ان يجعل في بيته إلا العنصر الطاهر الكريم، وقد جعلها الله معرضاً لتربية الجماعة المسلمة، حتى تشف وترف وترتفع آفاق النور في سورة النور(1).

ويمكن لنا القول أن حادثة الإفك، تعد من الإحداث المهمة في حياة الرسول ﷺ، والعالم الإسلامي بأسره، حيث عبر عنها القرآن الكريم بالخير. فيجب على دعاة الإسلام اليوم أن يستلهموا هذا الدرس القرآني، الذي يلقي عليك آثار وأشارات نفسية دقيقة، وهي أن الله عز وجل يكشف يوماً بعد يوم الصورة أمام المسلمين ليتفقهوا طبيعة المعركة وكيفية التعامل مع الخصم الذي يريد أضعاف المسلمين وكسر شوكتهم وهو بذلك يعمل ليل نهار من أجل هذا الهدف.

وذلك من خلال:-

أ- بث الإشاعة الكاذبة، وبث روح الضعف والهزيمة.

ب- تسطح الوعي وتقلص الهمم وضعف الطموحات حتى نقترب من الحضيض، ويكون العمل واطئاً هشاً عشوائياً.

جـ- تدمير كل من قصد المحراب، ووضع العراقيل امام الراكعين الساجدين.

إذن لابد للشخصية الإسلامية، أن تتميز بالتوازن وعدم الغلو والتطرف، فهي دائماً وسط، والوسط هنا لايعني التميع أو الوقوف في منتصف الطريق، وإنما يعني الاعتدال في كل شيء.

المبحث الرابع

موسى عليه السلام والسحرة

لقد صور القرآن الكريم الموقف النفسي بين موسى عليه السلام، وسحرة فرعون قبل أن يؤمنوا، فقد خاطب موسى عليه السلام قلوب السحرة وحرك مشاعرهم وأنذرهم وقال: (ويلكم) فهي كلمة مؤثرة معبرة خاصة إذا تصورنا أنها خرجت من قلب داعية قوي متحرق، فموسى عليه السلام، قد حارب سحرة فرعون بقلب كبير مطمئن واثق أن النصر لا يكون الا من عند الله عز وجل مهما ادلهمت الخطوب، وجمع الكفر أسلحته وعدته ضد الإيمان، لأن جانب الإيمان مرهون بنصر الله عز وجل، وجانب الكفر مقرون

(1) ينظر في ظلال القرآن 2505/4-2506.

بعذاب الله عز وجل وتدميره.من هذا القول ننطلق بنتيجة، أن قوة الإيمان بالله عز وجل، تعطي المؤمن قوة نفسية كبيرة تجعله يحطم كل القيود مهما كانت كبيرة، ومهما كان العدو ذا عدة وعتاد، فقد صور القرآن الكريم اللقطة الأولى من موقف موسى عليه السلام والسحرة كما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ ﴾.[1]

وإن الغلبة في هذا اليوم ستكون من نصيب من تجلد وتحامل، وتغلب على الوهن النفسي، بل واستعلى وعبأ قواه المعنوية وحشد طاقاته النفسية[2].

ثم يأتي المشهد الثاني في قولهم لموسى عليه السلام كلمات توهم موسى عليه السلام ان ما صرح به في وجوههم لم يؤثر فيهم قليلاً ولا كثيراً، فقالوا في تصنع ومكابرة ولا مبالاة مزيفة.

قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴾ [3].

فالأمر عندنا واحد والنتيجة مضمونة، إما أن تلقي ما معك قبلنا، وإما أن نلقي ما معنا قبلك، وهذا التخيير مع تقديمه في الذكر حسن ادب منهم وتواضع له، فلا جرم رزقهم الله تعالى الإيمان ببركته ثم إن موسى عليه السلام، قابل أدبهم بادب فقال (بل ألقوا) وبعد ان ألقى موسى عصاه؛ فإذا هي أعظم من حياتهم، فعرف السحرة أنه ليس بسحر، وقالوا اين حبالنا وعصينا؟ ان لم تكن سحراً لبقيت[4].وكانت النتيجة على موسى عليه السلام كما صورها القرآن الكريم بمنتهى الوضوح مسجلاً أدق الخلجات النفسية كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً

(1) سورة طه الآيات: 60-65.
(2) ينظر الحرب النفسية من منظور إسلامي: 12.
(3) سورة طه الآية:65.
(4) ينظر تفسير الفخر الرازي 81/11-82.

مُوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا
يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ ﴾.[1]

(إن إيمان السحرة وتحولهم السريع لابد أن سبقه تأثر نفسي تكامل بانتصار موسى ﷺ، وأضمحلال زيفهم فكان ما كان من سجودهم، وإيمانهم برب العالمين.. رب موسى وهارون)[2].

وكانت النتيجة لهذا الإيمان، هو غضب فرعون اللعين على هؤلاء السحرة الذين آمنوا، وقال ﴿**لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾.[3] ﴿**وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ**﴾.[4] أي فيها، وكان هذا الأمر متوقعاً منه لأنه ختم على قلبه بغشاوة فهو لم يبصر بعد نور الإيمان وأشراقاته، بل عشعشت على قلبه المظلم ظلمات الكفر واغراقاته، فاتخذ هذا القرار الخطير على هؤلاء الذين آمنوا مع موسى ﷺ،[5] كما جاء ذلك في قول الباري عز وجل ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ
ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ
وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ
ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾.[6]

وفي سورة طه المشهد نفسه ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ
ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ
﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ
﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا

---

(1) سورة طه الآيات: 66-70.
(2) ينظر الحرب النفسية من منظور إسلامي: 13.
(3) سورة الأعراف الآية:124.
(4) سورة طه من الآية: 71
(5) ينظر روح المعاني: 8/231-232.
(6) سورة الاعراف: 123-126.

﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ٧٤ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ٧٥
جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ٧٦﴾.[1]

وبعد ذلك كله قالوا أصنع ما أنت صانع، وأعمل بنا ما بدا لك، إنما تقدر على أن تعذبنا في هذه الحياة الدنيا التي تفنى، وختم الحادثة بأن الذي يأتي ربه مجرماً، فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى، أي له جهنم مأوى ومسكناً جزاء على كفره. لا يموت فتخرج نفسه، ولا يحيى فتستقر نفسه في مقرها فتطمئن، والذي يأتيه مؤمناً قد عمل الصالحات، أي عمل بما أمره به ربه وانتهى فأولئك لهم درجات الجنة العلى، وهذه

الدرجات العلى، التي هي جنات عدن على ما وصف عز وجل له ثواب من تزكى، يعني من تطهر من الذنوب فاطاع الله فيما أمره، ولم يدنس نفسه بمعصية فيما نهاه عنه، وربط الله عز وجل على قلب موسى عليه السلام، وهدأ من روعه بوحي منه فاطمأن، وقال له ربه: لا تفزع ولا تروع فانك المنتصر الغالب في النهاية بتأييدنا لك ورعايتنا لك[2].

فالحقيقة التي لا مجال فيها للريب أنه لم يبق أحد يضطرب للمزيد من الكتاب والتحقق بعد ما سعد بهذه الهداية النهائية، وان كل ما في نفسه من الحيرة والأضطراب والقلق إنما كان في مراحله الضمنية حيث لما انتهى إلى الغاية النهائية شهد بأن هذه الغاية هي التي كان ينشدها ويضطرب للوصول إليها، وأن لا حاجة له الآن بعد أن نال المطلوب إلى المزيد من الكتاب ﴿**أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾.[3]

وحتى تتكامل وجهة هذا المبحث لا ضير أن نشر إلى مواقف موسى عليه السلام في باقي مراحل دعوته إلى الله عز وجل، فحين وقف موسى عليه السلام بقومه إمام فلسطين وعبأهم معنوياً، فكان الرد عليه متمثلاً بالخور النفسي كما في قوله تعالى: ﴿ **قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ** ﴾.[4]

---

(1) سورة طه الآيات: 71-76.
(2) ينظر جامع البيان: 7/187-190، التفسير الفريد للقرآن المجيد: 3/1912.
(3) سورة الرعد الآية: 28.
(4) سورة المائدة الآية: 22.

﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾بَلْ [1]

ان مفاجأة العدو وأقتحامه يستحق لكم التفوق النفسي والغلبة والنصرة، فجاء الرد متهالكاً كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾.[2]

وفي قصة موسى عليه السلام وفرعون ومشهد الغرق يسدل الستار على الموقف كله وتنتهي القصة، قصة موسى عليه السلام مع فرعون، عندما طارد فرعون اللعين موسى عليه السلام، عندما وصل موسى البحر فقال له قومه إنا لمدركون بفرعون وجنوده، وهنا تبلغ العوامل النفسية ذروتها، وتبلغ مدى كبيراً، لأن قومه كانوا مضطربي النفوس، وانفسهم خائرة ضعيفة، فقال موسى عليه السلام بقلب الواثق المطمئن ﴿ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾.[3]

وجاءت إشارة السماء، بإمداداتها الروحية والنفسية إلى موسى تأمره بأن يضرب البحر ليشق له طريقاً في البحر يبسا، وظن فرعون وقومه ان الأمر الإلهي هم ايضا مشمولون به، ولكن اتى الأمر بغير ما يريد فرعون، لأنه غرق هو وقومه، وجعل الله بدنه آية وعبرة لمن يعتبر، وحتى لا يقول من يقول انه إله ورفع إلى السماء، بل هو جبار متكبر لم تنفعه التوبة ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾

وموسى عليه السلام كذلك له مع بني اسرائيل شأن في قصة البقرة وعبادتهم العجل من دون الله عز وجل ولها انعكاساتها النفسية في قلب موسى عليه السلام، فقد فصلت سورة البقرة هذا الأمر، ويكفي أن نشير إليها هكذا دون الوقوف على تفاصيلها.

فكان موسى عليه السلام يمثل الداعية الذي تحمل العذاب والأذى في نصرة دين الله عز وجل الذي يحتاج الى رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه، فالدرس القرآني المستنبط من هذا المبحث، والأشارة النفسية تتمثل في أن الحضارة الحديثة لها إيقاعاً سريعاً للزمن والتطور، ولهذا لم يعد مقبولاً ولامحتملاً أن يمارس المسلم المعاصر التثاؤب التاريخي على المقاهي، أو إمام شاشات التلفزيون، أو في ثرثرة فارغة بل

---

(1) سورة المائدة الآية: 23.
(2) سورة المائدة الآية: 24.
(3) سورة الشعراء الآية: 62.

أصبح لزاماً عليه أحترام قيمة الوقت لتعويض ما فات ولتحصيل ما هو آت، وأن لم يفعل ذلك فسوف يتجاوزه التاريخ. فالوعي الجاد بالزمن لهو من أحد مقومات البناء النفسي للمسلم المعاصر.

المبحث الخامس

قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ

تتجسد هذه القصة في المعركة الفاصلة بين العقيدة الإسلامية، وبين عبادة الشمس، حيث أراد الله عز وجل للهدهد أن يزور هؤلاء القوم الذين يعبدون الشمس وينقل الخبر إلى نبي الله سليمان عليه السلام، حتى تبدأ بينه وبين هؤلاء القوم المفاوضات والمناقشات لدخول هذه الفئة التي كانت تعبد الشمس من دون الله في عبادة الله عز وجل.

قال عز وجل في صدد هذه القصة ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾.[1]

وتتضح السمات الشخصية والمعالم المميزة لشخصيات القصة: شخصية سليمان وشخصية الملكة، وشخصية الهدهد، وشخصية حاشية الملكة. كما تعرض الانفعالات النفسية لهذه الشخصيات في شتى مشاهد القصة ومواقعها[2]. ولعل حراجة الموقف النفسي تتجسد في اشارة القرآن الكريم إليه في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾.[3]

(وفي الرد استهزاء بالمال، واستنكار للاتجاه إليه في مجال غير مجال العقيدة والدعوة؟ وتتجهون لهذا النوع من القيم الرخيصة التي تفنى باهل الأرض الذين لا يتصلون بالله عز وجل، ولا يتلقون هداياه! ثم يتبع هذا الاستنكار بالتهديد (ارجع إليهم) بالهدية وانتظر المصير المرهوب)[4]. وبعد أن ارسل نبي الله سليمان عليه السلام

(1) سورة النمل الآيات: 20-24.
(2) ينظر في ظلال القرآن: 2637/5.
(3) سورة النمل الآية: 36.
(4) في ظلال القرآن 2640/5.

كتابه خاطبهم فيه بالعزة الإيمانية الكاملة كما جاء في قوله تعالى: ﴿ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾.[1]

وقالت ملكة سبأ في عقب الرد على هذا الكتاب ﴿ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴾.[2]

(تعني بكرامة ما رأته من عجيب أمره كون طائر جاء به فألقاه إليها ثم تولى عنها أدباً وهذا أمر لا يقدر عليه أحد من الملوك، ولا سبيل لهم إلى ذلك ثم قرأته عليهم فعرفوا أنه من نبي الله سليمان ﷺ، ولأنه لا قبل لهم به وهذا الكتاب في غاية البلاغة والوجازة والفصاحة: فإنه حصّل المعنى بأيسر عبارة وأحسنها)[3].

وكان سليمان ﷺ لا يهاون على أمر العقيدة فلما جاء وفد بلقيس على سليمان بالهدية، وكانت من النفائس الرائعة، مما تقدمه الملوك العظام، قال سليمان ﷺ منكراً الهدية: لم اكتب إلى الملكة بلقيس طمعاً في مال أو هدية، فإن ما أعطانيه الله من النبوة والملك الواسع خير مما لديكم، فلست طالباً للدنيا وعرضها الزائل ولكني أبتغي لكم الخير وأرجو لكم الهداية، والإيمان بالله وحده وترك عبادة الشمس.

وأمثالكم من يفرح بالمال والهدايا، وينشرح صدره لزخارف الدنيا إذا أهديت اليه، أما انا فقد وهب لي الله قوة تتضاءل أمامها قوتكم وأعطاني أموالاً أكثر من أموالكم وسخر لي الجن والإنس والريح والطير وجعلها كلها طوع بناني ورهن اشارتي، باذن الله الذي أكرمني وأمدني بإمداداته[4]، ومارس سليمان ﷺ الضغط النفسي بغية فت ارادتها وشل عزمها حتى تستلم دون التفكير في مواجهة عسكرية، حيث نقل القرآن الكريم هذا المشهد ﴿ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ ﴾.[5]

---

(1) سورة النمل الآيات: 28-31.
(2) سورة النمل الآيات: 32-33.
(3) تفسير القرآن العظيم: 346/4- 347.
(4) ينظر التفسير الفريد 2325/3.
(5) سورة النمل الآية: 41.

غيروا معالمه المميزة له، لنعرف ان كانت فراستها وفطنتها تهدي اليه بعد هذا التنكير، أم يلبس عليها الأمر فلا تنفذ إلى معرفته من وراء هذا التغير. ولكنها وصلت إلى جواب ذكي فقالت: (كأنه هو) لا تنفي ولا تثبت، فهذا يدل على فراسة وبديهية في مواجهة المفاجأة العجيبة. وبعدها استسلمت وتنازلت عن كبريائها واختصرت من حساباتها، وذلك انه كان أعد لها قصرا من الزجاج، ثم طلب إليها دخوله.

لقد تابع عليها حملاته حتى انهارت حصون المقاومة في نفسها و أعلنت إسلامها وإذعانها[1].

ويمكن أن نخرج من خلال هذا الدرس القرآني بما يأتي:

1. ضرورة فتح الحوار مع المقابل، وعدم المحاباة لإحد في نصرة هذا الدين؛ فدين الله عز وجل ليس فيه محاباة لإحد الإ بالتقوى.
2. عدم الفتنة بالمال، لأنه المحك الرئيسي الذي تدور عليه الرحى، فإذا لم يكن الفرد متمتعاً بشخصية قوية تمكنه من اختراق فتنة المال، هوى وسقط.
3. التثبت والوقوف على الحقائق، أساس البناء النفسي الفريد، لأنه يترك اثراً كبيراً في نفوس الآخرين.
4. القوة مطلوبة في الإسلام، لأنها تجعل الشخص المقابل يذعن لك وينقاد، ولا سيما إذا كان لصالح الإسلام والمسلمين.

---

(1) ينظر جامع البيان: 165/11، في ظلال القران: 275/6 – 276.

الفصل الثالث

أثر العوامل النفسية

الفصل الثالث

أثر العوامل النفسية

إن العوامل النفسية لها آثار في جميع جوانب الحياة، حيث لها الأثر الواضح في بناء الفرد والمجتمع، ويكون من الطبيعي أستخدام هذه العوامل وإشباعها لأستمرار الحياة وبقاء النوع.

وقد دعا القرآن الكريم الإنسان إن يوازن بين متطلبات بدنه في حياته اليومية التي تلح عليه لإشباعها، ومتطلبات روحه المتشوقة إلى الله عز وجل، والمتطلعة إلى النعيم في الحياة الآخرة. فعلى الإنسان أن يلبي حاجاته البدنية ويشبع دوافعه الفطرية لكي يعيش ويعمر الأرض، ويؤدي رسالته في الحياة التي خلقها الله له، والقرآن الكريم أشار إلى هذا الأمر الذي سماه التوافق النفسي[1].

بحيث يكون سلوكه متوافقا في الجانب النظري والعملي، ويكون الإنسان مطمئناً قلبه مع ربه؛ فيما إذا حدثت اضطرابات نفسية فانه لا ييأس ولا يحزن إذا اصابه مكروه؛ بل هو متكل على الله عز وجل في كل أموره مما يهيئ له عاملاً نفسياً يكون أثره في نفسه عميقاً، كما تصرح الآية القرآنية الكريمة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾.[2]

والإنسان فرد ذكره القرآن الكريم حوالي خمسة وستين موضعاً[3].

ونحن مجبرون على أن نخضع لمتطلبات حياتنا البيولوجية والحسية، وعلى أن نتقلب في تجاربنا النفسية بين الحزن والفرح والغم والإنشراح فهي ملامح الشخصية[4].

فللعوامل النفسية ثلاثة مظاهر تتمثل في المجالات الآتية:

1- تعرف إدراكي.
2- وجدان تحسي.

---

(1) التوافق النفسي: هو العلم الذي يهتم بعمليات التوافق العامة للكائن الحي، ويهدف إلى تحقيق الغرض وإشباع الحاجات. [ينظر المدخل إلى علم النفس، د. عبد الله عبد الحي، 467، القرآن وعلم النفس: 38].

(2) سورة الانعام الآية: 82.

(3) ينظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي: 115، دار الحديث القاهرة، 1422-2002.

(4) ينظر التفسير الإسلامي للتاريخ: 183.

3- نزوع يرمي إلى هدف.
المظاهر الثلاثة هي تنظيم الشعور الإنساني كله، وهي التيقظ التام عند الإنسان إذ يجعله على إتصال دائم بواقعه، وهو أنتظار أو توقع حدوث اختيار جديد يقوم على أساس إدراك التأثيرات الحسية الراهنة في لحظات الفرد، وهذه المظاهر الثلاثة تنبع من أسس تكوينية في البنية الإنسانية وهذه هي:-

1- **حياة عقلية:** فالحياة العقلية هو الإدراك العقلي الذي ليس فيه شك ولا شبهة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾.[1]

2- **حياة ذهنية:** فالقلب مستقر الإيمان وصورته النفس المؤمنة، والنفس تضطرب من الناحية السايكولوجية، حين تشعر بإنها مهددة القيمة والإعتبار في مجابهة مشكلة ضاغطة تتحدى كينونة الفرد التكيفية ذاتياً والتوافقية اجتماعياً ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾.[2]

3- **حياة نفسية:** فالنفس المنحرفة يتلبسها الوهم، وهي قد تلجأ اليه بدافع، فما أبأس النفس حين تنتابها الحيرة وعندما يعبث بها الشك، لكن بالإيمان يستريح القلب من البلبة والإضطراب، ويخلد إلى الراحة النفسية[3] كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾.[4]

فإذا تتبعنا استخدامات القرآن الكريم اللغوية المتعلقة بالفرد والجماعة على مستوى (التكليف) أو (الإخبار) و (التحذير) فإننا سنجد عدة تعابير تدلنا على الأهمية الكبيرة التي يوليها للفرد والجماعة على السواء، من خلال العروض القرآنية، بين أدوار الأنبياء (عليهم السلام) أفراداً، أو بين الأمم والجماعات التي آمنت بدعوتهم، أو وقفت في الخطوط المضادة، لهم فأننا سنضع أيدينا على الصيغة المتوازنة التي يطرحها كتاب الله عز وجل عن موقف الإنسان أفرداً وجماعات وهذا التوازن جزء

(1) سورة الحجرات الآية: 15.
(2) سورة الانفال الآية: 2.
(3) ينظر علم النفس القرآني والتهذيب الوجداني، د. عبد العلي الجسماني: 233-236، ط1، الدار العربية للعلوم-بيروت، 1416-1996م.
(4) سورة الرعد الآية: 28.

أساسي في العقيدة بعيداً عن الانحرافات الوضعية باتجاه الفرد، حيث يقرر القران الكريم الصياغة، ويحقق التوازن بين الفرد والجماعة[1].

كما في الآيات القرآنية ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ﴾ [2]. ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [3].

﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴾ [4].

فالقرآن الكريم، قد حول نظرة الإنسان إلى داخله، وفتح أمامه أبواب نفسه، فتعرف الإنسان على كثير من بواعث سلوكه، فلم يجدوا دواء وعلاجاً أنجح من الثقة بالنفس وقدراتها، ومن البصيرة التي تحسن التقدير وتجيد وزن الأشياء، وهذا العلاج نستطيع أن نسميه(الإيمان) مطمئنين، فليس الإيمان في حقيقته إلا ثقة وبصيرة وسلاحاً أمام الاهواء وأنعطافات الطرق[5] ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [6].

والقلب يكون بحالة مستمرة، إما صعوداً عند المؤمن بما تؤثر عليه العوامل النفسية بالثقة والبصيرة المتمثلة بالإيمان، أو هبوطاً تحت مزالق الشيطان والاضطرابات النفسية، والقرآن الكريم ركز على ترقية النفس الإنسانية وصلاحها وخلاصها من الصراع، حتى يدخل الإشراق الإلهي النوراني، وهي بعد هذا تطلب السلوك القويم بكل إرادتها دون صراع، وتتجه بالإقبال إلى الله (عز وجل)[7].

ففي عالم الشعور لا يوجد ما يستحي منه، بل على العكس يأنس به، وكيف لا؟ وما هو إلا أنوار إلهية مشرقة تعكس آيات كونية ونفسية عظيمة، كما تصرح الآيات القرآنية الكريمة:

﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [8].

---

(1) ينظر التفسير الإسلامي للتاريخ: 166-167.
(2) سورة الإسراء الآية: 13.
(3) سورة البقرة الآية: 141.
(4)سورة الإسراء الآية: 84.
(5) ينظر: عالمية الدعوة الإسلامية، د. عبد الحليم محمود: 60، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط4، 1412هـ- 1992م.
(6) سورة الرعد من الآية: 28.
(7) ينظر الله مع أعماق النفس الإنسانية، د. ضياء الدين الجماس: 64-70، مركز نور الشام للكتاب، ط1، 1987م.
(8) سورة التغابن الآية: 11.

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ ﴾.[1]

بعد هذه المقدمة عن فصلنا يمكن القول، إن محور هذا الفصل يرتكز على آثار العوامل النفسية المؤثرة على حياة الإنسان في جميع مجالات الحياة، وما لهذه الآثار من جذور عميقة في النفس الإنسانية، تجعل الإنسان مطمئناً على كل شيء في حياته الدنيا، لا يخشى غده، والقرآن الكريم بين هذا الأمر في قوله تعالى:

﴿ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴿٣﴾ ﴾.[2] واطمئنان القلب بذكر الله عز وجل: ﴿ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾.[3]

والمؤمن لا خوف عليه ولا هو يحزن كما في قوله تعالى: ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾.[4]

وقد بين الباري عز وجل أمثلة لسنن الله عز وجل في النفس والمجتمع:-

1) **السنة التي تحكم العلاقة بين ما يصيب النفس وما تفعل:** ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴾.[5]

2) **السنة التي تحكم العلاقة بين اهتداء النفس وسعادتها، وبين ضلالها وشقائها:** ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴾.[6]

---

(1) سورة الفجر الآيات: 27-30.
(2) سورة الطلاق الآيات: 2-3.
(3) سورة الرعد الآية: 28.
(4) سورة آل عمران الآية:170.
(5) سورة النساء الآية: 79.
(6) سورة طه الآية: 123.

3)السنة التي تحكم العلاقة بين التقوى وسعة الرزق: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ كَذَّبُوا﴾[1]

4)السنة التي تحكم العلاقة بين الفسوق والهلاك: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾.[2]

5)السنة التي تحكم العلاقة بين تغيير ما بالنفس وتغيير ما بالواقع: ﴿لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾.[3]

6)السنة التي تحكم العلاقة بين خلق النفس وتكليفها: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.[4]

7)السنة التي تحكم العلاقة بين الفطرة والبيئة: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾.[5]

فهذه الآيات كلها دوافع للآثار النفسية للفرد والمجتمع والأسرة والدولة.[6]

المبحث الأول

أثر الدوافع النفسية على الفرد وا لمجتمع

تعد النفس الإنسانية هي المحرك الداخلي للإنسان، وعلى أساس ما ينطبع في نفسه من عوامل ومؤثرات، حيث تلعب التربية والبيئة والعوامل المحيطة، والظروف الشخصية دوراً مهماً في ذلك.

---

(1) سورة الاعراف الآية: 96.
(2) سورة الاسراء الآية: 16.
(3) سورة الرعد الآية: 11.
(4) سور ة البقرة الآية: 286.
(5) سورة الأعراف آية: 172.
(6) ينظر التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية: 77-78.

ومع كل ذلك تبقى رغبة الإنسان في الارتفاع بالنفس والروح إلى أفق سامٍ جميل يمكن تحقيقه بقدر معقول إذا ما أراد الإنسان ذلك، وقد تناول القرآن الكريم هذا الموضوع لأهميته في آيات كثيرة؛ كون الفرد هو الوحدة الأساسية في المجتمع، وبقدر صلاحه يصلح المجتمع وينمو ويزدهر؛ بل هو كيان مستقل وعليه يتوقف تكوين الأسرة من خلال حقوقه وواجباته المناطة به، وبما أعطاه الله (عز وجل) من عقل ومنهج، وسلوكه المتمثل بالصدق والتعامل والمحبة.

وبتوافق سلوكه النظري مع العملي يتحقق المنهج القرآني، ويكون بعيداً في سلوكه عن القلق، والاضطرابات النفسية التي قد تصيب شخصية الفرد[1].

والشخصية المتزنة هي التي يتكون فيها نظام متوازن متعادل من الانفعالات والعواطف، حتى لا يكون الفرد عبداً تسيره احدى العواطف الطاغية والتي قد تدمغه بنمط غير سوي من الشخصية[2].

(والحل الأمثل للصراع بين الجانبين البدني والروحي في الإنسان هو التوفيق بينهما بحيث يقوم الإنسان بإشباع حاجاته البدنية في الحدود التي اباحها الشرع، ويقوم

في الوقت نفسه بإشباع حاجاته الروحية، والتوازن في الشخصية الإنسانية بين البدن والروح ليس إلا مثالاً، للتوازن الموجود في الكون كله)[3].

والقرآن الكريم بين هذا الأمر؛ حيث بين أن الصراع مع هذه الشخصيات يحدث في الأرض، هو ليس صراعاً مع القدر حيث ليس هناك ما يوجب الصراع مع القدر، فقد اطمأنت النفس إليه، ورضيت بحكم الله عز وجل راضية أنه الخير. ولو لم يتكشف لصاحبه في حينه، بل لو لم ينكشف لعدة أجيال، وإنما يكون الصراع مع الشر الكائن في الأرض، ويكون من أجل الخير وفي سبيل الخير، كما في قوله تعالى: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ

---

(1) مثل الشخصية العدوانية (السايكوباثية): وهي شخصية مريضة تتميز بتقلب المزاج ونوبات من الغضب السريع،أو الشخصية الاضطهادية: وهي شخصية مريضة تتميز بالحساسية المفرطة تجاه أي فشل، أو إحباط في الحياة. {مبادئ الطب النفسي، د. إبراهيم كاظم العظماوي 81-93، ط1، 1984م}.

(2) ينظر في سبيل موسوعة نفسية "السلوك": 96.

(3) القرآن وعلم النفس: 210-211.

﴿ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾.[1] وفي قوله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ ﴾.[2]

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴾.[3]

فالنفس الإنسانية تدرك هذا المعنى الجميل، عندما تتخيل ان الله عز وجل خالق السموات والأرض، والذي يدرك الإنسان عظمته سيجعل له ودا، وأي ود هو ود الله سبحانه وتعالى، وإن احدنا ليملؤه الفرح والتشوق إذا علم أن شخصاً قريباً له محبوباً، أو شخصاً مهماً يكن له الود، فالود شعور جميل يعبر عن القرب والألفة، والله عز وجل يجعل هذا الود للذين آمنوا بالله ورسله، وصدقوا بما جاءهم من عند ربهم، فعملوا به، فأحلوا حلاله وحرموا حرامه، سيجعل الرحمن لهم وداً في الدنيا في صدور عباده المؤمنين.[4] ويقول الرسول ﷺ ﴿اذا أحب الله عبداً قال يا جبريل اني احب فلاناً فاحبوه فينادي جبريل في السموات ان الله عز وجل يحب فلاناً فاحبوه فيلقى حبه على أهل الأرض فيحب... الحديث﴾.[5]

والإسلام يعالج أسباب (العقد النفسية) التي أقام عليها فرويد واتباعه مذهبهم، والتي عدّوها ضربة لا مفر منها، ولعنة يفرضها المجتمع على الفرد بقيوده وتعاليمه ويكبت الرغبات، وهذه العقد النفسية تقل أو تنمحي في جو العقيدة الإسلامية،التي تعترف منذ الخطوة الأولى برغبات الفرد وضروراته، ولا ترى فيها قذارة ولا انحطاطا وتيسر له السبل لتصريفها تصريفاً مأموناً معترفاً بشرعيته وبجديته وبنظافته كذلك- وهذا هو المهم- مادام في الحدود السوية المأمونة التي لا تؤدي إلى انحلال في شخصية الفرد، ولا إلى انتكاس حيواني في محيط المجتمع[6].

كما في قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾.[7]

والفرد المؤمن يعيش حالة نفسية مطمئنة، بما تلقي عليه ظلال الآيات الكريمات وآثارها، فيداخله أثر نفسي ينعكس على تصرفه، عندما يجد العلاقة بين

---

(1)سورة البقرة الآية: 251.
(2) سورة التوبة الآية: 100.
(3) سورة مريم الآية: 96.
(4) ينظر جامع البيان 132/2، تفسير القرآن العظيم: 44/4.
(5) مسند احمد 509/2، اسناده صحيح على شرط مسلم (مسند الامام احمد بن حنبل اشرف على تحقيقه الشيخ شعيب الارنؤوط 395/16، ط1، 1419هـ- 1999م).
(6) ينظر في ظلال القرآن: 1282/2، ينظر السلام العالمي والإسلام، سيد قطب 41-42، مكتبة وهبة، ط3.
(7) سورة الأعراف الآية: 31.

الرب والعبد علاقة مباشرة لا يدخل فيها كاهن ولا قسيس، فيكون الفرد في ظل هذه القوة قوياً يركن اليها، كما في نداء الحق (عز وجل) في قوله ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾.[1]

وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ ﴾.[2]

في الآية الأولى، يوجه الباري عز وجل بهذا النداء بأنه قريب من العباد، يجيب دعوتهم في كل وقت وحين. ويبين الباري عز وجل، أنه تعالى يوجب على عباده أن يدعوه في السراء والضراء، أي إذا مس هؤلاء الكفار ضر من المرض دعوا ربهم، أي استغاثوا في كشف ما نزل بهم،، فينقادوا وراء الكفر ومتاهات الظلام بدلاً من الشكر والاستقامة على الإنابة.[3]

وفي ظل هذه القوة يأمن الفرد على رزقه ومكانته، فما من أحد يستطيع أن يضره في رزق ولا في مركز كما في قوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.[4]

والإسلام يجعل الفرد وسط مجتمع يحبونه، كما في قول الرسول ﷺ ﴿لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه﴾.[5]

ويحرص على ماله وعرضه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ﴿لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بعض وكونوا عباد الله أخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه﴾.[6]

---

(1) سورة البقرة الآية: 186.
(2) سورة الروم الآية: 33.
(3) ينظر الجامع لأحكام القرآن: 33/13، في ظلال القرآن: 2770/5.
(4) سورة آل عمران الآية: 26.
(5) صحيح البخاري: 1/13-14، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه.
(6) صحيح مسلم: 1986/4، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره.
واحتقاره.

والفرد بعد ذلك محفوف بكرامة الله عز وجل كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾.(1)

وقد كرم الله هذا المخلوق البشري على كثير من خلقه. كرمه بخلقته على تلك الهيئة، بهذه الفطرة التي تجمع بين الطين والنفخة فتجمع بين الأرض والسماء، وكرمه بتسخير القوى الكونية، وكرمه بذلك الاستقبال الفخم الذي أستقبل به الوجود.

وبذلك الموكب الذي تسجد فيه الملائكة، والحمل في البر والبحر بتسخير النواميس وجعلها موافقة لطبيعة الحياة الإنسانية وما ركب فيها من استعدادات اختارها الله عز وجل لهذا الفرد وسط هذا المجتمع.(2)

وبذلك تطمئن نفسه وتسكن وتثق، فلا تهزها الأحداث ولا تذهب بها الأهوال، ولا تفزع من شيء ولا تخاف ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾.(3)

والقرآن الكريم عندما يدعو إلى الإصلاح، لأنه بذلك يملك المعيار المستقل الذي يرجع إليه في تحديد ما يريده؛ فالقرآن الكريم يؤكد على المنجزات الفكرية والأخلاقية والروحية والنفسية بمفهومها الإنساني الشامل من أجل الصمود في المواقع التي بلغها الإنسان وهو يواصل طريقة للإعمار والبناء عبر سلسلة طويلة من كفاح مبعوثي الله عز وجل إلى بني آدم، ومن أجل، ألاّ تصاب هذه المنجزات بنكسة أو كارثة، ترجع بالفرد والجماعة إلى الوراء وفقاً للمقاييس الإنسانية(4)، كما في الآيات القرآنية الآتية:

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ

---

(1) سورة الإسراء الآية: 70.
(2) ينظر في ظلال القرآن 2241/5، تفسير البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الأندلسي: 61/6، دار الفكر، 1398-978.
(3) سورة الرعد الآية: 28.
(4) ينظر التفسير الإسلامي للتاريخ: 195- 196.

ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾.[1]

وفي قوله تعالى: ﴿ وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾.[2]

وقوله تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾.[3]

فهي دعوة إلى الفرد، لأن فيه رغبة أصيلة جداً وعميقة جداً في باطن النفس نابعة من الكيان المفرد للإنسان وهي في- النهاية- التي تنشئ المجتمع وتنظم ما فيه من روابط ونظم وصلات. ومن هنا يختلط الفرد والمجتمع في كيان النفس، وفي كيان الحياة. ففي عالم النظريات فقط يمكن أن يوجد الفرد المستقل، والمجتمع الذي يتكون منفصلاً عن وجود الفرد الذاتي. أما الواقع العملي، فلا يعرف هذه التفرقة العجيبة لأنها من المستحيلات العقلية.[4]

فالمجتمع أذن حاجة نفسية تبعث من نفس الفرد من رغبة ملحة، ألا يعيش وحده والفرد في ظل جميع الأطوار يجب أن يكون ملازماً لصفتيه المسيطرتين على كيانه: صفته كونه فرداً مستقلاً، وكونه فرداً ضمن مجموعة.[5]

والقرآن الكريم دائماً يرقى بالنفس الإنسانية إلى بنائها، بما في آياته الكريمات من تأثير على النفس، وبما يسعى من التحذير من النوازع النفسية الشاذة التي تصيب الفرد وتؤدي به إلى الانحطاط ومنها، جنون العظمة، والرغبة بالحكم، ومنها الإفراط الشديد بحب المال، وشهوة الظلم، ومنها الدوافع الجنسية الشاذة، وإلى غير ذلك من عوامل، ولكن نرى دقة القرآن الكريم في تعامله مع هذه المفردات، ووضع لها قواعد وأصول يمكن أن يمشي عليها الفرد، ليكون فرداً سوياً في المجتمع، وتكون هذه القواعد لها آثارها في البناء فإذا علم الفرد أن رزقه مكفول من الله عز وجل، فإنه سوف يتجنب السرقة فكان أثر قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ

---

(1) سورة الأعراف الآية: 85.
(2) سورة الأعراف الآية: 142.
(3) سورة الروم الآية: 41.
(4) ينظر منهج التربية الإسلامية 130/1-132.
(5) ينظر الإنسان بين المادية والإسلام، محمد قطب: 137-139.

﴿ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا (٢) وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا (٣) ﴾.[1]
عميقاً في النفس وأيقن أن رزقه لا يأخذه منه أحد، ولا يقوم بجمع هذا المال عن طرق غير شرعية، وقال عز وجل عن الظلم ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾.[2]

وقال عن القتل ﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ﴾.[3]

والقرآن الكريم قد هذب الدوافع الجنسية الشاذة بما شرع الله عز وجل من الزواج العفيف الطاهر النظيف لان القرآن الكريم دعوة لاصلاح النفس الإنسانية، بما يقرره من آيات قرآنية تمس شغاف القلوب بما يترتب عليها من آثار تدعوا إلى البناء.[4]

والفرد خليفة الله في الأرض فيجب عليه أن يتصرف بما يشاء الله ويريد، لا بما يريد هو وأهواؤه، كما في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ ﴾.[5]

وفي قوله تعالى: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴾ [6]

وأشار القرآن الكريم، إلى أن الفرد يجب أن يشعر شعوراً تاماً، أن أي عمل يعمله يكون له أثر خاص في حركاته وكل حسنة من حسناته، أو سيئة من سيئاته، لها وزن خاص لابد أن يلاقي جزاء أعماله سواء في الدنيا أو في الآخرة، كما جاء في الآيات القرآنية الآتية ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴾.[7]

---

(1) سورة الطلاق الآية: 2-3.
(2)سورة لقمان الآية: 13.
(3) سورة الانعام الآية: 151.
(4)ينظر العقيدة الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حنبكة الميداني: 694-695، دار القلم، ط2، 1399هـ-1979م.
(5) سورة الأنعام الآية: 165.
(6) سورة ص الآية: 26.
(7) سورة طه الآية: 15.

وفـي قولـه تعـالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾.[1]

ولاشك أن إنشاء النظام الاجتماعي وتهذيبه، هو الذي ترى فيه الحضـارة غايـة لها أساسية، إلا أن الأفراد هم حجر الأساس التـي تشيد كل جماعة صـرحها، وإنمـا الذي يتوقف عليه تمسكها هو أن يكون كل حجر من أحجاره مهذباً صـقيلاً، وان لا تكون قد استعملت في ناحية منه مادة رديئة فاسدة.[2]

وطريق الإنسان في حياته الطبيعية يبتدئ من الفرد، وينتهـي بالجماعة فـإذن الفرد نفسه ليس غاية وحياته التي يعيشها ليست هدفاً لسعيه، إنما غايته الأخيـرة التـي يسعى إليه هي الجماعة التي هي غاية الفرد الأخيرة.[3]

والقرآن الكريم يضع أسساً مرنة لحركة التاريخ البشري وتشكيل المصير، فهو يرسـم الخطـوط الأساسـية العريضـة للنظـام والفكـر؛ الـذي يلـزم بـه أفـراد المجتمـع الإسلامي من المنتمين للإسلام عن طواعية واختيار، فدين الإسلام ليس فيه كراهة على أحد، وقد تبين الحق من الباطل والإيمان من الكفر بكثرة الآيات، ولا يمكن لهذه العروة أن تنفصم، بحال، لأن حبلها موصل إلى الجنـة، فقد ظهر النـور، ومـن خالفـه يلق غياً وضلالاً[4].

كما في قولـه تعـالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ .[5]

ومن ثم يلزم القرآن الكريم هذه الطليعة المؤمنة المتقدمـة أن تنـدمج فـي موكـب الجمـاهير، وتحـذر مـن الإنعـزال الرهبـاني، لأنـه تجميدٌ للطاقـات الإبداعيـة وتجريدٌ للمجتمـع مـن قدراتـه الخلافـة، إن هـذا التأكيـد علـى لقـاء الفـرد بالجماعـة، يسـعى إلـى تغطية مساحات واسعة من معطيات القرآن الكريم، وذلك للـدور الكبيـر الـذي يصـفه الفرد والمجتمع، أو البطل والجمهور في صياغة وبناء شخصية الفرد.[6]

---

(1) سورة النجم الآيات: 39-42.
(2) ينظر الحضارة الإسلامية أسسها ومبادؤها: 8.
(3) ينظر مقومات التصور الإسلامي: 174، سيد قطب، دار الشروق، ط1، 1406هـ- 1986م.
(4) ينظـر تفسـير الخـازن 86/1 المسـمى لبـاب التأويـل مـن معـاني التنزيـل عـلاء الـدين محمد- دار المعرفة- بيروت، تفسير المنار: 73/3.
(5) سورة البقرة الآية: 256.
(6) ينظر التفسير الإسلامي للتاريخ: 164-165.

فالقرآن الكريم يرسم للفرد في مسيرة حياته الخطوات الرئيسية لمواكبة الحياة التي رسمها له القرآن الكريم ابتداءً من اول نقطة حتى يصل به إلى أعمق نقطة في هذه النفس، بما يزخر القرآن الكريم من آيات واضحة تجعل من الفرد إنساناً صالحاً يبني نفسه ثم يبني المجتمع، لأن القرآن الكريم دعوة مفتوحة، فإذا توجه الفرد بدائرة معارفه صوب هذا الكتاب العزيز فإنه سيلقي عليه آثار نفسية عميقة في النفس والحياة، ويكون هذا بفهم مجريات الحياة؛ وفق موازين القرآن الكريم، فهو طريق الفتوة الإيماني لا طريق رهبان النصارى؛ وذلك يكون بتسخير المال لخدمة هذا الدين[1]، لأن المال عصب الحياة وهو وسيلة لتحقيق غاية يسعى إليها القرآن الكريم لتحقيق غايات الأفراد في مجتمع متلاطم لا يقر له قرار، ويجب أن لا نأسى إذا ذهب المال، ولا نفرح الفرح الكبير إذا أتى، بل ان يكون المال في أيدينا لا في قلوبنا حتى تكون النفس في حالة متوازنة في الأخذ والعطاء كما قرره قوله تعالى: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ .[2]

فالدين إنما هو صوت داخلي يوجه سلوك الفرد. والنفس ضمن سياق الدين القويم نجد في ذاتها حرارة روحية متجددة لازمة لصحة الإنسان النفسية والعقلية والاجتماعية. وهذا شرط ضروري للفرد والمجتمع على حد سواء.

وهنا يتأتى الاتجاه النفسي للاستجابة. فيكون التسلسل في الاستجابة حسب احتمال وقوعها في النفس وحسب مقدار تأثيرها على نفسية المستجيب. فتتفاوت الاستجابة من حيث حجمها وتفاصيلها وبمقدار وقعها في النفس.[3]

ويجب أن يكون هناك توافق تام وانسجام كلي مع غايات الأفراد الشخصية، وتكون صالحة لتكون غاية فردية وغاية اجتماعية في آن واحد، وحتى تكون الغايات على مستوى من البناء وذات تأثير يجب أن يكون التوافق بين هذه الغايات لأنها إذا كانت متنافية مع غايات الأفراد الشخصية، فإنه من المحال أن تكون غايات اجتماعية بمعناها الكامل.

والاستجابة تكون من ناحيتين لا مناص من توافرهما:

1- ناحية الجانب الشعوري، وكيفية مواجهة الموقف حسبما يشعر الشخص المنفعل.

2- ناحية الجانب السلوكي الخارجي ويتألف من:

---

(1) ينظر المسار، محمد أحمد الراشد: 317-، دار المنطلق، ط3، 1412هـ- 1991م.
(2) سورة الحديد الآية: 23.
(3) ينظر: علم النفس القرآني والتهذيب الوجداني، 105-107.

أ- حركات صادرة من البدن ومجموع التغيرات الحركية من ألفاظ وإيماءات مقصودة وغير مقصودة.

ب- جانب داخلي غير منظور، وتدخل تحت مظلته مختلف الاضطرابات الفسلجية ومجمل العمليات الجسمية الوظيفية.[1]

(وكل عمل يقوم به الإنسان صادر عن كيانه كله. وكل لحظة من حياته هي للدنيا والآخرة في آن. ومن هنا لا تنقسم الأعمال إلى قسمين: قسم لقيصر وقسم لله، وإنما تكون كلها لله. ويدخل قيصر في ملكوت الله، ويخضع لدستور الله).[2]

فإذا كانت حالة النفس مريضة فإنها تقف حائرة أمام صرخات وساوسها ومكبوتاتها ملفتة الانتباه إلى ذاتها المؤودة معلنة عما يحول بينها وبين الانطلاق إلى مجال البناء الأخلاقي والاجتماعي، فيما لو كانت سوية وبكامل قواها[3].

فإذا كان الاجتماع ضرورة، فإن وجود النظام يعد ذلك أمراً مهماً، لأن المجتمع الذي لا يحكمه نظام يعيش في فوضى واضطراب، هذا وان لكل نظام أساساً يقوم عليه ودعائم يبنى عليها، ومنها يستمد النظام وصفه بالصلاح أو الفساد، وهذا بدوره ينعكس على أفراده ويؤثر في مصير المجتمع لأن وجود النظام يمثل أمن المجتمع واستقراره.[4]

والتكافل في المجتمع له أثر جميل في النفس، وتُعد القسوة وعدم التكافل تكذيباً بالدين كما في قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾ .[5]

وارتفع الرسول ﷺ بمجتمعه بهذه التربية إلى آفاق رفيعة، فكان في تكافله وتراحمه القدوة للآخرين، كما في قوله ﷺ ﴿مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى﴾.[6]

---

(1) ينظر: الحضارة الإسلامية أسسها ومبادؤها: 52، علم النفس القرآني والتهذيب الوجداني: 105-108.

(2) منهج الفن الإسلامي، محمد قطب: 58-59، دار الشروق.

(3) ينظر علم النفس القرآني والتهذيب الوجداني: 239- 240.

(4) ينظر منهج القرآن في تطوير المجتمع، أطروحة مقدمة إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية- جامعة بغداد. د. محمد صالح عطية: 197، بإشراف. د. محسن عبد الحميد، جزء من متطلبات درجة الدكتوراه 1411- 1991م.

(5) سورة الماعون الآيات: 1-3.

(6) صحيح مسلم 1999/4، كتاب السير والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.

والقرآن الكريم أراد لهذا المجتمع أن يكون نظيفاً طاهراً بعيداً عن الشذوذ والانحراف، وبعيداً عن الاضطرابات النفسية والقلق، وهدفه في ذلك الارتقاء بالنفس البشرية وبناءها، ويرتقي بالمؤمن إلى مقاييس الجمال والذوق. وأن لا يبقى حبيساً في محيط الجنس كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ .[1]

وقرنه بالشرك والقتل ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ .[2]

وتشير الآية الأولى إلى أن الزنا قتلٌ من نواحي شتى إنه قتل ابتداء، لأنه إراقة لمادة الحياة في غير موضعها، يتبعه غالباً الرغبة في التخلص من آثاره بقتل الجنين، وهو قتل للجماعة من جانب أخر، وهو يجعل الحياة الزوجية نافلة لا ضرورة لها، ويجعل الأسرة تبعة لا داعي لها، والأسرة هي المحضن الصالح التي لا تصح فطرتها ولا تسلم تربيتها إلا فيه.[3]

إن العقوبات جميعاً وضعت على أساس محاربة الدوافع التي تدعو للجريمة بالدوافع التي تصرف عن الجريمة، أي أن هذه العقوبات وضعت على أساس متين من علم النفس.

فالدافع الذي يدعو الزاني للزنا، هو اشتهاء اللذة والاستمتاع بالنشوة التي تصحبها، والدافع الوحيد الذي يصرف الإنسان عن اللذة هو الألم ولا يمكن أن يستمتع الإنسان بنشوة اللذة إلا إذا تذوق مس العذاب، وأي شيء يحقق الالم ويذيق مس العذاب أكثر من الجلد مائة جلدة؟

فالشريعة حينما وضعت عقوبة الجلد للزنا لم تضعها إعتباطاً، وإنما وضعتها على أساس من طبيعة الإنسان وفهم لنفسيته وعقليته، والشريعة حينما قررت عقوبة الجلد للزنا دفعت العوامل النفسية التي تدعو للزنا بعوامل نفسية مضادة تصرف عن الزنا، فاذا تغلبت العوامل الداعية على العوامل الصارفة، وأرتكب الزاني جريمته كان فيما يصيبه من ألم العقوبة وعذابها ما ينسيه اللذة ويحمله على عدم التفكير فيها.[4]

---

(1) سورة الإسراء الآية: 32.
(2) سورة الفرقان الآية: 68.
(3) ينظر في ظلال القرآن: 2224/4.
(1) ينظر التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي: 363/1، عبد القادر عودة دار الكاتب العربي- بيروت.

والقرآن الكريم أتخذ الوسيلة العملية للوقاية؛ فأمر بمعاونة الفقراء على الزواج، كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾ .(1)

وأكد الرسول ﷺ هذا الأمر في قوله ﴿ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله والمكاتب الذي يريد الأداء والناكح الذي يريد العفاف﴾.(2)

وحذر من مجرد الرغبة في إشاعة الفاحشة في المجتمع في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ .(3)

وصان الأعراض من الإفك؛ ففي مثل هذا المجتمع الطاهر النظيف لا يصح أن تقال كلمة عن عرض إلا إذا كانت جريمة عليها بينة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾.(4)

والمجتمع يقوم على أساس الأخوة، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ .(5)

(وفي ذلك يؤكد سبحانه أخوة المؤمنين، فهم أخوة في الدين اخوة أقوى من اخوة النسب، ورابطة الإخاء بينهم رابطة وثيقة، فأن وقع بينهم شقاق فعليهم أن يبادروا إلى إزالة أسبابه بالإصلاح بين الأخوين المتنازعين، وليتقوا الله عز وجل دائماً وليخشوا عذابه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ليكونوا من الذين تشملهم رحمة رب العالمين).(6)

---

(1) سورة النور الآية: 32.
(2) سنن البيهقي الكبرى احمد بن الحسين بن موسى 7/ 78، كتاب الدعاوي باب كتابة المكاتب وإعتاقه، تحقيق محمد عبد القادر، 1414 –1994.
(3) سورة النور الآية: 19.
(4) سورة النور الآية: 4.
(5) سورة الحجرات الآية: 10.
(6) التفسير الفريد للقرآن المجيد: 2920/4- 2921.

وهو مجتمع رحمة ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾ .[1]

ورغم حرص القرآن الكريم على عزة المؤمنين، فقد مدح التذلل في هذه المواطن ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ ؛[2] لأن المجتمع وحده كرامته وعزته واحدة لا يخدش عزته الا فرقة المؤمنين واختلافهم، كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ .[3]

والقرآن الكريم، أمر بالآداب التي تصون المجتمع وتطهر المشاعر، وتحقق الأخوة والرحمة والحب، كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ .[4]

والآية الأخيرة نزلت عامة لبيان التثبت، وترك الاعتماد على قول الفاسق، وهو أمر يدعو إلى النظر والتدبر في الأمور. لأن الفسوق خروج عن الحق، والتثبت والتبصر، مسألة مهمة يجب أن يكون الفرد دقيقاً في إطلاق الأحكام على غيره من دون تثبت حتى لا يقع فيما لا يحمد عقباه من خلال سوء الظن.[5]

وكذلك يوجد في المجتمع خط دفاع أخير، وهو وقاية لهذا المجتمع من الانحراف والفساد، وضماناً للدولة من البعد عن منهج القرآن الكريم، أمر بقيام جماعة من المؤمنين يتوافر في اعضائها صفات الدعوة، وفقه الفكرة وفق المنهج القرآني، ليقوم بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما في قوله

---

(1) سورة الفتح الآية: 29.
(2) سورة المائدة الآية: 54.
(3) سورة الحجرات الآية: 11.
(4) سورة الحجرات الآية: 6.
(5) ينظر تفسير الخازن: 4/166-167.

تعـــــــالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾.[1]

أي لتكن منكم أيها المؤمنون جماعة تدعو إلى الإسلام وشرائعه التي شرعها الله عز وجل لعباده، يأمرون الناس باتباع محمد ﷺ، وينهون عن الكفر به، وهم بذلك الباقون في جناته ونعيمه وهذا هو الفلاح.

وهم خاصة الصحابة وخاصة الرواة، ويعني المجاهدين والعلماء الربانيين الذي يخافون الله عز وجل.[2]

كما جعل من الأمة كلها حارساً على وحدتها وألفتها وصيانة أخُوتها ففرض عليها قتال الفئة الباغية حتى تفيء، فإذا فاءت أصلحت بين المتخاصمين بالعدل والحق كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾.[3]

أي أن تقاتلوا، فيجب تقديم النصح وإزالة الشبهة، والرجوع إلى حكم الله عز وجل، فإن تعدت وطلبت العلو بغير حق على الأخرى ولم تتأثر بالنصيحة، فقاتلوا التي تبغي حتى ترجع إلى حكمه، إلى ما أمر به سبحانه، فإن رجعت إلى أمره تعالى واقلعت عن القتال حذراً من قتالكم، وأصلحوا بينهما بالعدل، لأنه مظنة الحيف لوقوعه بعد المقاتلة، وأعدلوا في كل ما تأتون وما تذرون والله يجازيهم أحسن الجزاء.[4]

وأراد القرآن الكريم للفرد أن يرتفع بالبر والتقوى من خلال النداءات الإلهية التي لها الأثر العميق، والعامل النفسي بالارتقاء بالبر والتقوى، ويرتقي منازل الاخلاص والأمانة والتجرد، ويكون المقياس أن أعمال البر مملوءة بالمنافع والثمرات الطيبة، وبعد ذلك يشعر المؤمن بالخوف من الله، والخوف يؤدي وظيفة هامة في حياة

---

(1) سورة آل عمران الآية: 104.
(2) ينظر جامع البيان: 38/3، تفسير القرآن العظيم: 553/1.
(3) سورة الحجرات الآية: 9.
(4) ينظر روح المعاني: 149/25-150.

المؤمن، إذ يجنبه أرتكاب المعاصي، وفي نهاية الأمر يشعر المؤمن أنه حقق الأمن النفسي، إذ يغمر المؤمن شعور الرجاء في عفو الله تعالى عز وجل ورضوانه.[1]

فالإيمان كنز من الآمال الصادقة لا ينفد، ولا يزال يزود الإنسان برصيد غير منقطع من قوة القلب وطمأنينة الروح، ويلقي في روعه أنه لو طرد من كل باب من أبواب الدنيا وتقطعت به الأسباب الظاهرة وفارقته الوسائل المادية كلها، فإن الله عز وجل غير خاذله أبداً، ويجب على الفرد أن يظل راجياً في عفوه ونصرته وتأييده[2] كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ .[3] وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَا يَايْئَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ .[4]

والقرآن الكريم وصى كثيراً بالإنفاق في سبيل الله عز وجل، وقضاء الحوائج، دون إسراف ولا تقتير كما في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ .[5] وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا ﴾ .[6]

يعني الكافر البخيل الذي يمسك المال، ولو ملك أحد من المخلوقين من خزائن الله تعالى، لما جاد كجود الله تعالى لأمرين:

1- إنه لابد أن يمسك منه لنفقته ومنفعته.

2- إنه يخاف الفقر، والله تعالى منزه في وجوده عن الحالين جل في علاه. وهي صورة بالغة للشح، فان رحمة الله عز وجل وسعت كل شيء، ولا يخشى نفاذها ولا نقصها. ولكن نفوسهم الشحيحة تمنع هذه الرحمة وتبخل بها لو أنهم كانوا هم خزنتها، وهو تدريب الفرد المسلم على الإنفاق في سبيل الخير العام، وهذا من مستلزمات الحياة في المجتمع المسلم الذي يعتبر الإنفاق دافع معنوي ونفسي يلقي في نفس الفرد راحة نفسية هائلة.[7] هائلة.[7]

---

(1) ينظر الحضارة الإسلامية: 78، القرآن وعلم النفس: 71.
(2) ينظر الحضارة الإسلامية: 146.
(3) سورة البقرة الآية: 186.
(4) سورة يوسف الآية: 87.
(5) سورة الفرقان الآية: 67.
(6) سورة الفرقان الآية: 67.
(7) ينظر زاد المسير في علم التفسير، أبي الفرج جمال الدين 5/91-92، المكتب الإسلامي، ط1، ط1، 1385هـ-1965م، في ظلال القرآن 4/2252.

أما الآية الأولى، فتعكس لنا صفات المؤمنين الحسنة والخصال الحميدة ويتوجه القرآن الكريم بهذه النفس إلى التوازن في الإنفاق بعدم الإسراف وعدم التقتير والبخل، ويحثهم أن لا يكونوا مبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة، ولا بخلاء على أهليهم فيقصرون في حقهم، بل عدلاً، وخير الأمور أوسطها، والذي لا يسرف هو المنفق في الطاعة، وأن أفرط، والمسرف هو المنفق في المعصية وإن قل إنفاقه، وإن المقتر هو الذي منع حقاً، ولا يكون معتدلاً.[1]

والقرآن الكريم يحرص على تكوين أفراد في المجتمع واثقين من الله عز وجل، لا يخافون إلا من الله، وبالتالي يتحقق النضج الانفعالي والاتزان العاطفي.[2]

ومن ثم يكونوا متحررين من العقد والانحرافات، حيث إن مصدر القلق في الحياة هو الدنيا وبما فيها من مال وبنين ومنصب وجاه وتهديد للنفس كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ .[3]

.[3]

والقرآن الكريم يحرص على إعطاء حقوق الإنسان في المجتمع المسلم كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ .[4]

والفرد في المجتمع المسلم يصبر على حكم الله عز وجل في الدنيا كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ .[5]

وانه تعالى أمره باتباع الوحي والتنزيل، فان وصل إليه بسبب ذلك الاتباع مكروه فليصبر عليه، إلى أن يحكم الله وهو خير الحاكمين، وهو درس تعليمي لأمته في التعلم على الصبر.[6]

والقرآن الكريم، يريد لهذا المجتمع السلامة والوقاية من الحروب، إذا استوجب الأمر ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ .[1]

---

(1) ينظر تفسير القرآن العظيم 296/4، تفسير الثعالبي، الموسوم بجواهر الحسان 140/3، منشورات الاعلمي- بيروت

(2) الاتزان العاطفي: هو ملاءمة عقل الفرد للبيئة التي تحيط به التي تكسبه الاستقرار والثبات، [المدخل إلى علم النفس: 243].

(3) سورة الكهف الآية: 46.

(4) سورة النساء الآية: 124.

(5) سورة يونس الآية: 109.

(6) ينظر تفسير الفخر الرازي: 183/9.

(فهو السلم والمسالمة، والانقياد والتسليم، فيطلق على الصلح والسلام، وعلى دين الإسلام، وهو الاستسلام لأمر الله والإخلاص له، والوفاق والمسالمة بين الناس وترك الحروب والقتال بين المهتدين به).[2]

وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾.[3]

أما إذا طلبوا أن تنصروهم لأجل الدين، أي لرد الفتنة عنهم في دينهم، إذ حاول المشركون إرجاعهم إلى دين الشرك فوجب نصرهم، لأن نصرهم للدين ليس من الولاية لهم، بل هو من الولاية للدين ونصره، فجعل الله عز وجل استنصار المسلمين الذين لم يهاجروا من جملة دواعي الجهاد ويكون عليكم واجباً نصرهم، ويحذر المسلمين على أن يقاتلوا قوماً بينهم وبينهم ميثاق، وفي هذا التحذير تنويه بشأن الوفاء بالعهد، وأنه لا ينقضه إلا أمر صريح في مخالفته.[4]

والحياء والأدب والأمانة والقوة صفات المجتمع المسلم، الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر؛ إذ القرآن الكريم دعا إلى التحلي بهذه الأخلاق، لما فيها من آثار عميقة في النفس الإنسانية، كما جاء ذلك في قصة نبي الله شعيب مع موسى (عليهما السلام) في قوله تعالى: ﴿ فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٢٥) قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴾.[5]

جاءت إحداهما تمشي على قدر من الحياء والأدب الرفيع دون تميع وتبذل مذموم، وقالت يا أبت استأجره؟ فهو كلام حكيم جامع لا يزاد عليه، لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان: أي الكفاية والأمانة في القائم بأمرك فقد فرغ بالك وتم مرادك، والقوة والأمانة صفتان ينبغي أعتبارهما في كل ما يتولى الإنسان عمله فإن الخلل لا

---

(1) سورة البقرة الآية: 208.
(2) تفسير المنار: 256/2.
(3) سورة الأنفال الآية: 72.
(4) ينظر تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهري: 86/10-87، الدار التونسية للنشر- 1973م.
(5) سورة القصص الآيات: 25-26.

يكون الا بفقدهما، أو فقد أحداهما، وقالت ذلك لأنها شاهدت من قوة موسى عليه السلام عند السقي لهما ونشاطه ما عرفت به قوته وأمانته وديانته، وانه رحمهما في حالة لا يرجو نفعهما والآية الكريمة تقرر معنىً جميلاً يبني النفس الإنسانية ويرشدها نحو البناء في التحلي بصفة الحياء والقوة والأمانة، وينهى عن الضعف والخيانة اللذين يكونان طريق ضعف النفس وهدمها.[1]

(والرسول ﷺ دعا إلى بناء مجتمع صالح متكامل متعاون على الخير، تسوده المحبة والمودة، وقد قرب بذلك فهم كثير من المعاني السامية والقيم الفاضلة بأمثلة من الواقع المحسوس، فيه إثارة للعواطف والوجدان، ودفع للمرء على اكتسابها والمحافظة عليها)[2] وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

1- حين يريد رسول الله ﷺ بناء مجتمع قوي البنية، متماسك الأطراف، ليس باستطاعة أحد اختراقه أو زعزعته أو فتنتهُ، فانه يضرب له مثلا أعلى في ذلك، ويشبهه بالبناء المتراص المستقيم القوي، فكما إن لبنات البناء تقوي الواحدة الأخرى وتشدها، فكذلك المؤمن يقوي أخاه ويشده إليه فيقول ﴿المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، وشبك أصابعه﴾.[3]

2- وعندما يريد أن ينهي عن أمر ربما يكون سبباً في غواية كثير من الناس واضلالهم وإفسادهم، أو يأمر بأمر فيه إصلاح للناس وهداية لهم، فأنه يمثل للأول بأمر حقير تكرهه النفوس، ويمثل للثاني بأمر طيب تحبه النفوس كقوله ﷺ ﴿مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك أو كير الحداد، لا يعدمك من صاحب المسك اما ان تشتريه، أو تجد ريحه، وكير الحداد يحرق بدنك أو ثوبك أو تجد ريحاً خبيثة﴾.[4]

3- وحين يريد رسول الله ﷺ تعميق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع، وحين يريد اشاعة مبدأ التناصح، والأخذ على يدي الظالم والفاسق، فيقول ﷺ ﴿مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم أستهموا على سفينة فاصاب بعضهم اعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في اسفلها إذا استقوا الماء مروا عن من فوقهم، فقالوا لو أنا خرقنا في

---

(1) ينظر الكشاف: 172/3، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي: 11/6، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام.

(2) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية: د. زياد محمود العاني، شركة الرشد للطباعة والنشر، 339-340.

(3)سبق تخريجه في المقدمة، ص3.

(4) صحيح البخاري: 2104/5، كتاب الذبائح والصيد باب المسك.

نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فان يتركوهم وما أرادوا أهلكوا جميعاً وأن اخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً﴾.[1]

وفي قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾.[2]

ومفاد الآية: أن هذه القرية كان ساكنة بأهلها لا يحتاجون الانتقال عنها لضيق أو خوف، يجلب إليها رزقها من كل بلد فكفرت هذه القرية، بأن كذبوا النبي ﷺ وخالفوا أمره، فعذبهم بالجوع والخوف وتغير الحال بما كانوا يصنعون.[3]

وهذا الإنسان الذي يكذب بالرسول ﷺ ويخالف أمر الله عز وجل ألا يعلم أنه خلق من نطفة كما في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ .[4]

(ألم ير الذي ينكر البعث أنا خلقناه من نطفة حقيرة ضعيفة مهينة، فإذا هو بيّن بالخصومة ولا يخاف الله)[5].

وهو متقلب في غمرات الشهوات كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ .[6]

أي يرضيه القليل ويسخطه اليسير، وعند المحنة يدعو، وعند النعمة ينسى ويسهو، استثنى منهم المصلين الذين هم في وقاية وحماية من الله عز وجل.[7]

---

(1) المصدر نفسه: 2/ 882 كتاب الشركة ـ باب هل يقرع في السفينة والاستهام فيه.
(2) سورة النحل الآية: 112.
(3) ينظر الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لأبي الحسن علي بن أحمد 88/3، تعليق: الشيخ عادل احمد، علي محمد، ط1 بيروت، 1415هـ- 1994م.
(4) سورة يس الآية: 77.
(5) الأساس في التفسير، سعيد حوى: 662/8، دار السلام للطباعة، ط1، 1405-1985.
(6) سورة المعارج الآيات: 19-22.
(7) ينظر تفسير القشيري، المسمى لطائف الإشارات، لأبي القاسم عبد الكريم القشيري 352/3، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، ط1، دار الكتب العلمية، 1420-2000.

وإصلاح ذات البين خصلة حميدة دعا إليها القرآن الكريم، في المجتمع المسلم في قوله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾.[1]

فقيام هذا المجتمع- ضرورة إنسانية، وحتمية فطرية وتلبية لنداء الفطرة في ساعة العسرة.

وإن كانت حتمية الميلاد لا تغني شيئاً عن آلام المخاض ولكن كيف؟ وهذا الواقع البشري الضخم يواجه الإسلام؟ على الذين يسألون هذا السؤال أن يتذكروا كيف وقع هذا الأمر أول مرة!.

لقد وقف رجل واحد يواجه البشرية بمنهج الله عز وجل؛ ويقول لها- كما أمر- إنها في جاهلية، وإن الهدى هدى الله.. ثم تحول التاريخ.. تحول حين استقرت هذه الحقيقة الهائلة في قلب ذلك الرجل الواحد. تحول على النحو الذي يعرفه الأصدقاء والأعداء!.

هذه الحقيقة التي استقرت في قلب ذلك الرجل الواحد، ما تزال قائمة قيام السنن الكونية الكبرى وهذه البشرية الضالة قائمة كذلك وقد عادت إلى جاهليتها!

وهذا هو الأمر في أختصار واجمال...

توجد نقطة البدء نقطة استقرار هذه الحقيقة في عدة قلوب.. في قلوب المؤمنين.. ثم تمضي القافلة في الطريق الطويل.. الشائك... الغريب اليوم على البشرية غربته يوم جاءها الهدى أول مرة- فيما عدا بعض الاستثناءات ثم تصل القافلة في نهاية الطريق الطويل الشائك..كما وصلت القافلة الأولى..

ليست مسألة هينة. ولا أنها معركة قصيرة.. ولكنها مضمونة النتيجة كل شيء يؤيدها.. كل شيء حقيقي وفطري في طبيعة الكون والإنسان، ويعارضها ركام كبير ويقف في طريقها واقع بشري ضخم ولكنه غثاء ضخم نعم.. ولكنه غثاء كغثاء السيل[2] ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.[3]

وفي قوله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾.[4]

---

(1) سورة الأنفال الآية: 1.
(2) ينظر الإسلام ومشكلات الحضارة، سيد قطب: 36، مط البابي الحلبي، 1365-1946.
(3) سورة يوسف الآية: 21.
(4) سورة الأنفال الآية: 1.

(أي فاتقوا الله في الاختلاف والمشاجرة والتنابذ والشقاق في جور الغنائم واصلحوا حتى يتحقق معنى الألفة والمحبة والاتفاق، ومقتضى هذه الآية، وان كمال الإيمان بطاعة الأوامر، واتقاء المعاصي وإصلاح ذات البين بالعدل والإحسان)[1].

ويكون هذا الإصلاح بالحكمة والموعظة الحسنة، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ .[2]

(أي ادع أيها الرسول من أرسلك إليهم ربك بالدعاء إلى شريعته التي شرعها لخلقه بوحي الله الذي يوحيه إليك ربك بالدعاء، وبالموعظة التي جعلها الله حجة عليهم، وخاصمهم بالخصومة التي هي احسن من غيرها، بأن تصفح عما نالوا به عرضك من أذى، وترفق بهم وتحسن الخطاب)[3].

ولاشك ان علم النفس لقي في عصرنا الحديث اهتماماً كبيراً وبالغاً بعد ان تبين ان مرض الجسد، قد لا يؤثر على النفس بينما مرض النفس هو السبب الاول والرئيس لمرض الجسم، وقبل ان يصل العلم إلى حقائق علم النفس وعلى الأخص في علاجها ووقايتها، فان سنة رسول الله ﷺ قد سبقت العلم بذلك كما سنرى، فالرسول الكريم محمدﷺ في سنته المطهرة يضع عدة قواعد في توجيه الفرد والمجتمع، كما في الأحاديث الآتية:

1- الإسراف والزيادة من أخطر أمراض العصر عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ثم كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا ما لم يخالطه إسراف أو مخيلة﴾.[4]

2- في الرفق، قوله عن عائشة زوج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: ﴿ان الرفق لا يكون في شيء ألا زانه، ولا ينزع من شيء ألا شانه﴾.[5]

3- الغضب، قوله عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب﴾.[6]

4- في رتابة الحياة فقد دعت أصول الطب النفسي الإنسان إلى أن يخرج عن المألوف كسراً لرتابة الحياة وعملاً على التحرر اليومي المستمر ﴿اغزوا تغنموا، وصوموا تصحوا، وسافروا تستغنوا﴾.[1]

---

(1) الجواهر في تفسير القرآن الكريم، المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات، الشيخ سيد طنطاوي 4/5، مط البابي الحلبي، ط2، 1350.
(2) سورة النحل الآية: 125.
(3) تفسير المراغي، أحمد مصطفى مرا غي: 161/13، ط مط البابي الحلبي، 1365هـ- 1946م.
(4)سنن ابن ماجه 1192/2، كتاب اللباس، باب البس ما شئت ما اخطاك سرف أو مخيلة.
(5)صحيح مسلم 2004/4، كتاب البر والصلة، فضل الرفق.
(6)صحيح البخاري 2267/5، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب.

5- الطب النفسي يحرص على تكوين شخصية الإنسان من أخطر ما قد يصيبه من مرض نفسي، وهو انعدام ثقة الإنسان بنفسه، وقد وضع الرسول ﷺ العلاج للوقاية من ذلك المرض كما في قوله ﷺ ﴿لا تكونوا إمعة تقولون إن احسن الناس احسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن احسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن لا تظلموا﴾.[2]

والبشرية ستظل، تعاني أزمات عصرها وفكرها وتطلع على التاريخ بحضارات تحمل في بذورها عناصر التحطم والفناء ستظل البشرية تدور بمعطياتها وحضارتها في الحلقة المفرغة التي ليس للخروج منها من سبيل.

وهي خلال ذلك كله تذهب على الناس فرصة أعمارهم وجهودهم، وتدمر عليهم أمنهم الذاتي وسلامتهم، وتسحق آمالهم ومصائرهم، وتعبث بوجودهم الفردي والجماعي، وتدفعهم دفعاً إلى الدوامة القاسية التي تطحن في أعماقها الجميع.

ستظل البشرية، وتزداد أزماتها تعقيداً وإرهاقا يوم بعد يوم، حتى يتأتى لها- يوماً ما- أن تؤمن بالنور الذي تنزل من السماء، وانصب، عبر فترات من التاريخ على الظلمات التي ظلت البشرية تتخبط فيها.. وآنذاك سيتضح الطريق أمامها.. مستقيماً عدلاً.. صوب هدفه العظيم.. ومرة أخرى، لن يتأتى لهذا النور فاعليته الحقة في عملية الإنقاذ الحاسم، إلا بأن تستلم القيادة العملية البشرية زعامة صالحة تقبض على الدفة بيد مؤمنة قوية، وتندفع بالمركب الذي تقاذفته الرياح والأمواج قروناً طويلة، إلى شاطئ الآمن والسلام، والتحرر من الخوف والضياع في لجة العالم وخضم الكون، وبعدها يكون الفرد؛ الذي يعيش في وسط مجتمع قد تحرر مما يخيفه من الفوضى والإضطراب، والقلق النفسي والنظر إلى الحياة بنظرة الرضا والطمأنينة التي ينشدها العالم بأسره.[3]

إذن يريد القرآن الكريم، للفرد أن يبني نفسه ويكون ذا شخصية أشبه بالميزان الذي يوزن به الناس، أو أشبه بوحدة القياس التي يقاس بها السلوك البشري فيوصف باعتداله أو بجنوحه.

---

(1) مسند أحمد 380/2.
(2) سنن الترمذي /364 كتاب البر والصلة عن رسول الله، باب ما جاء في الإحسان والعفو.
(3) ينظر فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر: 227.

ويكون للشخصية الإسلامية التي يتحلى بها الفرد وعياً كونياً يشمل النفس والأرض والسماوات، ويشمل الماضي والحاضر والمستقبل، فإنها ستكون شخصية إسلامية ترتاد الآفاق والوسائل المتاحة لها مثل التفكير والاكتشاف، وارتياد كل دوائر المجهول التي تسمح ملكات الإنسان وأدوات التكنولوجيا المتراكمة بارتيادها.

فيكون بناء الفرد ضمن ما ذهبنا إليه حلقة الوصل لبناء المجتمع، فالرسول ﷺ قد بنى دولة الإسلام وابتدأ بقلة من الرجال ثم انتهى بأمة في مشارق الأرض ومغاربها تهتف بنداء واحد لا اله الا الله محمد رسول الله.

فيمكن أن نقول أن بناء الفرد بالوسائل والإمكانيات المتاحة لهو النور وسط العتمة، أما الوسائل والإمكانيات فهي موجودة ومتوفرة، عند من تجرد وأخلص النية والقول في إعلاء صرح الإسلام.

المبحث الثاني

أثر الدوافع النفسية على الأسرة

يبدأ القران الكريم بإقامة المجتمع الطاهر النظيف بضمير الفرد، فيطهر عقيدته ونفسهِ، ويسمو بدوافعه، ويوزع طاقاته بين الأرض والسماء وبين الدنيا والآخرة، وبيان الحاضر والآتي، ويتعهده بفرائض تروضه على الحياة النظيفة والخلق الكريم.

والأسرة هي الوحدة الأولى في المجتمع، والبيئة الصغيرة للفرد ولهذا أقامها القرآن الكريم على أساس من الحق والعدل والإحسان، وأحاطها بفيض من البر والمواساة والحب،أذن تربية أسر على قواعد القرآن الكريم وتعاليمه، له الأثر البالغ، والعامل النفسي الكبير في التعامل مع معطيات المجتمع بما يريد الله عز وجل، ولا يكون ذلك إلا بتوخي المبادئ القوية التي يشاد عليها صرح الأسرة، وتضمن بقاءها ونموها، قوية مثمرة، ثم بقوة الهيمنة على تلك المبادئ ومراقبة تنفيذها.[1]

والأسرة في الإسلام وحدة واحدة شديدة التماسك قوية الاواصر، فينبغي أن يكون هناك تعاون تام بين أفرادها، ويلزم أن يعرف كل منهم حقوقه وواجباته، بل إن الإسلام يذهب إلى مدى أعمق من الحقوق والواجبات، فهو يحث على الحب، وعلى الإيثار بين إفراد الأسرة، وهذا هو القرآن الكريم يوضح درجات الأسرة في الحب والقربى قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ ﴾.[2]

وهذا يبين حب الله ورسوله والجهاد في سبيله يسبق كل حب ثم يأتي بعده حب إفراد الأسرة على النمط الذي أوردته الآية.[3]

والإسلام أهتم بالأسرة لأنها أساس المجتمع، وأدل شيء على مقدار أحترام الإسلام للأسرة، أن القرآن الكريم لم يتعرض لبيان الأحكام في ناحية من نواحي

---

(1) ينظر منهج القرآن في التربية، محمد شديد:152،ط1 مؤسسة الرسالة، والإسلام عقيدة وشريعة، محمود شلتوت: 160، دار الشروق، ط4، 1968.

(2) سورة التوبة الآية: 24.

(3) ينظر الحياة الاجتماعية في التفكير الإسلامي: 105 د. احمد شلبي، دكتوراه في الفلسفة من جامعة كمبردج مباحث اجتماعية في نطاق الأسرة، وفي نطاق المجتمع وفي نطاق المال، ط2، مكتبة النهضة المصرية 1973.

المجتمع كما بين أحكام الأسرة، فقد تكلم في المقام الأول في بنائها وهو الزواج؛ فذكر كثيراً من أحكام الزواج، ومن حيث الإنشاء، ومن حيث الأحكام المترتبة على العقد، فبين حقوق الزوجين، والواجبات التي لكل واحد منهما على الآخر، والقرآن الكريم لما بين أحكام الأسرة عناية منه بأحكامها، ولكي تكون دائمة باقية لا يرتاب في جزء منها مرتاب ولا ينحرف عن أحكامها منحرف، ولا يتأول لها متأول بغير ما أنزل الله سبحانه،ولكي لا يبتعد الناس عن تقليد غيرهم في أمر الأسرة، ويطمئن كل من يخضع إلى الحكم الإسلامي، إلى إنها أحكام الله عز وجل لا مناص له في الخروج عليها، إلا إذا خرج عن الإسلام.

وقد دلنا القرآن الكريم في محيط الأسرة على حسن أختيار الزوج والزوجة، ومعالجة نشوز الزوجة، وأنه شرع العلاج الوقائي، قبل معالجة إصلاح الخلافات خوفاً من الشقاق وانهيار الحياة الزوجية، التي يحرص القرآن الكريم على بنائها واستدامة بقائها.[1]

والقرآن الكريم أرشد إلى نكاح الصالحين، وإذا كانت نية الزواج صادقة، كان الإغناء والتيسر والتوفيق من الله عز وجل، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ .[2]

فالزواج هو الطريق الطبيعي لمواجهة الميول الجنسية الفطرية. وهو الغاية النظيفة لهذه الميول العميقة، فيجب أن تزول العقبات من طريق الزواج لتجري الحياة على طبيعتها وبساطتها، والعقبة المالية هي العقبة الأولى في طريق بناء البيوت، وتحصين النفوس، والإسلام نظام متكامل، لذلك يأمر الله الجماعة المسلمة أن تعين من يقف المال في طريقهم إلى النكاح الحلال، ولا يجوز أن يقف الفقر عائقاً عن التزويج-متى كانوا صالحين للزواج راغبين فيه، فالرزق بيد الله عز وجل وقد تكفل الله بإغنائهم، إن هم اختاروا طريق العفة النظيف.[3]

ومدخل تكوين الأسرة هو الزواج، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.[4]

---

(1) ينظر المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، محمد أبو زهرة: 69-70، دار الفكر، ط2، 1390-1970، موازين القران الكريم:234، عز الدين بليق دار الفتح للطباعة، ط1،1403هـ 1983م.
(2) سورة النور الآية: 32.
(3) ينظر في ظلال القران 2514/4-2515.
(4) سورة الروم الآية: 21.

فالزواج حق مشروع للرجل، والمرأة متى بلغا سن الزواج، لأنه العامل في تحصين النفس، وتزكيتها، وصد جماحها، فيه يهدأ البدن من الأضطراب وتسكن النفس من معترك الصراع الأليم، وهذا ما صورته الآية أعلاه.[1]

على أساس أن الزواج يقوم على نية العشرة الدائمة، التي لا تنقطع، وذلك لتحقيق الثمرة منه، والتي تتلخص في:

1- السكينة.

2- المودة والرحمة.

3- التفكير في آية هذا الزواج.

---

(1) ينظر منهجنا التربوي، عبد الحافظ الكبيسي:193، دراسة موضوعية في رحاب التربية الإسلامية، ط1، 1047-1987.

وعلـى هـذا الأسـاس، فـإن الـزواج يحقـق الجـو الصـالح لعمليـة التنشـئة الإجتماعية.[1]
وبهذا حدد القران الكريم علاقات الأسرة، ودور كل فرد سواء بين الزوجين، أو الأولاد ولكن؛ ما العمل إذا أصاب هذا البنيان صدع أو ريح تكاد تودي به كما في حالات النشوز؟
يحدد القران الكريم أسلوب العلاج، الذي يتلخص في الآتي:
1- الموعظة الحسنة 2- الهجر في المضاجع 3- الضرب غير المبرح وهذا ما حددته سورة النساء. كما في قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤﴾.[2]
فإذا لم تجد هذه الوسائل فإنه يجوز الطلاق في هذه الحالة هذا بالنسبة للمرأة، أما إذا نشز الرجل، أو خافت المرأة نشوزه، فيمكن التوصل إلى الصلح بينهما، لتستمر الأسرة فإذا استحال الأمر، فللمرأة أن تتنازل عن حقوقها وتطلب الخلع من الزوج كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾.[3]
إن الغرض الذي نستخلصه من أسلوب القرآن الكريم هو:
أ- إصلاح ذات البين وتقوية العلاقة بين الرجل والمرأة في ما يكون لصالحهما.
ب- الإصلاح وحسم النزاع بينهما في بداية الأمر وخاصة داخل نطاق محدود كالأسرة.
جـ- القرآن الكريم قدم الأساليب والوسائل للإصلاح لكلا الطرفين إذا تعذرت هذه الطرق وحالت الحياة الزوجية من الاستمرار ارشد إلى الطلاق.
فالسكن والرحمة والمودة هو ما يؤديه إشباع الحاجة الجنسية بالزواج فأقر الإسلام مشروعيته. ومن الواضح أن الزنا يؤدي نفس الإشباع الجنسي لكن الإسلام لا

---

(1) ينظر علاقة الوالدين بالطفل، وأثرها في جنح الأحداث: 142، مكتبة ألا نجلو- مصر1970.
(2) سورة النساء الآية: 34.
(3) سورة النساء الآية: 128.

يعترف به حاجة فلو كانت الحاجة في نظر الإسلام مجرد الإشباع بصرف النظر عن الآثار والمقاصد لكان المفروض أن يعترف به، لأنه يؤدي هذا الإشباع ولكن الحقيقة أن الإسلام ينظر في الحاجة إلى آثارها على الفرد والمجتمع، ومن ثم فهو يحرم الزنا ويصفه بأخبث الأوصاف ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾.[1]

وكذلك الآيات التي تحدثت عن تحريم الخمر نجدها تربط بين هذا التحريم وبين ما ينتج عن تعاطي الخمر من آثار ضارة في ذات الفرد وفي ذات مجتمعهِ، كالعداوة والبغضاء، وفقد العقل من ثم الصد عن ذكر الله وإقامة الصلاة.[2]

وهذا هو شكل الخلية الأولى للأسرة أساساً للنظام الاجتماعي، الذي حدده القرآن الكريم، ووضع له أسساً وقواعد ابتداء بالزواج، وما يتخلله من أمور وحوادث حتى يكون دور الأسرة فاعلاً بما يترتب عليه من آداب القرآن الكريم الذي وضح دور المجتمع الذي هو عبارة عن مجموعة الأسرة.[3]

ولم يقبل لهذه العلاقة أن تفصل حتى في حال الكراهية كما في قولة تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾.[4] ومن خلال ما تقدم يتبين:

1- إن القرآن الكريم عندما وضع هذه الأسس والمبادئ الدقيقة لتكوين الأسرة، هدفهُ إنشاء مجتمع صالح متمسك بمنهج الله عز وجل.
2- لمس القرآن الكريم المناطق الحساسة في النفس الإنسانية ووضع لها العلاج الناجح والخطوات الدقيقة في بناء الأسرة.
3- دعا الأسرة إلى الإلتزام بالمودة والمحبة والعدالة والتكامل، حتى لا تصطلي الأسر بنار الخلاف، أو الفرقة البغيضة. وفي جو كهذا يستطيع الفرد أن يحقق ذاته، ويحقق رغبة الاستعلاء في نفسه، دون أن يضطر للنزاع الفردي، ففي المجال متسع وفي الأرض سعة.[5]

والقرآن الكريم، ينتقل بالمجتمع والفرد والأسرة من محيط الغفلة والكسل والسلبية إلى مرحلة النشاط والعمل والإيجابية، والخير ضد الشر، وخير الناس من

---

(1) سورة الإسراء الآية:- 32.
(2) ينظر الحاجات الاقتصادية في المذهب الاقتصادي الإسلامي، أحمد عواد محمد الكبيسي: 133، مط العاني بغداد، ط1، 1408هـ-1987م.
(3) ينظر فلسفة التربية الإسلامية:- 116-118.
(4) سورة النساء الآية: 19.
(5) ينظر السلام العالمي والإسلام: 108.

بدأ بإصلاح نفسه، قبل أن يتصدى لإصلاح غيره، ورسول الله ﷺ يقول ﴿ خيركم خيركم لأهله﴾.[1]

ويقول ﴿ أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم﴾.[2]

والقرآن الكريم عندما ينتقل بالإصلاح من الفرد إلى الأسرة حتى تكمل حلقة الوصل بينهما فيقول ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾.[3]

أي أدبوهم وعلموهم، واعملوا بطاعة الله، واتقوا المعاصي وامروا اهليكم بالذكر ينجيكم الله من النار، وان عليكم أن تسندوا النصح لأهلكم من الزوجة والولد والخدم، وكل من يكونوا في كنفكم، فالنار عليها زبانية غلاظ الأقوال في التقريع والتوبيخ قساة، عملهم تنفيذ أمر الله عز وجل، فلا عذر في هذا اليوم، فقد مضى من الإعتذار والتوبة، فأعملوا بما يريد الله عز وجل ما زلتم على ساحة الأرض.[4]

وحذر القرآن الكريم على مسايرة النزعة الطارئة، وأرشد إلى محاربتها وعدم التأثر بها، بل شكك في وجدانها، والشعور بها، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾.[5]

والقرآن الكريم كذلك رسم العلاج في حالة التفاقم وشدة الخلاف وعجز الزوجين بأنفسهما عن إزالته كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾.[6]

---

(1) سنن ابن ماجه 636/1، كتاب النكاح، باب حسن معاشرة النساء.

(2) سنن الترمذي 446/3، كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها. وهذا حديث حسن صحيح

(3) سورة التحريم الآية: 6.

(4) ينظر تفسير القران العظيم 220/6، التفسير الفريد للقران المجيد 3138/4.

(5) سورة النساء الآية: 19.

(6) سورة النساء الآية: 35.

فالآية تشير إلى الإجمال في القول، والمبيت والنفقة وقيل هو أن تضع لها كما تحب ان تضع لك، فإذا كرهتم عشرتهن وصحبتهن وآثرتم فراقهن، فعسى الله أن يرزقكم منها ولداً صالحاً، وتتحول هذه الكراهية إلى محبة وعاشروهن بما لا ينكر الشرع والعرف والطبع، ليبقى البيت محافظاً على توازنه.[1]

فان الله تعالى لما ذكر نشوز المرأة بين أن على الزوج أن يعظها، ثم يهجرها، ثم يضربها، فإذا لم يبق بعد الضرب إلا المحاكمة فيجب أن ينصف المظلوم من الظالم، فيبعثوا حكماً عادلاً عارفاً حسن السياسة والنظر في حصول المصلحة فان أراد تأليفاً وفق الله بينهما ويحصل ما يريدان.[2]

فالقرآن الكريم في خطواته المتناسقة، رسم الحياة السعيدة الهانئة للأسرة، إنما يريد بذلك أن تعيش الأسرة في أمن نفسي واستقرار، والذي ينبغي أن يتوفر في كل نفس "إنسانية" لها مهمة تقضيها على هذه الأرض غير مهمة الحيوان؛ أما إذا أطلق الحبل على غاربه، فيكون هذا القلق الدائم هذا الضغط العصبي، هذا الجنون، هذا الانتحار. وإذا أطلقت الأسرة هذه الشهوات من دون حدود فلم تعد أسرة فيها راحة وسكن ورابطة زوجية، ولا أطفالاً يمسكون بأيديهم الرقيقة حبالها، فتتوثق وتتعمق في الوجدان[3].أما الجنس فهو دافع من دوافع الفطرة، وليس حوله طيف من استفزاز وإنكار لقوله ﷺ ﴿حبب إلي من دنياكم: الطيب والنساء، وجعلت قرة عيني في الصلاة﴾.[4]

(...وأن في بضع أحدكم) [أي ممارسة العمل الجنسي مع الزوجة] لأجر، قالوا يا رسول الله! إن أحد يأتي شهوته ثم يكون له أجر؟ قال أريتم أن وضعها في حرام أليس عليه فيها وزر؟ فإذا وضعها في حلال فله عليها أجر)[5].

وفي قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾.[6] وقوله ﷺ ﴿أما والله إني لأخشاكم لله واتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر وأصلي

(1) ينظر تفسير الخازن 338/1، التفسير الواضح82/1.
(2) ينظر تفسير الفخر الرازي 94/5-95، روح المعاني: 26/3-27.
(3) ينظر جاهلية القرن العشرين، محمد قطب:215.
(4) سنن النسائي 61/7، كتاب عشرة النساء، باب حب النساء.
(5) صحيح مسلم 697/2 كتاب الزكاة باب بيان ان اسم الصدقة يقع على كل نوع من أنواع المعروف.
(6) سورة الحديد الآية:27.

وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني﴾.[1] صورة رائعة طاهرة نظيفة، تصورها الآية الكريمة وحديث الحبيب محمد ﷺ مشروعية ممارسة ما أحل الله وشرعه وهو الزواج.

وقد حرص القرآن الكريم على أن يعيش الشاب المسلم عندما يخرج من أسرته أن يجد ما يساعده على السيطرة على دافعه الجنسي، ولا يعرضه إلى ما شأنه أن يثير هذا الدافع، ولذلك طالب القرآن الكريم بغض النظر، كما طالب النساء بإخفاء زينتهن وممارستهن الخلقية، التي قد تفتن الرجال كالشعر والعنق والصدر، كما في النداء القرآني في قوله عز وجل ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾.[2]

فالتربية الإسلامية معنية بالنمو العاطفي عنايتها بكل أنواع النمو في الكائن البشري.

فالإسلام يهدف إلى إقامة أسرة ومجتمع نظيف، لا تهاج فيهما الشهوات في كل لحظة ولا تستثار فيه دفعات اللحم والدم في كل حين. فعمليات الاستثارة المستمرة تنتهي إلى سعار شهواني لا ينطفئ ولا يرتوي.

والنظرة الخائنة والحركة المثيرة، والزينة المتبرجة، والجسد العاري، كلها لا تصنع شيئاً إلا أن تهيج ذلك السعار الحيواني المجنون، وإلا أن يفلت أمام الأعصاب والإرادة. فإما الإفضاء الفوضوي الذي لا يتقيد بقيد، واما الإمراض العصبية والعقد النفسية الناشئة من الكبح بعد الإثارة، أو هي تكاد تكون عملية تعذيب.

ولكن قد يكون المؤمن المتعمق في آلاء الكون، والقائم بالليل والمسبح بالنهار، قد تكون العملية أخف وطئاً وضراوة.[3]

فالفتاة النظيفة لا تجد أن تتزوج ـ ولا أن تحقق- رسالتها في الحياة، والفتى النظيف في حيرة من أمره لا يصل إلى شئ مما يريد. وهذا إن ظلا على نظافة فهذا الإغراء كله، والفتنة الجائحة، والصور المثيرة والنسوة العارية، والمشية الخليعة، والقصة الخليعة، والأغنية الداعرة، والاختلاط الدنس، والجو الموبوء..

ما نتيجة كل هذا بالنسبة للأطفال والمراهقين الشباب؟ كيف يكونون مسلمين؟ وما هو الأثر النفسي المتروك لهم؟ كلا لا يمكن أن نحلم في الخيال، ونفترض أن يكونوا مسلمين فيجب مسك القيادة بشدة، لنفوز برضا الله.[1]

---

(1) صحيح البخاري 1949/5، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح.
(2) سورة النور الآيات: 30-31.
(3) ينظر في ظلال القران: 2510/4-2511.

بعد هذه الجولة التي قضيناه داخل الأسرة يتقرر لنا وبأدق عبارة وأوضحها، أن الباري عز وجل يريد من المسلم أن يتبع منهجه ويطبقه بكل تفاصيله في كل نواحي الحياة، وأن تكون نفوسنا متأثرة بهذا المنهج، ومطبقة له على أرض واقع الحياة، وذلك حتى نخرج بنتيجة ينشدها العالم بأسره هي أن نكون "سعداء" في الحياة، وهذا الأمر يكون باتباع القرآن الكريم، وجعله دستور الحياة الخالد.

وينتقل القرآن الكريم إلى جانب آخر مهم في الأسرة، وهو أتجاه الفطرة، الذي حرص القرآن الكريم على تهذيبه، هو التكافل بين الوالدين والأبناء، ويبرز حقوق الأباء ويلزم الأبناء تجاهم بمسؤوليات دقيقة لا يمكن تجاوزها، كما في قوله تعالى:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ .[2]

حيث أمر الله سبحانه وتعالى أن لا يعبدوا غيره تعالى، لأن عبادته غاية التعظيم وأن تحسنوا بهما واحسنوا بهما إحساناً، وهو بتوحيد المعبود بعد النهي عن الشرك. والرابطة الأولى بعد رابطة العقيدة هي رابطة الأسرة، ومن ثم يربط السياق بر الوالدين بعبادة الله إعلاناً لقيمة هذا البر عند الله، والقرآن الكريم بهذه العبارات الندية والصور الموحية يستجيش وجدان البر والتقوى في قلوب الأبناء الذي يشعر به الأبوان تجاه هذا البر بأثر نفسي عميق في النفس.[3]

وفي قوله تعالى كذلك ﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَـٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ .[4]

وتأتي التوصية القرآنية بالأم، وكيف حملت بالابن؟ وتحملت في ذلك الآلام والأوجاع، كما في قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا ﴾ .[5]

---

(1) ينظر منهج التربية الإسلامية: 219/1.
(2) سورة الإسراء الآيات: 23.
(3) ينظر روح المعاني 54/8، في ظلال القرآن 2221/4.
(4) سورة الأنعام الآية: 150-151.
(5) سورة الأحقاف الآية: 15.

ونجد الصورة الثانية من الحالة وهي حقوق الأولاد تجاه الأباء فالإنسان قد يبلغ في حب أولاده، حتى يفتن بهم، أو يركب الشطط من أجلهم، نجد القرآن الكريم يحذر من الانحراف حتى لا يسير الإنسان وراء غريزته دون هدى أو بصيرة، كما نلمسه في الآيات القرآنية الآتية:

فقد جاء في قوله تعالى: ﴿ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴾ .[1]

فيلفت نظرنا القرآن الكريم أن المال والبنين زينة وليس قيمة، إنما القيمة الحقة للباقيات الصالحات من الأقوال والعبادات، فإذا كان أمل الناس عادة يتعلق بالأموال والبنين، فإن الباقيات الصالحات خيرُ ثواباً وخير أملا.

فعندما يتعلق بهما القلوب ويناط بها الرجاء، فأكرم بها من قيمة، وأنعم بها لما فيها ثواب وأمل يوم الجزاء.[2]

وفي قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا فَٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَاۚ يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ ﴾ .[3]

وفي قوله تعالى: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ ﴾ .[4]

وهكذا ترك للغزيرة شأن رعاية الأولاد، فإذا وجدوا من الناس من انحرفوا عن الطبيعة، وشغلوا بأنفسهم وملاذهم عن أولادهم فإن الإسلام يتدخل ليعيد هؤلاء راغمين أو طائعين إلى الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها، أو على الأقل مستلزماتها إن كانت الفطرة قد ماتت عندهم وحتى يستطيعوا أن يواجهوا مشكلات الحياة.[5]

ولا تقوم العلاقة في الأسرة على المصلحة المادية، ومنطق الربح والخسارة، إنما تقوم على البذل والرعاية من الآباء، وعلى البر والطاعة والإحسان من جانب الأبناء، فيقرن الإحسان للأبوين بعبادة الله عز وجل وشكرهما، اعترافاً بفضلهما،

---

(1) سورة الكهف الآية: 46.
(2) ينظر في ظلال القرآن: 227/4.
(3) سورة الفتح الآية: 11.
(4) سورة الحديد الآية: 20.
(5) ينظر الحياة الاجتماعية في التفكير الإسلامي:110-114.

وضماناً لهما من الإهمال والضياع في كبرهما ورعاية للمستوى الخلقي الرفيع للأسرة.

والباري عز وجل يريد للبيت أن يكون بمثابة الأمن والسكينة والراحة، فأمر بآداب الاستئذان في داخله، كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ ﴾.(1)

وكفل القرآن الكريم، ونظم آداب دخوله، وبدأها بالاستئناس قبل الدخول، وهي لفظة مدلولها فسيح يدرك بالبصيرة والذوق، كما جاء في نداء الحق عز وجل في قوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾.(2)

كما حرم الدخول إلى البيوت بغير أذن لقول الرسول ﷺ ﴿ لو أن أمرءاً اطلع عليك بغير أذن فحذقته بحصاة، ففقأت عينه ما كان عليك من جناح﴾.(3)

والقرآن الكريم أكد على خطوة أخرى لها أثرها الفعال في بناء الأسرة، كما في قوله تعالى: ﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾.(4)

وفي قوله تعالى: ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ ﴾.(5)

ذكره لنبيه محمدﷺ: فأعط يا محمد ذا القرابة منك حقه عليك، والدائرة الثانية، التي تلي الأسرة هي التي تضم الأقارب وذوي الأرحام. والروابط الفطرية القائمة فيها تعين على شد الأزر فيما بين أعضائها.

---

(1) سورة النور الآية: 58.
(2) سورة النور الآية: 27.
(3) صحيح مسلم 1699/3، كتاب الآداب، باب تحريم النظر في بيت غيره.
(4) سورة البقرة الآية: 177.
(5) سورة الروم الآية: 38.

ولقد أكد القرآن الكريم هذه الدوافع الفطرية بين الأقرباء ووثقها بتذكير بها وتأكيد عليها (الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله)[1]، وذلك لرص صفوف الأسر مع بعضها، وأعتبر هذه الصلة من اكثر الأعمال مثوبة، لتحقق هذه الصلة المحبة والألفة والتعاون والتراحم والتشاور والتناصح فيرتفع صرح البناء والخير والتطوير، أما حين تكون القطيعة بين الأسر، فحينئذ يذبل جمال الحياة ويسود جبينها، ويخبو صوت الإصلاح والتعاون والبناء، ما يضعف الأمة ويهدمها. لذا فإن الله تعالى ربط بين قطيعة الرحم والإفساد في الأرض ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾.[2]

وان الصمم وعمى البصيرة والطرد من الرحمة الإلهية والإفساد في الأرض كلها مترابطة سبباً أو نتيجة مع قطيعة الرحم[3].

وقد اقتضى أن يفهم الإنسان أن رسالته في الأرض لا تتحقق إلا بتكوين المجتمع والأسرة وإن من لوازم هذه الأسرة استقرار العواطف، وتخصيص أنثى لكل رجل ورجل لكل أنثى، ليتكون الحضن الصحيح لتربية الأجيال الناشئة في عش هادئ يتمتع بالسلام النفسي والمادي.. ولتتكون بين أفراد المجتمع علاقة أخرى، غير علاقة التقاتل الوحشي بين الذكور على اصطياد الإناث، ولتتوجه اهتمامات الفرد بعد قضاء حاجة الجنسين في سلام وأمن إلى أهداف إنسانية أخرى التي يشملها كيان الإنسان بكل جوارحه وعواطفه.[4]

ويقوم مركز العواطف بمساعدة الإرادة في توجيه السلوك وفق الأوامر والنواهي التي تصدرها.

وعند ذلك يتم سلوك الإنسان السوي منسجماً مع عقيدته، أو مع أسلم الطرق وأفضلها، ويلاحظ أن العواطف تتأثر بالوجدانيات كما تؤثر فيها، وتتأثر العواطف أيضا بالعقائد كما تؤثر فيها، فوظيفة العواطف في الوضع السليم:

أ- مساعدة الإرادة في توجيه السلوك، وفق الأوامر والنواهي التي تصدرها.

ب– تغذية مركز الوجدانيات وتصعيد النفس من البهيمة إلى الكمال الإنساني، وذلك في حالة انسجامها وتفاعلها مع العقائد السليمة.[5]

---

(1) صحيح مسلم 1981/4، كتاب البر والصلة باب صلة الرحم وتحريم قطيعها.
(2) سورة محمد الآية:-22-23.
(3) ينظر مدخل إلى التصور الإسلامي للإنسان والحياة 193.
(4) ينظر منهج الفن الإسلامي: 52.
(5) ينظر العقيدة الإسلامية، وأسسها: 63-64.

ومن الأهمية بمكان أن نذكر الدائرة الثالثة وهي الجوار بعد الأسرة والقرابة، بسبب انتقال اهتمام الإسلام من الصلات الأوثق فطرياً والأهم في تماسك الأسرة إلى ما سواها، فلا يهمل أي أفق من أفاق هذه الدوائر الاجتماعية، ويعطي كل دائرة حقها الكامل من الرعاية والاهتمام، والجار في القرآن الكريم ثلاثة (الجار ذو القربى، والجار الجنب والصاحب بالجنب)، فالجار القريب منك رحماً، والجار الأجنبي عنك، والصاحب بالجنب من صحبك في سفر أو شركة أو حرفة، أو كان قاعداً إلى جانبك في مجلس أو مسجد أو أي مكان، أولئك أوصى بهم الإسلام حرصاً منه أن يبني المسلم كيان المجتمع ويضطلع برسالته الإسلامية بنشر الإسلام بكل ما يجاوره، كما يضطلع برسالته الإنسانية في مساعدة الإنسان، والتعاون معه على تطوير الحياة في كل خير، ورسالته الإنسانية هذه من الإسلام عقيدة ومنهاجاً.

وقد وصى القران الكريم بالجار كما في قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾ .[1] فهو تأكيد على البناء الشامخ الذي يرسم خطواته الإسلام للمجتمع الإسلامي المتعاون، ليغمره الحب والإخاء والطيب والثقة.[2]

وقد أكد الرسول ﷺ اروع المعاني في رعاية الجار حيث قال ﴿...ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره.. الحديث ﴾.[3] وفي قوله ﷺ ﴿والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل ومن يا رسول الله قال من لايؤمن جارة بوائقه﴾.[4]

وفي نهاية المطاف يمكن لنا القول:

إن القرآن الكريم، عندما يضع هذه الخطوات الأساسية للأسرة، يريد أن يرتقي بها، للتأثر بالمنهج القرآني، الذي يولد العامل النفسي الذي له الأثر في البناء، وهي بعد ذلك تنهض من كبوة القلق والاضطراب النفسي الذي ينخر بالنفس الإنسانية إذا تنكبت عن الصراط المستقيم باحثة عن النور في غير مكانه وأصله، فالقرآن الكريم أراد للأسرة عيشة هانئة طيبة وكفل ذلك لمن يريد هذه العيشة، كما لمسناه في الآيات

---

(1) سورة النساء الآية: 36.
(2) ينظر في ظلال القران 370/2 ، مدخل للتصور الإسلامي للإنسان والحياة: 194.
(3) صحيح مسلم68/1 كتاب الإيمان - باب الحث على إكرام الضيف.
(4) صحيح البخاري 2240/5 كتاب الأدب ـ باب أثم من لا يؤمن جاره بوائقه.

القرآنية التي إستعرضناها في مبحثنا. فهو يريد بالأمة أن تكون على أساس متين من البناء الصالح، الذي يبدأ بالفرد والمجتمع، ومن ثم الأسرة، ومن ثم الدولة. حتى يتحقق فينا قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾.(1)

لقد حان الوقت الذي يجب فيه على عالم النفس المسلم، الاستفادة من تعاليم الإسلام وعلومه، وفهمه للدين الإسلامي من القرآن الكريم والحديث فهي إثراء وتطوير علم النفس، لو تمكنوا من تحقيق هذه فإنهم يحققون إرادة الله عز وجل في وضع الإنسانية على الطريق القويم والصراط المستقيم، ومواجهة التحديات الماثلة إمام الإسلام في القرن العشرين، والعودة بأسر مؤمنة تجعل القرآن الكريم دستوراً لها ومنهاجاً، حتى لا تصطلي بنار الحيرة والتخبط في الظلام.

(1) سورة آل عمران الآية: 110.

المبحث الثالث

أثر الدوافع النفسية على الدولة

إن الدولة هي القوة المهيمنة على الفرد والمجتمع والأسرة، فإذا كانت الدولة مسلمة وتقيم حكم الله في الأرض، فهي ضمان لأفراد المجتمع أن يعيشوا بسلام وأمان. وهي السلطة التي تتولى مسؤولية الحكم بالإسلام والحاكم هو (الله) والشريعة تسوي بين رؤساء الدول والرعايا في سريان القانون، ومسؤولية الجميع عن جرائمهم، ومن أجل ذلك كان رؤساء الدول في الشريعة أشخاصاً لا قداسة لهم، ولا يتمايزون عن غيرهم، وإذا ارتكب أحدهم جريمة عوقب عليها كما يعاقب أي فرد ولقد كان الرسول ﷺ، وهو النبي ورئيس دولة لا يدعي لنفسه قداسة ولا امتيازاً، وكان يقول دائما﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [1]،﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ . [2]

وكان قدوة لخلفائه وللمسلمين في توكيد معاني المساواة بين الرؤساء والمرؤوسين.[3]

وطاعة الناس للحاكم مرهونة، بإقامة هذه الشريعة وتنفيذ ذلك القانون، فإذا خالفها فقد سقطت طاعته. قال النبي ﷺ ﴿أسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كان رأسه زبيبة [4]، ما أقام فيكم كتاب الله تعالى﴾.[5]

فالدولة المقيمة لحكم الله، هي التي تمثل البناء الشاهق المتكامل والمتوازن لشخصية المسلم، لاستيعابه لإبعاد المنهج الرباني، هذا النظام الإسلامي كفيل باستقامة الرعاة ورضى الرعية، وبإقرار السلام بينهما وتوطيده، لا بالعسف والجور، ولا بالكبت والإجبار ولكن بالرضى والطاعة المنبعثة من أعماق الضمير،

---

(1) سورة الكهف الاية: 110.

(2) سورة الإسراء الاية: 93.

(3) ينظر التشريع الجنائي الإسلامي: 317- 318، مدخل إلى التصور الإسلامي للإنسان والحياة: 206.

(4) كان راسه زبيبة واحدة من الزبيب المأكول المعروف الكائن من العنب اذا جف شبه راس الحبشي بالزبيبة لتجمعها وبكون شعره اسود وهو تمثيل في الحقارة وبشاعة الصورة وعدم الأعتداد بها. [فتح الباري:122/13، احمد بن علي بن حجر ابو الفضل العسقلاني، دار المعرفة بيروت 1379، تحقيق محمد فؤاد، ومحب الدين الخطيب].

(5) صحيح البخاري 122/6 كتاب الا حكام، باب الطاعة للامام ما لم تكن معصية.

إنه وسيلة من وسائل الأستقرار النفسي، الذي يؤثر في شخصية الفرد بإيجاد هذا العامل النفسي في بناء المجتمع لأنه حلقة من حلقات السلام الشامل غير منفصلة من السلسلة المتماسكة في فكرة الإسلام الكبرى عن الحياة.[1]

إن القانون الإسلامي يختلف في طبيعته عن كل القوانين الأرضية الأخرى، في أنه لم تضعه طبقة لصالحها الخاص، ضد طبقة أخرى، ولا فرد لمصلحته ضد بقية الأفراد، وإنما هو الله عز وجل الذي وضعه وأنزله،ولا يمكن بداهة أن يكون الله تعالى سبحانه قد حابى فرداً على حساب فرد، أو طبقة على حساب طبقة، لأن الناس جميعاً بالنسبة إليه سواء ولا يتميزون عنده إلا بالتقوى[2]﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾[3].

وإن المسلمين الأوائل تحملوا تبعات المسؤولية بصدق وأمانة، أما اذا وجدت بعد ذلك انحرافات وخروج عن نظم تعلن أنها إسلامية؛ فهذا ليس عيباً في الإسلام، ولكنه عيب في المسؤولين الذين لا يلتزمون بقواعد الشريعة الإسلامية عملياً، فضلاً عن التزامهم القولي، مما ينشأ الاضطرابات والقلق النفسي في محيط الفرد والمجتمع والأسرة[4]، وأكد الرسول ﷺ على عدم التهاون والتساهل في أحكام الله عز وجل، لحديث عائشة (رضي الله عنها) أن قريشاً أهمها شأن المرأة المخزومية، التي سرقت، فقالوا من يكلم فيها رسول الله ﷺ فقالوا من يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ فقال له أسامة: استغفر لي يا رسول الله،فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ فأختطب فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: أما بعد فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وإني والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها، ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت فقطعت يدها).[5]

ويمكن أن نستخلص من الحديث الشريف ما يأتي:

1- إقامة حكم الله في الأرض، وإن أحكام الله لا سبيل إلى المحاباة فيها، لأن المحاباة فيها تترك أثراً نفسياً أليماً في قلوب الآخرين.

---

(1) ينظر السلام العالمي والإسلام:111

(2) ينظر الإنسان بين المادية والإسلام: 164.

(3) سورة الحجرات الآية: 13.

(4) ينظر: حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية، وقواعد القانون الدولي د. محمد عبد العزيز: 256، مؤسسة الرسالة.

(5) صحيح مسلم 1315/3، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف والنهي عن الشفاعة في الحدود.

2- يعكس الحديث الشريف أمراً مهماً، وهو إذا كان رئيس الدولة عادلاً، فهو أمر يبعث على إدخال الطمأنينة النفسية في نفوس أفراده.
3- هلاك الأمم والشعوب سببه التنكب عن إقامة شرع الله في الأرض، وأن الأمة مكفول تقدمها ورقيها باحتضان منهج الله عز وجل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وتعطيل شرع الله، والاحتيال عليه، له عواقب وخيمة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾.[1]

وعدم الحكم بما انزل الله عز وجل، إسخاط له كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾.[2]

أي أسخطونا وأغضبونا، أي فرعون وقومه أشد الغضب بالإفراط والعناد والعصيان، وغضب الله نقيض الرضى، أو إرادة الأنتقام، أو تحقيق الوعيد، أو الأخذ الأليم، وبعد هذا جاءت النتيجة فأهلكناهم المطاع، والمطيعين له أجمعين بالإغراق في اليم، وكانوا عظة للكفار المتأخرين عنهم، لعلهم يعتبرون أو يتفكرون بما نزل بهم[3].

وطغيان الدولة الذي يتعدى فيه الإنسان حده، واكثر ما يكون هذا الطغيان عند الحكام وولاة الأمور، لأن سلطتهم وطغيانهم تتعلقان بعموم الناس، وهم الذين يبتلون بشرور طغيانهم.

ونموذج لطغيان السلطة، طغيان فرعون الذي إدعى الربوبية على الله عز وجل فكان القرآن الكريم قد أوردها في مواضع كثيرة للاعتبار، كما في قوله تعالى﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾.[4] ثم قال تعالى: ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾.[5]

---

(1) سورة البقرة الآيات: 65-66.
(2) سورة الزخرف الآيات: 55-56.
(3) ينظر: التفسير الواضح 21/ 50، د. محمد محمود حجازي 21/ 5، مط الاستقلال- القاهرة. ط4 –1388-1968،تنوير الأذهان 1817/4.
(4) سورة النازعات الآيات: 15 –17.
(5) سورة النازعات الآيات: 23-24.

ومن طغيان الدولة إلى ظلم الناس، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ ﴾.[1]

وهذا استشهاد بعلمه ﷺ، بما يدل عليه من تعذيب عاد وإضرابهم، وتأتي منه الرؤية والتبصر في مصارع أولئك الأقوام، وإضافة الفعل إلى (ربك) بها للمؤمنين طمأنينة وأنس وراحة. وبخاصة أولئك الذين في مكة يعانون طغيان الطغاة، وعسف الجبارين من المشركين الواقفين للدعوة وأهلها بالمرصاد في كل وقت وحين، يريدون السوء بالإسلام[2]،فيجب على الجماعة أن تقدم النصح إلى الحاكم كما في قوله تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ .[3]

ويجب أن تكون للمسلم شخصية واحدة وهي الشخصية الإسلامية المحكومة بالإسلام حكماً شاملاً لكل مقومات ومعاني الشخصية، وعلى هذا لا يجوز أن تكون للمسلم شخصيتان شخصية إسلامية في المسجد، وشخصية المعين أو الخادم للحاكم الطاغية المنفذ لبغيه وظلمه، وهذه الشخصية مناقضة لمقتضيات الشخصية الإسلامية[4].

وأمر بالوفاء وأداء الأمانة كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ .[5]

هذه الآية هي أساس الحكومة الإسلامية، ولو لم ينزل في القرآن الكريم غيرهما لكفت المسلمين في ذلك، إذا هم بنوا جميع الأحكام عليها، وهو أخبار من الله بأداء الأمانات إلى أهلها وبالعدل في الأحكام، وذلك حكم الله الذي أنزله في كتابه وبينه على لسان رسوله، فنعم الشيء الذي يعظكم به الله أداء الأمانات والحكم بالعدل والآية وان وردت على سبب خاص فعمومها معتبر بقرينة الجمع.[6]

---

(1) سورة الفجر الآيات: 6-8.
(2) ينظر روح المعاني 15/ 155- 156، في ظلال القران: 6/ 3903.
(3) سورة طه الآية: 44.
(4) ينظر السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، د. عبد الكريم زيدان: 32، مؤسسة الرسالة، 1980.
(5) سورة النساء الآية: 58.
(6) ينظر تفسير المنار: 5/ 168، والتفسير الفريد للقران المجيد: 1/ 560- 561.

كما أمر بالقيام بحق الله. وأكد العدل المطلق في الرضا والغضب، والقرب والبعد، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾.[1]

وأكد الرسول ﷺ ذلك في قوله ﴿الأئمة من قريش، ولي عليكم حق عظيم، ولهم ذلك ما فعلوا ثلاثاً: إذا استرحموا رحموا، وإذا حكموا عدلوا، واذا عاهدوا وفوا، فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين﴾.[2]، فالقرآن الكريم يهدف إلى أعداد الإنسان المستريح نفسياً، والذي يخلو من العقد الباطنية، والظاهرية فالفلسفات الوضعية لم تخلص الإنسان من آلامه، بينما استطاع القرآن الكريم في الواقع مرة في التاريخ ومرات كل يوم، أن يجعل من هذا الإنسان إنساناً حضارياً، وهي اليوم تستطيع أن تخلص الإنسان من الامه، ومن تناقضاته الداخلية، بأسلوب يمتاز بالشمول والإتساع والتكامل والتوازن، إلا أنه يحتاج فقط ترجمة واقعية في المناهج، وعودة صادقة بالقلب والضمير إلى كتاب الحياة والعالم ألا هو القرآن الكريم.[3]

والله سبحانه يقول في الكتاب الكريم لا ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.[4]

وهذا التعبير "أخرجت" يدل دلالة واضحة على حقيقة نشأة هذه الأمة، وحقيقة النظام الذي يقوم عليها وجودها، فهي أمة مخرجة إخراجاً وفق نموذج معين، يحققه نظام معين، وهي وضع نظامها من كون خالقها، وأخرجت للناس على وفقه إخراجاً ربانياً والإسلام يربط بين العقيدة والنظم والتشريعات التي يطلب إلى كل فرد في المجتمع الإسلامي صيانتها ومراعاتها، ورد الحاكم والمحكوم إليها، كما في الآيات القرآنية الآتية:

1- قوله تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.[2]

---

(1) سورة النساء الآية: 135.
(2) مسند أحمد 3/ 183، حديث صحيح بطرقه وشواهده، مسند احمد، تحقيق شعيب الارنؤوط: 249/20.
(3) ينظر فلسفة التربية الإسلامية في القران الكريم: 302- 304.
(4) سورة آل عمران الآية: 110.
(2) سورة الحديد الآية: 7.

2- قولـه تعـالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ ﴾.[3]

3- قولـه تعـالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾.[4]

4- قوله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾.[5]

فهو نظام دقيق لم يغفل عن شيء صغيراً أو كبيراً وأحاط أحاطه شاملة بكل ما في النفس الإنسانية[1].

والحاكميـة لله وحـده- ويقـر القـرآن الكـريم كـذلك هـذه الحقيقـة، ويشـدد فيهـا ويعززها بنصوص كثيرة قوله تعـالى: ﴿ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾.[2]

فالدين القيم الذي لا يعرفه اكثر النـاس هو أن الحكم مختص بـالله دون غيره، وأن العبودية والخضوع الكامل لله وحده، ولذا فان قولنا: إن الحكم بغير مـا أنـزل الله جهالة ونحن في القرن العشرين لهو اصطلاح قرآنـي سليم، واما كونـه هوى وظلماً مهمـا بلـغ المستعلون علـى الله، لأن فـي أحكـام الإنسـان الهـوى والغـرض الشخصـي والامتيازات التي نراها في سلوك الذين يرفضـون حكم الله، فكل مـا سوى الإسـلام هوى، كما تقرره الآيـة الحكيمـة ﴿ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.[3]

وحكم الله هو نفاذ الدستور (الإلهي) القرآني ولا دستور غيره.[4]

---

(3) سورة البقرة الآية: 278.
(4) سورة المائدة الآية: 38.
(5) سورة النور الآية: 2.
(1) ينظر نحو مجتمع إسلامي، سيد قطب: 172 دار الشروق
(2) سورة يوسف الآية 40.
(3) سورة القصص الآية: 50.
(4) ينظر مدخل إلى التصور الإسلامي للإنسان والحياة: 203- 204.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ .[1]

بهذا الحسم الصارم الجازم وبهذا التعميم الذي تحمله (من) الشرطية وجملة الجواب.... بحيث يخرج من حدود الملابسة والزمان والمكان، وينطلق حكماً عاماً، على كل من لم يحكم بما أنزل الله في أي جيل وأي قبيلة. إن المحاكمة في هذا الحكم الصارم الجازم الشامل العام لا تعني إلا محاولة تحريف الكلم عن مواضعه، وليس لهذه المحاكمة قيمة ولا أثر في حكم الله عمن ينطبق عليه بالنص الصريح الواضح الأكيد، لأن الإيمان الصحيح يستلزم الإذعان، والإذعان يستلزم العمل وينافي الأستقباح والترك لما أمر به الله عز وجل.[2]

فأمانة الحاكم: تكون في حفظ الرعية، وتوافر الأمن والأمان لها، وتوافر حرية العقيدة وممارستها والدعوة إليها، وتوافر حرية التعبير عن الرأي، وتأمين حماية المال والعرض والنفس للإنسان والعدالة في الحكم والمساواة أمام القانون، وعدم التمايز بين طبقة وأخرى.[3]

فالحكم بما أنزل الله عز وجل نخرج به:

أ- بيتاً مسلماً.

ب- مجتمعاً مسلماً.

ج- دولة إسلامية.

فقد نظر الإسلام إلى المسلمين كونهم أمة، يتكون منهم ما عرف في اصطلاح الناس بعد باسم (الدولة) فاعتبر فهم المزايا والمقومات هي سر العظمة والمجد والقوة التي كانت طابع الدولة الإسلامية، وأهم هذه المقومات أربعة:

1- **الأخوة الدينية:** وهي اصدق تعبير بين المسلمين وهي التي قررها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.[4]

(فليس المؤمنون إلا إخوة وأنهم خلص لذلك، قد أنزاحت عنهم شبهات الأجنبية فهم في أتحاد وليس في تقاطع).[5]

وقررها الحبيب محمد ﷺ «المسلم أخو المسلم».[6]

فالأخوة الصادقة دليل على الشخصية الإسلامية التي هي نتاج تفاعل كيان نفسي بشري مع منهج رباني وهو المتمثل بالمعرفة الدينية.

---

(1) سورة المائدة الآية: 45.

(2) ينظر في ظلال القران 2/ 898، تفسير المنار 6/ 399- 400.

(3) ينظر موازين القران الكريم: 2/ 186.

(4) سورة الحجرات الآية: 10.

(5) الكشاف 3/ 565.

(6) سبق تخريجه في صـ 93.

وربطت هذه الإخوة بين قلوب المسلمين حتى أصبحوا أسرة واحدة كبرى يفرح المسلم لفرح أخيه، ويحزن لحزنه، ويمد يد المعونة إليه عند الحاجة، ويرشده إذا غوى، ويهيده إذا ضل، وقد طبق مبدأ الأخوة لأول مرة بمؤاخاة النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، فكانت مظهراً من مظاهر القوة الذاتية. لتعاليم الإسلام واختلاطها بالنفوس والقلوب، حتى سجل القرآن الكريم هذا الإيثار الكريم ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [1]، هذه هي الأخوة الدينية التي أعدها الإسلام بين المسلمين كأساس من أسس دولتهم وجماعتهم وهذه الأخوة يسودها الألفة كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [2].

(إن ارتباط الإلتزام الديني، أو التدين بالعمليات العقلية والإنفعالية، أعطى بعداً نفسياً مهماً عند تفسير أو دراسة الجانب الديني لدى الأفراد، ويلاحظ ذلك في الكتابات القديمة لمختلف الأديان الوضعية منها أو السماوية، ويتضح ذلك بخاصة في علم الكلام عند المسلمين وفي عالم اللاهوت).[3]

لأن القرآن الكريم، يعتبر دائرة الأخوة الإيمانية، دائرة رحبة واسعة يعيش المؤمن مطمئناً اذا ما أدهمت به الخطوب، فسوف يتجه إلى أخيه المؤمن، لأن الأخوة الإيمانية الحقيقة لا يعد لها شيء في هذا الوجود؛ فيجب ان تكون الاخوة نقية ومن آفة التردد والإضطراب، وتتسم بسمة الثبات، لكي يصبح المؤمن مهما تغيرت الظروف، رجل موقف، فالسلوك المتقلب مع المصلحة؛ والخلق المتبدل مع الهوى لا يعتبر ثمرة لتربية ناجحة التي امرنا بها الإسلام فالمؤمن كثر بأخيه[4].

---

(1) سورة الحشر الآية: 9.
(2) سورة الأنفال الآيات: 62- 63.
(3) قياس الالتزام الديني وعلاقته بأساليب الحياة، عبد الكريم جمعة: 15- 1417- 1996
(4) ينظر القرآن الكريم رؤية تربوية، زهير محمد شريف كحالة 1/ 125-126، دار الفكر – عمان- عمان- الاردن 1402- 1982.

والرسول ﷺ نهى عن الظلم والجور ولم يسمح بأي تبريرات التي ليس من شأنها إلا الإنتقاص من حقوق الإنسان وهدرها فقد قال ﷺ ﴿اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة﴾.[1]

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال ﴿سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله أمام عادل.....الحديث﴾.[2]

وعن عياض بن حمار ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ﴿الجنة ثلاثة، ذو سلطان مقسط موفق، ورجل رحيم رفيق القلب لكل ذي قربى، ومسلم عفيف متعفف ذو عيال﴾.[3]

فحكم الله عز وجل والعمل به يوقع على أوتار النفس البشرية جميعها، ويدخل على منافذها كلها، يوقع على أوتار الخوف والحذر والرجاء والطمأنينة، وعلى أوتار المهابة والجلال. ويخاطب وجدان الجمال بما في السكون والنفس من ألوان وأطياف كما يخاطب وجدان المجهول بالغيب، ويدخل على النفس السرور والحبور.[4]

2- **التكافل الاجتماعي:** هذا العامل هو الأساس في حياة الأمم وبقائها عزيزة وكريمة متمتعة بهيبتها، قائمة بواجباتها، وللتكافل شعبتان:-

أ- شعبة مادية: وسبيلها مديد المعونة لسد حاجة المحتاج،وإغاثة الملهوف، وتفريج كربة المكروب، وتأمين الخائف، وإشباع الجائع وكل وجوه الخير التي تخدم المجتمع.

ب- شعبة أدبية: وهي تكافل المسلمين جميعاً وتعاونهم المعنوي بالتعليم والنصح والإرشاد والتوجيه.

وقد أعطاه القرآن الكريم اسماً كريماً يحببه إلى النفوس ويغري به العقول والقلوب، فسماه (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ولاشك ان كلمة (المعروف) عنوان أخاذ يجلب إليه القلوب، ويحمل على الأمر به، وإن كلمة (المنكر) من شأنها أن تشيع الشر والفساد، وأن تثير النفوس عليهما وأن توجه إليهما من الجماعة حرباً لا هوادة فيها.

---

(1) صحيح مسلم: 4/ 1996، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم.

(2) صحيح البخاري: 2/ 517، كتاب الصدقة، باب الصدقة باليمين.

(3) صحيح مسلم: 2197/4، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار.

(4) ينظر منهج التربية الإسلامية: 1/ 122.

فقد طلبه الله على وجه خاص من القادرين عليه الواقفين على حدود الله، ورتب عليه الفلاح المطلق ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾.[1]

3- الشورى: الشورى هي أساس الحكم الصالح، وهي السبيل إلى تبين الحق، ومعرفة الآراء الناضجة، أمر بها القرآن الكريم وجعلها عنصراً من العناصر التي تقوم عليها الدولة الإسلامية، ففي الكتاب الكريم سورة عرفت باسم (سورة الشورى)، وقد سميت لذلك، لأنها السورة الوحيدة التي قررت الشورى عنصراً من عناصر الشخصية الإيمانية الحقَّة فقد وصفهم الله عز وجل بقوله ﴿ فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾.[2]

فهم يتشاورون في الأمور، والشورى مصدر شارها يشورها شوراً مثل البشرى والذكرى[3]. فكانت الأنصار قبل قدوم النبي ﷺ إليهم أذا أراد أمراً تشاوروا فيه ثم عملوا عليه، فمدحهم الله تعالى به. أي لا يأمرون امراً حتى يتشاورا فيه ويتساعدوا بارائهم كما في الحروب وما جرى مجراها، ولهذا كان النبي ﷺ يشاورهم في الحروب ونحوها ليطيب بذلك قلوبهم)[4]. فالدين رحمة وتسامح وتعايش وخير لكل البشر، وهو دعوة عالمية تتجاوز الحدود والجغرافية، وتتجاوز الألوان والأعراف والأجناس، والقرآن الكريم يقوم على قاعدة ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾.[5] وحتى في حال الصراع من الآخر المعتدي، فإن لذلك الصراع قواعد أخلاقية تقوم على دفع الضرر، ولا تقوم على الإبادة والتطهير العرقي أو الحمية العنصرية، أو إلغاء الآخر، وهكذا تسقط جميع الفوارق والقيم ويرتفع ميزان واحد بقيمة واحدة، والى هذا الميزان يتحاكم البشر[6].

---

(1) سور آل عمرا ن الآية: 104.
(2) سورة الشورى الآيات: 36-39.
(3) ينظر لسان العرب 436/4.
(4) الجامع لأحكام القران 16/ 36، تفسير القران الكريم 5/ 247.
(5) سورة النحل الآية: 125.
(6) ينظر البناء النفسي للمسلم المعاصر: 12.

4-العدل: إن أهم دعائم السعادة، التي يسعى إليها البشر أن يطمئن الناس على حقوقهم، وأن يستمر العدل فيما بينهم، ولا يوجد شيء أبعث للشقاء والفتن، وانفى للهدوء والإطمئنان بين الأفراد والجماعات، من سلب الحقوق، واغتيال الأقوياء حقوق الضعفاء، وتسلط الجبارين على الآمنين المسالمين، ولاريب في أن هذه الظواهر التي ينحرف بها اهلها عن سنن الله ونظامه في كون. أشد ما يقطع الصلات ويغرس الأحقاد، ويثير أعاصير الكيد والإنتقام ويهدد المجتمع بالأخطار التي تجعل الناس ما لا طاقة لهم باحتماله من آثار الخصومات والضغائن، وكان أول ماقرره الإسلام مبدأ العدل، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾.[1]

ولابد للعالم الإسلامي من تطبيق الشريعة الإسلامية في كافة مرافق الحياة، فلا وجود لدولةٍ إسلامية من غير شريعة إسلامية. فالسياسة العادلة لأية أمة هي تدبير شؤونها الداخلية والخارجية بالنظم والقوانين التي تكفل الأمن لإفرادها وجماعاتها والعدل بينهم، وتضمن تحقيق مصالحهم وتمهيد السبيل لرقيهم وتنظيم علاقاتهم بغيرهم.

والإسلام يتكفل بهذه السياسة للمجتمع البشري كله ذلك، لأن أصوله أصلح الأصول، لأن تكون أساساً للنظم العادلة. وتتسع لتحقيق مصالح الناس في كل زمان ومكان. لا أن نسعى وراءهم وحثالة أرضية لا نعرفها.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾.[2]

وحتى لا نتعرض لسخط الله كما حذرنا رب العالميين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾.[3] وحتى لا ينطبق علينا قول العزيز الحكيم:

﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.[4]

وبعد أن يجدد المسلمون إسلامهم، وينتقلوا من إسلام الوراثة والتقاليد إلى إسلام العقيدة والسلوك، ومن إسلام المذاهب والأشياع إلى إسلام القرآن الكريم والرسول ويجعلوا القرآن الكريم منهاجاً لحياتهم وسلوكهم لا ان يكتفوا بقراءته في

---

(1) سورة المائدة الآية: 8.
(2) سورة الجمعة الآية: 5.
(3) سورة الصف الآيات: 2-3.
(4) سورة البقرة الآية: 44.

المقابر، وعلى رؤوس الموتى، وبعد ذلك من حقهم وواجبهم ان يبدأوا بدعوة الناس إلى الإسلام الواحد فمن استجاب بعد ذلك فأهلا وسهلا ومرحبا: -

ومن لم يستجب فقد أدينا الأمانة وبلغنا الرسالة وسنكون عليهم شهداء يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم.[1]

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ .[2]

﴿ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ .[3]

إذن يمكن لنا القول أن المتأمل في حال العالم اليوم وهو يعاني ما يعاني من حروب وويلات وتشرد وغربة الإسلام وأهله ليؤمن حق اليقين أن ما حل بنا سببه التنكب عن إقامة شرع الله عز وجل في الأرض، ورضت لنا الصهيونية العالمية بخططها الفتاكة وسهرها ليل نهار في تنفيذ برامجها، وأقرت لنا قوانين وضعية يضعها الإفراد، الذين فيهم جانب الخطأ والصواب ولم نرَ من هذه القوانين إلا الخطأ.

فهم لهم اتحاد أوربي يعمل ليل نهار ضد الإسلام يريد أن يقطع صلة الإنسان بربه، ويريد له شخصية متميعة مترهلة تتخبط هنا وهناك نسيت ما خُلقت لأجله وهو مبدأ (الإستخلاف) ولكن هل يكون الاستخلاف بهمم خائرة اهتماماتها تافهة؛ ولكن مهما بلغ الكفر وحشّد، فأني أرى بشائر النصر سوف ترفرف، وأن الوعد في الإستخلاف سوف يكون لعبادة المؤمنين جرياً على وعد الله عز وجل لنا كما في قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .[4] ويكون ذلك الوعد بعبادة الله عز وجل، وعدم الإشراك به ويحل الأمن مكان الخوف، والنور مكان الظلام، ونتوجه بقلوبنا نحو إقامة دولة مسلمة تحكم بشرع الله عز وجل.

---

(1) ينظر الإسلام عقيدة وشريعة: 454 –460، موازين القران الكريم 299/2 –301، وينظر عالمية الدعوة الإسلامية. د. علي عبد الحليم25، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط4، 1412 هـ- 1992م.

(2) سورة الشورى الآية: 48.

(3) سورة الحج الآية: 78.

(4) سورة النور الآية: 55.

الفصل الرابع

البناء النفسي في القرآن الكريم

الفصل الرابع

البناء النفسي في القرآن الكريم

بنى القرآن الكريم النفوس على الإيمان والتقوى، وكلما كان البناء جيداً كان الالتزام بمنهج القرآن الكريم جلياً واضحاً، لأن القرآن الكريم بنى لهذه النفس طريقاً لن تضله أبداً، فلكي تستطيع أن تحدث تعديلاً أو تغييراً في شخصية إنسان وفي سلوكه فمن الضروري أن تقوم بتعديل أو تغيير أفكاره واتجاهاته؛ إذ أن سلوك الإنسان يتأثر تأثراً كبيراً بأفكاره واتجاهاته.

ولذلك فإن العلاج النفسي يهدف أساسا إلى تغيير أفكار المرضى النفسيين عن أنفسهم، وعن الناس، والحياة، والمشكلات التي عجزوا عن مواجهتها من قبل وكانت سبباً في قلقهم. وحينما تتغير أفكار المريض النفسي نتيجة للعلاج، فانه يصبح أقدر على مواجهة مشكلاته واقدر على حلها، بل إنه غالباً ما يرى أن مشكلاته التي كانت تقلقه في الماضي والتي أدت إلى مرضه لم تكن في الحقيقة بالضخامة التي كان يتوهمها، ولم يكن هناك في الحقيقة مبرر يدعو إلى قلقه الشديد بسببها.[1]

وقد نزل القرآن الكريم لتغيير أفكار الناس واتجاهاتهم وسلوكهم ولهدايتهم وتغيير ما هم فيه من ضلالة وجهل، وتوجيههم إلى ما فيه صلاحهم وخيرهم، ومدّهم بأفكار جديدة عن طبيعة الإنسان ورسالته في الحياة، وبقيم و أخلاق جديدة ومثل عليا للحياة.

وقد نجح القرآن الكريم نجاحاً عظيماً في التأثير في شخصيات الناس، وفي تغييرها تغييراً كبيراً كانت له نتائج بعيدة الأثر في وضع أسس جديدة لنظام حياة الإنسان الشخصية، ولنظام العلاقات الإنسانية سواء في داخل الأسرة أو في المجتمع.

وقد كان له الأثر الواضح بين جميع الدعوات الدينية في جميع عصور التاريخ في أحداث تغييرات عظيمة الأثر في شخصيات المسلمين، وفي المجتمع الإسلامي.

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.[2]

---

(1) ينظر القرآن وعلم النفس: 251.
(2) سورة الحشر الآية: 21.

وكان هذا النجاح في فترة وجيزة من الزمن، وكان هدفه تكوين الشخصية الإنسانية المتكاملة المتزنة الآمنة المطمئنة التي استطاعت بطاقتها الجبارة التي تولدت عن هذا التغيير الذي حدث فيها، ان تهز العالم وتغير مجرى التاريخ.

ولا نستطيع أن نجد في حديث العرب المعاصرين لنزول القرآن الكريم صورة معينة لهذا الجمال الذي سموه تارة شعراً، وسموه تارة سحراً، ولا نستطيع أن نلمس صورة ما مسهم منه من تأثير فقد تلقوه مسحورين، يستوي في ذلك المؤمنون والكافرون هؤلاء يسحرون فيؤمنون، وهؤلاء يسحرون فيهربون. ثم يتحدث هؤلاء وهؤلاء عما مسهم منه، فإذا هو حديث غامض لا يعطيك اكثر من صورة المسحور المبهور، الذي لا يعلم موضع السحر فيما يسمع من هذا النظم العجيب، وإن كان ليحس منه في أعماقه هذا التأثير الغريب[1] كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾﴾.[2]

فهذا **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه يقول (فلما سمعت القرآن رق له قلبي فبكيت ودخلني الإسلام)[3].

وهذا **الوليد بن المغيرة** يقول وهو كافر بمحمد وبالقرآن؛ لا يتهم بحبه أو موالاته فهذا هو يقول: "والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة وإنه ليحطم ما تحته، وإنه يعلو وما يعلى)[4]. فمن عرف حقيقة نفسه وما طبعت عليه علم أنها منبع كل شر، ومأوى كل سوء، وأن كل خير فيها فبفضل من الله مَنَّ به عليها. لم يكن منها، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾.[5]

---

(1) ينظر القرآن وعلم النفس: 251-252، التصوير الفني في القرآن: 24، سيد قطب، دار المعارف 1963.
(2) سورة المدثر الآيات: 18-19.
(3) السيرة النبوية لابن هشام 347/1.
(4) المصدر نفسه 270/1-271.
(5) سورة الحجرات الآية :7 .

فهذا الحب وهذه الكراهة لم يكونا في النفس ولا بها. ولكن هو الذي مَنَّ بهما.فالإسلام هو القادر على أن يعالج هذه الصدوع النفسية،ويعيد الوئام والآلفة بين هذه المتناقضات،والأضداد.[1]

فالتغيير والتأثير، تغيير النفس وتغيير الغير، إذا امتلكته الشخصية الإنسانية فقد وصلت إلى ما تريد وحققت الهدف الذي من أجله خلقت قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴾.[2]

ومن خلال هذه الآية القرآنية نجد ان قانون التفوق القرآني الذي منحه الله تعالى للشخصية في هذه الحياة يقوم على ثلاثة أركان:

1- تحديد الهدف والهدف هنا تغيير الغير.

2- الطريق إلى تحقيق ذلك الهدف وهنا تغيير ما بالنفس أولا.

3- يقظة السمع والبصر والفؤاد (قوة الأنتباه).

فإذا أخذت الشخصية الإنسانية طريقها في البناء النفسي واتقنت وسائلها وأساليبها فإنها تحقق المهمة في التغيير والتأثير وعندئذ يتحقق النجاح الذي تبحث عنه الشخصية الإنسانية في البناء النفسي[3] وحين نتحدث عن البناء فنحن ندرك أننا لن نبني في أرض فضاء، وإنما نبني في أرض بها تراكيب وأبنية بعضها صالح وبعضها غير ذلك، لذلك يصبح الحديث عن البناء متضمناً لإزالة الركام غير النافع لكي يقوم البناء الأحدث والأنفع مكانه، لأن هناك بالتوازي عمليات هدم وبناء دائمة في خلايا الجسم لضمان بقائه وصحته ونموه وتطوره والنفس التي بنيت بناءً نفسياً فريداً هي أكثر سعياً للأرتقاء نحو وجه الله عز وجل.

وفي فصلنا هذا لن نخرج عن الخطة الرشيدة لبناء المجتمع الإسلامي في صلات أفراده الاجتماعية وأقامتها على أسس متينة من العقيدة وأحاطتها بالأخلاق الفاضلة مما جعل هذه العلاقات نابضة بالحياة مشرقة بضياء القرآن الكريم، وجعل هذا المجتمع يبدو في عظمته وسموه حياً متحركاً، والعالم من حوله ميت ينتظر فيه روح الله ﴿مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ ﴾.[4]

وهذا ما سنتناوله في المباحث والمطالب الآتية:-

---

(1) ينظر مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين للإمام السلفي أبي عبد الله أبى بكر 243/1، ط2، دار الكتب العلمية، 1408هـ- 1988م، عالمية الدعوة الإسلامية: 62.

(2) سورة الرعد الآية: 11.

(3) ينظر آفاق بلا حدود، بحث في هندسة النفس الإنسانية، د. محمد التكريتي، دار المنطلق: 1418، 1994م.

(4) سورة هود الآية: 24.

المبحث الأول

الإيمان بعقيدة التوحيد

لقد جاء القرآن الكريم والجزيرة العربية تعج بآلهة كثيرة يصنعها الإنسان بيده من الطين، والحجر يسجد لها ويحلف بها، ويستنصرها، ولم يكن ما يناطح هذه السفاهة إلا ديانات منحرفة في الجزيرة وخارجها قد يكون فيها من السفاهات ما لا يقل عن عبادة الحجر وكانت توجد بعض الديانات من الاحناف والموحدين ولكنها لا تستطيع مجابهة الوثنية.

وإن أول شعور يشرق في أعماق الإنسان إذا تأمل في نفسه وفي الكون من حوله، شعوره بوجود قوة كبرى مهيمنة على الكون، تمنحه التدبير والتنظيم، وتتصرف فيه بالحياة والموت، والبناء والفناء، والتغير والتطور، والحركة والسكون، وجميع أنواع التغييرات الحكيمة التي تجري فيه.

إن الإنسان ليشعر بهذه الحقيقة، ويؤمن بها إيماناً عميقاً، سواء أستطاع أن يقيم الدليل البرهاني على صدق هذا الشعور، أو لم يستطع، فدليل الفطرة، ودليل البداهة، شاهد حق يسبق الشواهد النظرية، وقد يكون أصدق منها[1].

وفي سبيل الشعور الباطني، والوجدان النفسي يرشدنا القرآن الكريم ويسترعي أنظارنا إلى حقيقة نفسية واقعية، تعبر عن قبس الإيمان بوجود الخالق ووحدانيته، وعن فطرية الشعور الديني في نفس الإنسان ويتمثل ذلك الإحساس الداخلي الذي يحسه الإنسان من نفسه حينما يتحرر من سلطان الوهم والهوى، وينفلت من حكم المادة المظلمة، أو عندما يسأل عن مصدر هذا الكون، أو عندما تنزل به شدة تحيط به، ولا يرى فيما يقع عليه حسه طريقاً للخلاص منها.[2] قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ .[3]

وقد صور القرآن الكريم إحساس فرعون حينما أدركه الغرق، وأيقن أن لا نجاة له منه، فأعلن إيمانه حيث لا ينفع الإيمان ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ

---

(1) ينظر العقيدة الإسلامية في القرآن الكريم، ومناهج المتكلمين د. محمد عياش الكبيسي: 92، رسالة مقدمة إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه بأشراف الأستاذ الدكتور محمد رمضان عبد الله ، 1995 .
(2) ينظر الإسلام عقيدة وشريعة: 35-36.
(3) سورة إبراهيم الآية: 19.

فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾.[1]

فكانت الصياغة الربانية يبدو فيها سر عجيب فتنزلات القرآن الكريم استمرت ثلاثة وعشرين عاماً، منها عشر سنوات في المدينة وباقيها في مكة وهذه الفترة التي نزل فيها القرآن الكريم في مكة لم يعالج إلا قضية واحدة هي قضية العقيدة بكل ما تشتمل عليه من توحيد للإله الحق وتحرير من أوهام الشرك وما يترتب على ذلك من إيمان بالبعث والحساب.

أما تفصيلات الحياة وفروعها وتنظيم المجتمع المسلم، وما يحكمه من تشريعات فكل هذا سكت عنه القرآن الكريم في مكة ولم يتحدث فيه، إلا بعد أن استقرت عقيدة المسلمين، واصبح لها مجتمع وسلطة تستطيع أن تنفذ أحكام الله وشريعته، ففي المدينة قد استوى البناء بكل أركانه،واستوت النفس على أركان متينة ومتماسكة من البناء فكانت الأحكام والتشريعات تنزل وفق بناء هذه النفس.[2]

ولقد بنى القرآن الكريم نفوس العرب بعقيدة سليمة، حيث نزلت الآيات القرآنية بمكة في المرحلة الأولى من الدعوة الإسلامية حيث كانت تهدف أساساً إلى تأكيد عقيدة التوحيد.

وقد كان الإيمان بعقيدة التوحيد هو الخطوة الأولى في أحداث تغيير في الشخصية. فهو يولد في الإنسان طاقة روحية هائلة تغير مفهومه عن ذاته، وعن الناس والحياة، والكون بأكمله أنه يمده بمعنى جديد للحياة ولرسالته فيها، ويملأ قلبه بحب الله ورسوله والناس من حوله وللإنسانية عامة، ويبعث فيه الشعور بالأمن والطمأنينة.[3]

والباري عز وجل جعل التقوى هي أساس النور وهي الفرقان، وصلاح الأعمال، كما هي سبباً للرزق كما في الآيات الآتية قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.[4]

---

(1) سورة يونس الآية: 90.
(2)ينظر منهج القرآن في تربية المجتمع: 148، الطريق إلى النفس المطمئنة، د.لطفي الشربيني: 3،د.ت.
(3) ينظر القرآن وعلم النفس: 251.
(4) سورة الحديد الآية: 28.

وفي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾.(1)

وقولــه تعــالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ .(2)

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴾ .(3)

وبين الله عز وجل، أن الذي يؤمن بعقيدة التوحيد، يجعل الله لـه نـوراً يفرق بـه بين الحق والباطل، ونوراً يفتح له أفقاً واسعاً في هذه الحياة الدنيا، لأن الذي لا يوحد الله عز وجل فكأنـه ميت، وان كـان يمـارس الحيـاة، فقد كتـب عليـه المـوت وهـو فـي ربـاط الحيـاة لأن الحيـاة حيـاة القلـوب والنفـوس، وحيـاة التوحيد والإيمـان، وجـاءت الإشارات القرآنية لهذا المعنى في القرآن الكريم الذي يمكن أن نفهم أن البـاري عز وجـل يريـد أن نـؤمن بعقيـدة التوحيـد حتـى نـرى النـور، لأن النـور واحـد وهـو نـور الإيمان والأمان والطمأنينة النفسية والقلبية، بيد أن الظلمات كثيرة ويؤكد هذا المعنـى قولــــه تعــــالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾.(4)

فليس لك أخي الحبيب إلا أن تغمر قلبك بهذا النور وسوف تجني ثمرات الأمن النفسـي لأن الـذي يـؤمن ويطمـئن بعقيـدة التوحيـد يجعـل الله لـه نـوراً يمشـي بـه فـي النـاس، إشارة إلى كونـه مستحضـراً لتلـك الجلايـا القدسـية نـاظراً اليهـا، وعنـد هـذا تـتم درجـات السـعادات فـي الـنفس الإنسـانية، ويمكـن أن يقـال: إن الحيـاة عبـارة عـن الاستعداد القائم بجوهر الروح، والنور عبارة عن إيصال نور الوحي والتنزيل به.

والواقف في الظلمات يبقى متحيراً لا يهتدي إلـى وجـه صـلاحه فيستولي عليـه الخوف والفزع والعجز.

وزعم بعضهم أن المراد بهذا المثل رجلان معينان، فقيل: عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو الذي كان ميتـاً فأحيـاه الله وجعـل لـه نـوراً يمشـي بـه فـي النـاس، وقيـل: عمـار بـن

---

(1) سورة الأنفال الآية: 29.
(2) سورة الأحزاب الآيات: 70-71.
(3) سورة الطلاق الآية: 4.
(4) سورة الأنعام الآية: 122.

ياسرﷺ، و أما الذي في الظلمات ليس بخارج منها، فأبو جهل، عمرو بن هشام لعنه الله، والصحيح أن الآية عامة يدخل فيها كل مؤمن وكافر[1].

والإيمان بالله عز وجل، وبعقيدة التوحيد يجب أن لا يخالطها أرتياب أو شك، لأن هذا الأمر طريق إلى الوهم والاضطرابات النفسية والصراعات، فلذلك حذرنا القرآن الكريم من هذا الأمر لما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾[2].

فالذين آمنوا بالله ثم لم يشكوا في وحدانية الله، ولا في نبوة نبيه ﷺ، والزمه طاعة الله ورسوله، والعمل بما وجب عليه من فرائض الله بغير شك منه في وجوب ذلك وجاهدوا المشركين بإنفاق أموالهم، وبذل مهجهم في جهادهم على ما أمرهم الله به من جهادهم، وذلك في سبيله لتكون كلمة الله العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى وهؤلاء الذين يفعلون ذلك فهم الصادقون في قولهم انا مؤمنون، لا من دخل في الملة خوف السيف ليحقن دمه وماله.

فالمجتمع من المؤمنين يستطيع السيطرة على معظم المشاكل العاطفية والنفسية التي يعاني منها الجنس البشري، لأن الإسلام والإيمان بعقيدة التوحيد تشعر الفرد بهويته وشخصيته الإسلامية الواضحة فهو ليس مجرد عبارة تقال إنما هو لمس لتجربة شعورية واقعية، وعلاج لحالة تقوم في النفس. حتى بعد إيمانها بما يصيب النفس المؤمنة تحت تأثير التجارب القاسية والابتلاءات الشديدة من أرتياب، ومن أضطراب وأن النفس المؤمنة لتصطدم في الحياة بشدائد تزلزل ونوازل تزعزع،فالآية القرآنية فيها انطلاقة نفسية. وبناء قويم متماسك للنفس، فيكون عزاء النفس الأول والأخير بما تملك من الزاد من هذه العقيدة، عقيدة التوحيد، والتي تثبت فلا تضطرب وتثق فلا ترتاب، وتظل مستقيمة موصولة هي التي تستحق هذه الدرجة عند الله. والتعبير على هذا النحو ينبه القلوب المؤمنة إلى مزالق الطريق، وأخطار الرحلة، لتعزم أمرها وتحتسب وتستقيم ولا ترتاب عندما يدلهم الأفق ويظلم الجو، وتناوشها العواصف والرياح.[3]

وقد بعث محمد بن عبد الله والعالم بناء أصيب بزلزال شديد هزه هزاً عنيفاً؛ فإذا كل شيء فيه في غير محله، فمن أساسه ومتاعه ما تكسر، ومنه التوى وأنعطف، ومنه ما فارق محله اللائق وبه شغل مكاناً آخر، ومنه ما تكدس وتكوم. حتى جاءهم ﷺ بعقيدة التوحيد.حيث صنعت العقيدة رجالاً غيروا مسار الحياة، فما الطاقات النفسية التي كانوا يتحلون بها وأي

---

(1) ينظر تفسير الفخر الرازي 181/7-182، تفسير القرآن العظيم 468/2.
(2) سورة الحجرات الآية : 15 .
(3) ينظر جامع البيان: 144/13، في ظلال القرآن: 3350/6.

بناء نفسي بناهم الحبيب محمد ﷺ،[1] قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ .[2]

أي تباعدوا من الطاغوت وكانوا منها على جانب فلم يعبدوها ورجعوا إلى عبادته وطاعته، ولهم البشرى في الحياة الدنيا بالجنة وفي العقبى،فهم رجعوا إلى اله تائبين منيبين، لهم البشرى الطيبة بالثواب العظيم من الله على ألسنة رسله وملائكته يوم توفى كل نفس ما عملت فبشر يا محمد عبادي الذين آمنوا وصدقوا ربهم في إيمانهم وتركوا عبادة ما يعبد المشركون.[3]

والمسلم مكلف بهذه العقيدة من لدن خالق السموات والأرض، ويكون الإخلاص له دون غيره كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ .[4]

وأنهم ما كلفوا في كتابهم بما كلفوا به لشيء من الأشياء، إلا لأجل عبادة الله تعالى، جاعلين دينهم خالصاً له تعالى، فلا يشركون بالله عز وجل وهم حنفاء، أي مائلين عن جميع العقائد الزائفة إلى الإسلام، وفيه من تأكيد الإخلاص ما فيه من الميل إلى الاستقامة، وأن عبادة الله تعالى بالإخلاص و إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وما فيه من البعد للأشعار بعلو رتبته وبعد منزلة في الشرف،وهي قاعدة دين الله وحده وإخلاص الدين له والميل عن الشرك وأهله[5].

وهذه العقيدة ليس فيها شك، فالذي يؤمن بعقيدة التوحيد فإنه يكون مطمئناً نفسياً لهذه العقيدة، لأن الله عز وجل هو الذي نفى عنها الشك كما في قوله تعالى: ﴿ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ .[6]

---

(1)ينظر ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين:15

(2) سورة الزمر الآية: 17

(3) ينظر الجامع لأحكام القران: 135/1 .

(4) سورة البينة الآية: 4.

(5) ينظر روح المعاني: 261/15- 262، في ظلال القرآن: 3952/6.

(6) سورة إبراهيم الآية: 10.

فهي عقيدة صحيحة لا يمكن لأحد أن يشك فيها، وهذا الجمال الباهر إنما ينشأ من هذا العرض الذي يجعل الرسل موكباً موحداً في مواجهة الجاهلية الموحدة؛ يصور الحقيقة الباقية من وراء الملابسات المتغيرة؛ ويبرز المعالم المميزة للدعوة التي يحملها الرسل، وللجاهلية التي تواجههم، من وراء الزمان والمكان، ومن وراء الأجناس والأقوام، وباختصار فلقد سكن الجزيرة العربية في القرن السادس بعد الميلاد قوم من البدو، ولكن في أقل من خمسين سنة تحول هؤلاء الرحل من البدو إلى أمة موحدة على يد محمد ﷺ، فقد قدم لهم برنامجاً عالمياً لمنع الأمراض العقلية والنفسية والنهوض

بالصحة النفسية، وفي حقيقة الألوهية كما تتجلى في قلوب تلك الجماعة المختارة التي تضيء للعباد لمحات من ذلك الجمال الباهر، لا يملك التعبير البشري إلا إن يشير إليها كما يشار إلى النجم البعيد الذي لا تبلغ الإشارة مداه، ولكنها فقط تلفت العين إلى سناه[1].

والعبادة لله عز وجل مع التوكل واللجوء إليه في كل أمر ونازلة لهو البناء النفسي الفريد الذي يبني الفرد به نفسه، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ .[2]

أي لله غيبهما وشهادتهما، والله أعلم ما غاب فيهما، ويرجع إليه الأمر يوم القيامة، إذ ليس للمخلوق أمراً إلا بأذنه، يلجأ إليه ويثق به والله يجازي كلاً بعمله.

وسيؤتى كل عامل عمله يوم الحساب، فله الخلق والأمر، فأمر الله تعالى بعبادته والتوكل عليه، فانه كاف من توكل عليه وأناب إليه، أي ليس يخفى ما عليه مكذبوك يا محمد بل هو عليم بأحوالهم وأقوالهم وسيجزيهم على ذلك أتم الجزاء في الدنيا والآخرة وسينصرك وحزبك في الدارين.[3]

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ .[4] فهنا يتضح منهج العقيدة الصحيح فكيف يتخذ العبد رباً غير الله؟ ويتخذ عقيدة غير عقيدة الإسلام وإليه يرجع أمر العبد، وكيف اتخذ غير عقيدة، وهو يحكمني ويصرف أمري ويهيمن علي ويقومني ويوجهني؟ وأنا مأخوذ بنيتي وعملي محاسب على ما اكسبه من طاعة

---

(1) ينظر في ظلال القرآن: 2103-2102/40.
(2) سورة هود الآية:123.
(3) ينظر الجامع لأحكام القرآن 117/9، تفسير القرآن العظيم 269/3.
(4) سورة الأنعام الآية: 164.

ومعصية أغير الله ابغي رباً وكل فرد مجزي بذنبه لا يحمله عنه غيره؟ إنها تسبيحه التوحيد الرضية الندية؛ يتجلى من خلالها ذلك المشهد الرائع.[1]

مشهد الحقيقة الإيمانية، كما هي في قلب رسول الله ﷺ، وهو مشهد لا يعبر عن روعته وبهائه إلا التعبير القرآني الفريد. لأن الذي يتخذ غير الله رباً فقد ارتضى بشريعة غير شريعة الله التي هي مستودع الويلات المصائب والنكبات والاضطرابات والصراعات النفسية التي لا تنتهي إلا بالرجوع إلى شريعة الباري عز وجل.[2]

والعقيدة الإسلامية هي عقيدة هادفة، تسعى لغايتها بشدة وحزم، ولم يكن الطريق أمامها معبدأ أو مفروشا بالرياحين، فقد شخصت إمام خطواتها مائة مشكلة ومشكلة، وسال الدم على جنبات الطريق، وسخر الشيطان حزبه، لإعاقة المسير مشككين ومنخذلين، أو مجابهين ومقاتلين، وكانت الحرب سجالا والى اليوم[3].

وإن كانت العقيدة لم تبق في النفوس كما كانت أول مرة، ولكن لابد أن يأتي اليوم الذي يكون فيه الاستخلاف للذين آمنوا؛ إذا هم استقاموا على هذه العقيدة قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾.[4]

والباري (عز وجل) يُري عباده هذه الآيات في الكون لكي يؤمنوا بها، وبعدها يكون عذاب الله اليماً وشديداً في عدم النصح والإرشاد قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾.[5]

قل يا محمد لهؤلاء القائلين لك من مشركي قومك ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾،[6] فالوعد من الله عز وجل بنعمته علينا وتوفيقه ايانا للحق الذي انتم عنه عمون، سيريكم ربكم آيات عذابه وسخطه فتعرفون حقيقة نصحي لكم ويتبين صدق

---

(1) ينظر في ظلال القران 205/1
(2)ينظر في ظلال القرآن: 2102/40-2103.
(1) ينظر في ظلال القران:3/ 1241
(4) سورة النور الآية : 55 .
(5) سورة النمل الآية: 93.
(6) سورة النمل الآية: 71.

ما دعوتكم إليه من الرشاد. ويكون منكم الشعور بالذنب، وعدم الأمان وعدم الثقة، وإزدواجية في القيم ومشاكل ذاتية غامضة إما مجتمع الإسلام فهو آمن حال من الشعور بالذنب وعدم الاستقرار، والله عز وجل في كل يوم يري عباده بعض آياته في الأنفس والآفاق. ويكشف لهم عن بعض أسرار هذا الكون الحافل بالأسرار، وهكذا يلقي إليهم في الختام هذا الإيقاع الأخير، وفي هذا التعبير الملفوف اللطيف المخيف.. ثم يدعهم يعملون ما يعملون، وفي أنفسهم أثر الإيقاع العميق[1] ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾.[2]

وفي لمحة من لمحات الوحي قال الرسول ﷺ: ﴿يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر﴾.[3] وإنه لهو هذا الزمان الذي نعيش فيه..ولا حيلة مع ذلك ولا خيار.إنه إما الصبر على هذا الجحيم الأرضي الذي تضعه الشياطين في الأرض وأما إعلان الهزيمة وانتصار الشيطان! وليعلم كل مسلم يريد أن يطبق منهج الله في الأرض وفي ذات نفسه أن معركته مع الجاهلية في هذا الشأن ليست معركة (أخلاقية) حسب وإنما هي معركة عقيدة، الجاهلية تريد أن تفتنه عن عقيدته ذاتها. تريد أن تقول له بلسانها أو بفعلها سواء- ان ما أنزله الله وأمر به إنما هو أمور (مثالية) غير قابلة للتطبيق! وإن (التطور) الذي هو قوة (حتمية) يجعل من المستحيل تطبيق المنهج الرباني الذي أمر الله بتطبيقه! وتعالى عما تقول الجاهلية علواً كبيراً. يجهل، وهو ينزل منهجه ويأمر باتباعه إلى آخر الزمان انه سيأتي تطور (حتمي!) يمنع تطبيق منهجه، ويجعل أوامره- سبحانه- غير ذات موضوع!.

إنها معركة عقيدة.. إما أن يخوضها المسلم بروح الجهاد في سبيل الله، وسبيل العقيدة، وإما انتصار الجاهلية في ذات نفسه وانتصار الشيطان.

وإنها لمعركة عنيفة وشاقة،ومرهقة ما في ذلك شك ولكن جزاءها كذلك هائل وضخم انه الجنة[4]. ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٌ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾.[5]

إذن فعقيدة التوحيد تعطي للفرد قوة نفسية هائلة تربطه بخالق السماء والأرض، وأن الله عز وجل قريب من الذي يوحده ويدعوه في أي وقت شاء فالراحة النفسية تكمن بهذه القوة المهيمنة على الوجود كله.

---

(1) ينظر جامع البيان 25/11، في ظلال القرآن 2670/5.
(2) سورة البقرة الآية: 74.
(3) مسند أحمد 390/2، حسن لغيره، مسند أحمد، تحقيق شعيب الارنؤوط: 34/15.
(4) ينظر منهج التربية الإسلامية: 237/2-238.
(5) سورة السجدة الآية: 17.

وحتى نفهم نظريات الشخصية كما جاءت في العلوم الغربية، ولمقارنتها مع ما جاء في الإسلام علينا أن ننظر في طبيعة الإنسان والغرض من خلقهِ، وكذلك نظرة الله والقرآن الكريم والكتب السماوية للإنسان، وعلينا الكتاب عن العلاقة بين النظريات المختلفة، حتى نجد إمكانية الاستفادة منها في علم النفس الإسلامي التي تمكن الإستفادة منها لتكوين وجهة النظر الإسلامية في ضوء القرآن الكريم والحديث من أجل فهم السلوك البشري.

المبحث الثاني

الإيمان والشعور بالأمن

إن الإيمان بالله عز وجل شفاء للنفس من أمراضها، وتحقيق للشعور بالأمن والطمأنينة والوقاية من الشعور بالقلق، ويجب أن لا يكون العلاج بعد وقوع المرض النفسي، ولكن إذا كان الإيمان مبثوثا في النفس منذ الصغر، فإنه يكسبه مناعة ووقاية من الإصابة بالأمراض النفسية.

والإيمان بالله عز وجل يفتح للإنسان في مجتمعه آفاقاً سامية كبيرة يشعر من خلاله بالأمن، مهما ازدحمت عليه مصائب الدنيا وأهوالها، فإنه باستشعاره بإيمانه بربه عز وجل، فإن أكبر مصيبة تهون عليه ولا يكون هذا الشخص عرضة للمرض النفسي. فهؤلاء الذين آمنوا بقلوبهم دائماً مطمئنة كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾** ﴾ .[1]

فالإيمان إذا وقع على القلب، حوله إلى جنة يفوح منها الرضا والطمأنينة، والراحة النفسية ويبعده عن الفوضى والاضطراب، لأن الإيمان قوة كبيرة لا تعادلها أي قوة في الوجود وبذلك يبقى القلب صافياً نورانياً لا يقبل التغيير والتبدل فلهذا قال تعالى ﴿**أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾.[2]

فان أريد بالهداية المستمرة فالأمر ظاهر بظهور كون الإيمان مؤدياً اليها، وان أريد أحداثها فالمراد بالذين آمنوا الذين صار أمرهم إلى الإيمان كما قالوا في (هدى للمتقين) أي الصائرين إلى التقوى، وتطمئن قلوبهم أي تستقر وتسكن بكلامه المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، الا بذكر الله وحده دون غيره من الأمور تميل إليها النفوس وتستقر[3].

ويحس المؤمن بالأمن والطمأنينة إذا كان إيمانه لا تشوبه شائبة ولا يخالط هذا الإيمان بشيء من الأمور التي لا يرضاها الله عز وجل، فقد قال تعالى في معرض

---

(1) سورة الرعد الآية: 28.
(2) سورة الرعد الآية:28 .
(3) ينظر تفسير الفخر الرازي 15/10، روح المعاني: 149/7.

قولـه عـن الإيمـان بـدون ظلـم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾.[1]

فالفساد ضد الإيمـان، فهو يـؤدي إلـى حدوث آثـار نفسية تفوق آثـار الكـوارث الطبيعيـة تسـبب فـي حالـة مـن فقـدان الأمـن والتـوتر والقلـق، وتـؤدي إلـى الإصـابة بالأمراض النفسية كمـا أن الفسـاد فـي السلوك الإنسـاني يقف وراء بعض المشكلات المتفاقمة مثل مشكلات المخدرات التـي يؤدي إدمانهـا إلـى حصـد كبير مـن الأرواح بالإضافة إلى المشكلات الصحية والنفسية والإجتماعية المتعددة.

والقرآن الكريم يبني هذه النفس إذا علمت ان كل ما يحدث من أمور ومصـائب في هذه الدنيا إنما بعلم الله عز وجل، فتكون النفس الإيمانيـة التـي تحمـل هذه المعـاني من التصور والفهم الدقيق لمجريات الأمور فإنها سوف تكون نفساً مطمئنة وآمنـة كما يقرر هذا الأمر السياق القرآنـي فـي قول البـاري عز وجل ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ .[2]

إمـا الأشـخاص الـذين يلتزمـون بـإداء العبـادات مـن صـلاة وصـوم أقـل إصـابة بالأمراض النفسية مثل الأكتئاب والوسواس القهري والقلق كما أن قوة الوازع الديني تمثل حماية من الوقوع في إدمان الخمور والمخدرات.

وهنا عرض حقيقة الإيمان الذي دعـاهم إليـه فهـو الإيمـان الـذي يـرد كـل شـيء إلى الله، ويعتقد أن كل مـا يصـيب مـن خيـر ومـن شـر فهـو بـإذن الله، وهـي حقيقـة لا يكون إيمان بغيرها فهي أساس جميع المشاعر الإيمانية عند مواجهة الحياة بأحداثها؛ خيرهـا، وشـرها، وهـذا جانـب ضـخم مـن التصـور الإيمـاني الـذي ينشـئه الإسـلام فـي ضمير المؤمن، فيحس عناية الله عز وجل في كل حدث، وفي كل حركة ويطمئن قلبه لما يصيبه من الضراء ومن السراء يصبر للأولـى ويشكر للثانيـة، وقد يتسـامى إلـى آفاق فوق هذا، فيشكر فـي السـراء وفـي الضـراء، وهـذا التصـور ينشـأ الأمـن النفسـي الذي يحتاج إليه كل الناس[3].

فالإسلام وأحكامـه ديـن الله وشـرعه الـذي لا يتجـزأ، أو لا يـختلط بغيـره، فهـو بمثابة المظلة الواقية من الضلال والانحراف والشر والسوء، والعاصم من كل أذى

---

(1) سورة الأنعام الآية: 82.
(2) سورة التغابن الآية: 11.
(3) ينظر تفسير القرآن العظيم 197/6، في ظلال القرآن 3588/6.

وضرر، فمن كان مسلماً بحق اتبع جميع أحكام الدين، والتزم كل ما شرعه القرآن الكريم فأحلَّ حلاله، وحرّم حرامه.[1]

والخوف والحزن ينشأ في النفس كلما ابتعد الفرد عن دين الله (عز وجل)، فالاستقامة على الدين هو الذي يطرد الخوف والحزن عن النفوس، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ .[2]

فالذين كان دينهم خالصاً لله عز وجل، وقالوا ربنا الله الذي لا أله غيره ثم استقاموا على تصديقهم بذلك فلم يخلطوه بشرك، والفرد في هذه الدنيا يمتحن بالخير والشر حتى يتبين حقيقة إيمانه فالمؤمن الواثق بالله عز وجل يجب عليه أن تكون له نظرة شاملة في عملية التعامل بهذه المعطيات الخير وما يغدق الله عليه، فإذا تعامل مع هذا الخير كما يريد الله عز وجل، كان في آمان نفسي واطمئنان، وإذا أساء التعامل فيما أعطي حار وتخبط في ظلمات الأوهام والصراعات النفسية، ويبقى المحور الثاني إذا ما أصيب بالشر، فعليه ان يتعامل معه بعامل الصبر لأنه فتنة، والحكمة في التعامل في الأمرين هو أساس الأمر وجوهره كما قرر الباري عز وجل ذلك في قوله ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴾.[3]

فالله سبحانه يختبر الناس بالشر ويبتليهم بها، أو بالخير فيفتنهم فيه بالرخاء والسعة والعافية فنفتنكم به، ونختبركم بالمصائب تارة وبالنعم أخرى، ليتبين من يشكر ومن يكفر ومن يصبر ومن يقنط والينا ترجعون فنجازيكم بإعمالكم، فمن صبر وفعل خير فنجازيه بالحسنى، ومن كفر فجزاءهُ شر ومصيره جهنم.

والمشاهد لسيرة الرسول ﷺ، يرى ان صفاءه ﷺ النفسي، وتوقره العقلي لم تشبها شائبة، فكان يترك أثره العميق في الآخرين، ولا يتأثر بما هو في نفوسهم من ضيق وانحصار. إنه موجه يدفع ولا يندفع، ورقي معنوياته جزء من صميم ذاته، لا يمكن أن يتخلف عنه، أو تتفاوت قيمته بين ارتجال وإعداد.[4]

ويبقى العمل الصالح هو المقياس والميزان الذي توزن به أعمال الناس، فالعمل الصالح نتيجة للحياة الطيبة الكريمة الآمنة كما في قوله تعالى: ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن

(1) ينظر التفسير الوسيط، د. وهبة الزحيلي 103/1، دار الفكر- دمشق.
(2) سورة الأحقاف الآية: 13.
(3) سورة الأنبياء الآية: 35.
(4) ينظر جدد حياتك، محمد الغزالي 230-231مؤسسة الخانجي .

﴿ ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[1].

وهو وعد من الله عز وجل لمن عمل صالحاً،وهو العمل المتابع لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ من ذكر أو أنثى من آدم؛ وقلبه مؤمن بالله ورسوله، وان هذا العمل المأمور به مشروع من الله بان يحييه حياة طيبة في الدنيا، وان يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة أي جهة كانت، ولعل المراد الراحة النفسية،وللآلوسي (رحمه الله) رأي آخر إذ يقول :المراد بالحياة الطيبة التي تكون في الجنة إذ هناك حياة بلا موت، وغنى بلا فقر، وصحة بلا سقم، وملك بلا هلاك، وسعادة بلا شقاوة، ولعل المراد بالحياة الطيبة في الدنيا بأنه يجمع الله عز وجل على الإنسان شمله وفي الآخرة تكون الحياة الأبدية التي لا شك إنها سوف تكون طيبة[2].

ولهذه المعاني السامية جاءت سورة العصر ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣ ﴾.[3]

ففي هذه السورة الصغيرة ذات الآيات الثلاث يتمثل منهج كامل للحياة البشرية كما يريدها الإسلام. وتبرز معالم التصور الإيماني بحقيقته الكبيرة الشاملة في أوضح وأدق صورة إنها تضع دستور الإسلام كله في كلمات قصار، وتصف الأمة المسلمة حقيقتها ووظيفتها في آية واحدة هي الآية الثالثة من السورة. وهذا هو الأعجاز الذي لا يقدر عليه إلا الله عز وجل.

والحقيقة الضخمة التي تقررها هذه السورة أنه على امتداد الزمان، وامتداد الإنسان في جميع الدهور، ليس هنالك إلا منهج واحد رابح وطريق واحد ناج، هو ذلك الذي ترسم السورة حدوده وهذا هو الطريق الذي تصف السورة معالمه. وكل ما وراء ذلك ضياع وخسارة فالحق وقوله يحتاج إلى عزيمة الصبر[4].

والإعراض عن ذكر الله عز وجل نتيجته الضنك في الحياة الدنيا ولعل هذا اللفظ يوحي بانقباضات نفسية، كما عبر عنه السياق في قوله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴾ .[5]

---

(1) سورة النحل الآية: 97.
(2) ينظر تفسير القرآن العظيم 451/3، روح المعاني 226/7.
(3) سورة العصر الآيات: 1-3.
(4)ينظر في ظلال القرآن: 3964/6.
(5) سورة طه الآية: 124.

أي الذي اذكره به فتولى عنه ولم يقبله ولم يستجب له، ولم يتعظ به فينزجر عما هو عليه مقيم على خلافه، فان له معيشة ضيقة والضنك في المنازل والأماكن والمعايش ويكون الضنك على جميع المستويات والأصعدة فيمن يعرض عن ذكر الله عز وجل[1].

والمؤمن الصادق الإيمان نفسه مطمئنة راضية على رزقها، لأنها تعلم أن الرزق بيد الله عز وجل؛ فالمؤمن لا يعرف الخوف لأنه يعلم علم اليقين أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين كما عبرت الآيات عن هذا الأمر:

﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾.[2] ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾.[3]

وهو كذلك لا يخاف الموت لأنه يعلم أن اجله محدود كما في قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴾.[4]

إن الإيمان بالله تعالى، واتباع منهجه الذي رسمه للإنسان في القرآن الكريم هو السبيل الوحيد للتخلص من الهم والقلق والطريق الوحيد الذي يؤدي إلى تحقيق أمن الإنسان وسعادته وإن فقدان الإيمان بالله، وعدم اتباع منهجه في الحياة يؤدي إلى الهم والقلق والشقاء. **وعليه فإن :-**

1- الإيمان معراج الروح والأمن، وانشراح النفس أمام مسؤولياتها الضخمة في الحياة فمن عمر قلبه الإيمان بالله صفت نفسه واطمأنت.
2- وبالإيمان تكون نفس المؤمن صافية مطمئنة إلى الطريق الذي تسلكه، وعظمة الحق الذي في قرآنها مطمئنة إلى سمو الغاية التي تهدف إليها.
3- وهذا الإيمان له أثره على صاحبه، وعلى المجموع، أما أثره على صاحبه، فهو معين لسعادته، ينظر المؤمن من خلال صفاء نفسه إلى الحياة، فيصفو بنظرته الكدر، وتتضاءل بها الهموم،وأما أثره على المجموع، فهو تخلص عن الانانية والشح والجبن إلى مستوى النظر إلى حاجة الجنس الإنساني.
4- ونفسية المؤمن قوية وشخصيته مهيبة، ذلك ان التجاءه الصادق إلى الله عز وجل يشعره أن معه اقوى القوى فينهل من هذا الشعور معيناً لا ينضب من القوة والثقة بالله إذ هو غايته.

---

(1) ينظر جامع البيان: 225/9.
(2) سورة الذاريات الآية: 22.
(3) سورة هود الآية: 6.
(4) سورة الأعراف الآية: 34.

5- والمؤمن أبدا في نعيم مقيم في جنة الدنيا قبل جنة الآخرة لصلته الدائمة - بربه- ممتلئ حكمة وخلقاً وطيباً وادباً، إذ هو تربية الله العزيز الحكيم.

وإن كل هذه الآثار الإيمانية في نفس المؤمن هي نتيجة طبيعية وحتمية للإيمان الصادق والطاعة المطلقة والحب الخالص لربه، فإن لم تجد هذه الآثار النيرة في سلوك المؤمن ووجد نقيضها، فما ذلك الا ثمرة الادعاء الكاذب للإيمان، ونتيجة الاتجار والخداع للناس فيه.[1]

ويمكن لنا القول أن المتأمل في العلاقة بين تعاليم الدين الإسلامي وبين تنظيم حياة الإنسان وتعديل سلوكه لابد ان يلاحظ التأثير الإيجابي للالتزام بتعاليم الدين والتعلق بالإيمان الذي يشعر بالأمن، الذي يضمن الوقاية والعلاج من الاضطرابات النفسية التي تزايد انتشارها في العصر الحالي، ومثال ذلك تأثير التنشئة الدينية للصغار على ضبط سلوكياتهم ومنعهم من الاستجابة للإنحراف، وكذلك الدعوة الدائمة إلى حسن الخلق في التعامل الإنساني بما يخفف من فرض الصراعات التي تسبب القلق، ودعوة الدين إلى إفشاء السلام هي دعوة الإيمان الصادق.

(1) ينظر مدخل إلى التصور الإسلامي للإنسان والحياة: 118-122.

المبحث الثالث

الإيمان بالانتماء إلى الجماعة

حرص القرآن الكريم على تأكيد الروابط الجماعية لما له الأثر في صياغة الشخصية المسلمة، ويحس الفرد بأنه منتمٍ إلى جماعة يحبهم ويحبونه أخوة في الله عز وجل في السراء والضراء، فالقرآن الكريم يبني النفس من خلال الاعتصام بحبلهِ المتين.

والشخص الذي يحجم عن معاونة غيره حقيق أن تنصب عليه المتاعب والمشكلات. أن كل ما تتطلبه الحياة من الفرد أن يكون عاملاً منتجاً محباً للناس، فعالاً في الحب، ولاشك أن انتماء الفرد إلى جماعة يحبهم ويحبونه، كما في قوله تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾.(1) وارتباطه بهم بعلاقات إنسانية جيدة، إنما يعتبران من العوامل الهامة التي تساعد على تكوين شخصيته تكويناً سليماً، وعلى تحقيق الأمن والطمأنينة في نفسه،فقد حث القرآن الكريم على الأخوة، وقرنها بالإصلاح لأنها أساس الجماعة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾.(2)

فالأخوة في الدين توجب الإصلاح بين المسلمين إذا اقتتلوا ويحمل الأمر على حكم الله وحكم رسوله، ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾.(3)

ومما يترتب على هذه الأخوة أن يكون الحب والسلام والتعاون والوحدة هي الأصل في الجماعة المسلمة، وأن يكون الخلاف أو القتال هو المحرك الذي يجب أن يرد إلى الأصل فور وقوعه وأن يستباح في سبيل تقريره قتال المؤمنين الآخرين للبغاة من إخوانهم، ليردوهم إلى الصف، وليزيلوا هذا الخروج على الأصل والقاعدة، وهو إجراء صارم وجازم، كذلك وإن الأصل في نظام الأمة المسلمة أن يكون

---

(1) سورة الحجر الآية: 47.
(2) سورة الحجرات الآية: 10.
(3) سورة الحجرات الآية : 9 .

للمسلمين في أنحاء الأرض إمامة واحدة، وتكون جماعة تحت رأي مأخوذ من مشورة الجماعة.[1]

والمحبة في الله عز وجل هي أصل الجماعة، لأن بهذه المحبة تدوم الجماعة وتنمو وتقوى، وجاء تقرير هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾.[2]

وهؤلاء القوم يؤثرون ويعرفون معنى الإيثار بمعناه الدقيق الذي هو بذل ما في الوسع حتى تمد يد العون إلى أخيك المسلم، وحتى تؤتي الجماعة ثمارها لابد من هذا الفهم حتى تكون الجماعة قوية متماسكة فهم يحبون من هاجر إليهم، ويحبون المهاجرين ويواسونهم بأموالهم، ولا يجدون في أنفسهم حسداً للمهاجرين بما فضلهم الله به من المنزلة والشرف، ولا يجدون في صدورهم حسداً مما أتوا المهاجرين، ويؤثرون على أنفسهم يعني حاجة، أي يقدمون حاجات الناس على حاجات أنفسهم، ويبدون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك، ومن سلم من الشح فقد أفلح ونجح.[3]

والقرآن الكريم يحذر من شق عصا الجماعة، ويحذر من الذين ينخرون بناء الجماعة، فالشعور بالتلون، وعدم الوضوح له الأثر النفسي السيئ الذي يؤدي إلى عدم فهم مجريات الأمور، فقد قال تعالى في ذلك ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾.[4]

فهؤلاء القوم الذين هم في وادٍ يسيل من صديد أهل جهنم الذين يصلون، لا يريدون الله عز وجل بصلاتهم، وهم عن صلاتهم ساهون،ويراءون في صلاتهم ويمنعون منافع ما عندهم، وهم يصلون ولكنهم لا يقيمون الصلاة، بل يؤدون حركات الصلاة وينطقون بأدعيتها، ولكن قلوبهم لا تعيش معها، ولا تعيش بها، وأرواحهم لا تستحضر حقيقة الصلاة وحقيقة ما فيها من قراءات ودعوات وتسبيحات، أنهم يصلون رياء للناس لا إخلاصاً لله، ومن ثم هم ساهون عن صلاتهم وهم يؤدونها. ساهون عنها لم يقيموها حق إقامتها، والمطلوب، هو إقامة الصلاة لا مجرد أدائها، و

(1)ينظر في ظلال القرآن 3343/6.
(2) سورة الحشر الآية: 9.
(3) ينظر تفسير القرآن العظيم 143/6-144.
(4) سورة الماعون الآيات: 4-7.

أقامتها لا تكون إلا باستحضار حقيقتها، والقيام لله وحده بها، حتى يتحقق معنى الجماعة في الصف المسلم.[1]

وأكد القرآن الكريم على الجماعة، وحث على التماسك والقوة، وعدم التفرق لأن العمل يثمر إذا أنبثق عن الجماعة، وفي ذلك قال عز وجل ﴿ **وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾.[2]

فالجماعة تصبح بنعمة الله عز وجل إخوانا، ولهذه الألفة تناغم روحاني موحد لا ينقطع فالله عز وجل يأمر المؤمنين أن يتخذوا منهم طائفة متميزة تقوم بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حدود ما رسم الكتاب والسنة، لا ترهب أحداً ولا تخشى في الله لومة لائم تقوم بالذود عن حياض الدين ورفع منارة الحق والعدل.

فالمسلمون جميعاً مكلفون بتكوين هذه الجماعة المؤتلفة، ويكون لها حق الأشراف والرقابة والتوجيه والحساب والمتابعة، وفي سبيل قيامها بواجبها يجب أن تتوافر في أفرادها شروط العلم الديني، والعلوم التي يحتاجها من يخاطب الناس ويؤثر فيهم مع التقوى والتخلق بأخلاق الأنبياء. وأن يكون الداعية مثلاً أعلى في الخلق الكامل.والذين توافرت فيهم هذه الشروط، فأولئك هم البعيدون في درجات الكمال، وهم خلفاء الله في أرضه، وخلفاء رسوله في أمته، وهم المفلحون في الدنيا والآخرة، والأمة التي هداتها وقادتها على هذا العلم والصلاح، لابد أن تكون العزة والرفعة في ركابها، وهؤلاء تمسكوا بكتاب الله وعهده واعتصموا بحبله جميعاً، ولا يتفرقون عنه أبداً، فإن الداء العضال في الفرقة والانحلال. وفي الآية تمثيل الاستيثاق بالعهد، أو القرآن ا لكريم والوثوق بحمايته باستمساك المتدلي من مكان مرتفع بحبل متين وثيق لا يأمن انقطاعه.[3]

والله عز وجل يهدي هذه الجماعة إلى الصراط المستقيم، لأنها قائمة على نصرة دينه، ورفع كلمته كما في قوله تعالى: ﴿ **فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا** ﴾،[4] فالذين صدقوا الله وأقروا

---

(1) ينظر جامع البيان 15/ 311-314، في ظلال القرآن 3985/6-3986.
(2) سورة آل عمران الآية : 103 .
(3) ينظر التفسير الفريد للقرآن المجيد: 397/1-398، التفسير الواضح: 10/1.
(4) سورة النساء الآية: 175.

بوحدانيته، وما بعث به محمدُ ﷺ واعتصموا به وتمسكوا بالنور المبين الذي أنزله إلى نبيه، فسوف تنالهم رحمتهِ التي تنجيهم من عقابه وتوجب لهم ثوابه ورحمته وجنتهِ ويلحقهم من فضله ما ألف أهل الإيمان به والتصديق برسلهِ،ويوفقهم لإصابة فضلهِ الذي تفضل به عن أوليائه وسددهم لسلوك منهج من أنعم عليه من أهل طاعته ولأقتفاء آثارهم، وأتباع دينهم، وذلك هو الصراط المستقيم، هو دين الله الذي ارتضاه لعباده وهو الإسلام، والاعتصام بالله ثمرة ملازمة للإيمان به متى صح الإيمان؟ ومتى عرفت النفس حقيقة الله، وعرفت حقيقة عبودية الجميع له. وهو صاحب السلطان والقدرة وحده، وهؤلاء يدخلهم الله في رحمة منه وفضل – رحمة في هذه الحياة الدنيا – قبل الحياة الأخرى – وفضل في العاجلة قبل الفضل في الآجلة، فالإيمان هو الواحة الندية التي يجد فيها الروح والنور من هاجرة الظلال في تيه الحيرة والقلق والشرود كما أنه القاعدة التي تقوم عليها حياة المجتمع ونظامه في كرامة وحرية ونظافة واستقامة، وليس هذا في أي نظام آخر غير نظام الإيمان كما جاء به الإسلام، هذا النظام الذي يخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده فالإيمان واحة كبيرة، عليها تتربى الجماعة وبه تكون خطوات هذه الجماعة كبيرة ومثمرة(1).

والأفق النفسي الذي يمده الله عز وجل للجماعة كبير ونوره واسع وأنه مهما كانت الجهود صادقة، تكون الإمدادات الآلهة كبيرة وهائلة لأن العمل لله عز وجل بصدق لهو أساس الأمر الذي يجتمع عليه، ففي هذا النداء القرآني يطلب من الذين اعتصموا بحبلهِ أن يكونوا مؤمنين، لأن الله عز وجل سيدخلهم برحمة منه وفضل كبير.

فالمطلوب من كل مسلم أن يعمل لنصرة دين الله بأن يسعى لإقامة شرع الله فينصره الله بقدر سعيه وجهده. ولكن مما لاشك فيه أن العمل الجماعي لنصرة الإسلام هو الذي أرشده إليه الإسلام وأشار إليه القرآن الكريم، في قوله تعالى:﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾.(2)

والمراد بـ(الأمة) في الآية جماعة من المسلمين تقوم بالدعوة إلى الله تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، أي تقوم بنصرة الدين بشكل جماعي منظم، وعملها هذا بهذا الشكل أجدى وأنفع من عمل المسلمين فرادى ومتفرقين، وهذا يعني أن جمع جهود الأفراد بعضهم إلى بعض، والعمل سوية بتنظيم جماعي منظم يحبه الله ويطلبه الإسلام قطعاً للأمر بتكون (أمَّة) تقوم بنصرة الدين.

---

(1) ينظر جامع البيان: 40/4 ، في ظلال القران: 923/2 .
(2) سورة آل عمران الآية: 104.

وعلى هذا يمكن القول:- إن قيام (تنظيم جماعي) أي جماعة إسلامية أمر مرغوب فيه شرعاً، وتشتد درجة ندبه استجابته كلما كان قيام هذا التنظيم ممكناً وكانت الحاجة إليه شديدة والغرض منه نصرة الدين، وقد يكون قيام هذا التنظيم لنصرة الدين واجباً إذا كان الباطل قوياً وأهله أشداء في خصومتهم وعدواتهم للحق وأهله. فلا يأتي مدافعة الباطل وهو بهذه الدرجة بجهود فردية، فالإنضمام إليها مساهمة في نصرة دين الله، ونصر هذا الدين واجب على كل مسلم ومسلمة. حين يوحد الألوهية ويسوي بين الخلائق جميعاً في العبودية وحيث يجعل السلطان لله وحده، و الحاكمية لله وحده، فلا يخضع بشر لتشريع بشر مثله فيكون عبداً له مهما تحرر فالانخلاع عن الفردية والتعاون على البر والتقوى من علو الهمة في الدعوة[1].

قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾.[2] فإن أساس وهيكل الحوافز كله يتغير تماماً عندما يسلم الإنسان امره لإرادة الله عز وجل، فتكون حركات وسكنات الجماعة كلها بهدي من الله وفي سبيل الله ونصرة دينه.

قال ابن القيم: (فالربِّيُون هنا:- الجماعات، قيل: إنه من الربّةِ، بكسر الراء:- وهي الجماعة: الرَّبَي واحد الربيين، وهم الألوف من الناس).[3]

وأما (رأس الحزب فإنه رأس الطائفة التي تتحزب أي تصير حزباً، فإن كانوا مجتمعين على ما أمر الله به ورسوله من غير زيادة ولا نقصان، فهم مؤمنون، لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، وأن كانوا قد زادوا في ذلك ونقصوا مثل التعصب لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل والإعراض عمن لم يدخل في حزبهم، سواء كان على الحق أو الباطل، فهذا من التفرق الذي ذمه الله تعالى ورسوله، فأن الله ورسوله أمر بالجماعة والائتلاف، ونهى عن الفرقة والاختلاف وأمرا بالتعاون على البر والتقوى، ونهى عن التعاون على الأثم والعدوان.[4]

(إذا لابد من طليعة تعزم هذه العزمة، وتمضي في طريق الدعوة الإسلامية، والعودة الإسلامية، إنما تحقق بأن تحمل المنهج جماعة من الدعاة تؤمن به إيمانا كاملاً، وتستقيم عليه بقدر طاقتها، تجتهد لتحقيقه في قلوب الآخرين وفي حياتهم كذلك)[5].

---

(1) ينظر جامع البيان: 40/4 ،في ظلال القران 923/2 .
(2) سورة آل عمران: 146.
(3) مفتاح دار السعادة، ومنشور الولاية لابن القيم: 154/1. دار الكتب العلمية .
(4) مجموع فتاوى ابن تيمية 92/11، الرباط، مكتبة المعارف.
(5) هذا الدين، لسيد قطب: 7،ط4 ، مكتبة وهبة .

(إن للأفراد المسلمين وللدعاة أسوة وقدوة في الحوار الشريف الذي دار بين إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام)، حين أمر الله إبراهيم ببناء الكعبة، قال إبراهيم عليه السلام: يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر. قال: فاصنع ما أمرك ربي. قال:- وتعينني؟ قال: وأعينك، فهذا جواب المؤمنين دوماً بلا تلكؤ ولا تلعثم، وأن الله قد أمر بنشر دينه وإعادة حكمه، ويجب أن تكون هذه الأعوان غير مختلفة، وامض وبادر، وكن وريث إسماعيل لا تقعد في بيتك، لا تسمع نداء مستقبلك الوظيفي والتجاري، فهنا في هذه الإجابة الإسماعيلية رأس مالك الحقيقي).[1]

فلإسلام وسائله المحكمة في صياغة المؤمنين به صياغة تختلف عن الأديان الأخرى والمبادئ والفلسفات الأرضية بما فيه من حكمة وعمق في خفايا النفس الإنسانية.[2]

وهذه الصياغة تمثلت في الصبغة الربانية في قوله تعالى: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾.[3]

فالإسلام سياج الإنسانية – من حيث جمعها على قواعد فكرية وفطرية عريضة تضمن وحدة الفكرة الإنسانية المتجاوبة مع فطرته، فلا يفرض على أحد فرضاً، ليؤمن به الغير نفاقاً أو مصلحة أو إكراها، ولا حاجة أصلاً في الإسلام إلى الإكراه، قال تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .[4]

وهو خالق الإنسان وهادية، فلا تناقض بين طبيعة الخلق وطبيعة الهداية، إذ أن مصدرهما واحد، يتصف بالكمال المطلق.[5] وعلى هذا فالانتماء إلى جماعة يجب أن أن يتم في ما أراد الله عز وجل أن تكون خليفة في الأرض وأن تعمل وتفكر وتخطط ليل نهار لأدخال السعادة في نفوس العباد، وأن تفقه أسس البناء القرآني، لا أن تنام وتحقق مصالحها الشخصية ومآربها وتقول نحن (جماعة مؤمنة) ويمكن معرفة سير صحة هذه الجماعة من خلال:-

1- أن تكون لهذه الجماعة ثمار طيبة واسهامات كبيرة في صالح الإسلام والمسلمين.

---

(1) المنطلق، محمد أحمد الراشد: 167-168.
(2) ينظر التصور الإسلامي، للإنسان والحياة: 173.
(3) سورة البقرة الآية :138.
(4) سورة البقرة: الآية: 256 .
(5) ينظر التصور الإسلامي للإنسان والحياة: 156 .

2- يجب أن يكون لها برنامج واضح ومحدد.
3- أن تعمل هذه الجماعة على تزويج الشباب والشابات الذين يقف الفقر عائقاً في زواجهم.
4- معاونة الفقراء والأيتام ورفد طلبة العلم والمعرفة بالمال.
5- إنزال الناس منازلهم كلمة رائدة في فقه السياسة، وبدون الاعتماد عليها سوف ندخل تحت مضمون قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ .[1]
6- يجب على الجماعة أن تنقل جنودها وقواعدها في المجال التربوي إلى مصاحبة الدعاة الربانيين لأن هؤلاء قد صقلتهم التجارب الطويلة.
7- اتقان فن الحوار ومعرفة أصول الاختلاف وآدابه داخل الصف الإسلامي.
8- كسب الحوار الإعلامي لصالح المسلمين ويجب أن يعرف الناس أن الإسلام له سبق القصد في كل العلوم والمعارف.

وبعدها إذا تعثرت الجماعة في سيرها فيجب أن تقوي العلاقة مع الله عز وجل لأن الله هو الذي يؤيد الجماعة المؤمنة بنصرة وتأييده، لأنها تعمل لنصرة دينه، فإذا كان سيرها سعياً لوجه الله، كانت العوائق ميسرة والعقبات عن الطريق قد رفعت، وبعدها سترى الجماعة النور وسط العتمات، لأن الله عز وجل هي غايتها.

---

(1) سورة الأعراف الآية: 38.

المبحث الرابع

العبادات

العبادات: هي النظام التعبدي الذي يحدد طبيعة الصلة بين الإنسان وربه ويحدد الوسائل العملية التي يسلكها الإنسان ليسمو بالروح في مدارج الكمال[1] من على جبل النور ... في غار حراء.. والكون ساجد لله، ومحمد بن عبد الله يعتصر ذهنه وفكره بعيداً عن صخب الحياة وأباطيلها في زمن استشرى فيه الباطل وبسط أرديته أرض الناس.. وبينما هو مستغرق في تأمله في هذا المكان البعيد عن أهل مكة يبحث عن الطريق، إذ ملك الوحي جبريل عليه السلام يضمه إلى صدره ويبلغه نداء الله ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾.[2]

ومن هذه اللحظة التي انبثق فيها شعاع الوحي أصبح للعبادة مفهوم جديد.. وتغيرت نظرة الإنسان إلى كل ما يصدر عنه. ولم تعد العبادة رسوماً وطقوساً تؤدى داخل المعابد والصوامع والبيع، وركب الفساد الجائر يطحن الناس ويقضي على أمنهم واستقرارهم وسعادتهم،نعم تغيرت هذه النظرة الضيقة للعبادة وأصبحت (أقرأ باسم ربك) منارة هادية وضعت يد الإنسان على الحقيقة: فالقراءة باسم الله. والعلم باسم الله. والصلاة باسم الله. والحياة وما فيها باسم الله بل والممات بإسم الله ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .[3]

والعبادات هي: الصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، ونظراً إلى أن المقصود من هذه العبادات الأربع – مضمونة إلى الإقرار بوحدانية الله ورسالة محمد ﷺ - هو تطهير القلب وتزكية النفس، وقوة مراقبة الله التي تبعث على امتثال أوامره والمحافظة على شرائعه في جميع نواحيها، كانت هي العمد التي يبنى عليها الإسلام.[4]

---

(1) ينظر مدخل إلى التصور الإسلامي: 106.
(2) سورة العلق الآيات : 1-5.
(3) سورة الأنعام الآيات: 162.
(4) ينظر منهج القرآن في تربية المجتمع: 190، الإسلام عقيدة وشريعة: 89-90.

وفي ذلك يقول الرسول ﷺ ﴿بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا﴾.[1]

في محراب الكون يقف المؤمن خاشعاً مرتلاً آيات التقديس والاجلال يرى ربه مع النسمات العذبة والشمس المشرقة والقمر المضيء.. ومع ركب البشر المتحرك. وفي الأرض المبسوطة والسماء المرفوعة وفي قطرات الماء ورائحة الأزهار واختلاف الثمار وتقلب الليل والنهار.. يرى ربه مع الأنفاس التي تتردد والقلب الذي يخفق والعين التي تبصر.. يحس به في كل شيء ومع كل شيء وليس بعد هذا الخشوع عبادة فإنها الرباط الوثيق الذي يشد أوتار القلب –دائماً- إلى الله ويعرف الإنسان أن الحياة لا تقاس ببطن مملوء، وأموال ملأ الخزائن، وأجسام عراض وألسنة حداد وإنما قيمتها في أشواق الروح وانفعالاتها بمظاهر هذا الوجود، والوصول إلى ذلك الإحساس بخالق هذا كله، ومن هنا يصبح البشر عبيداً لله: تخشع قلوبهم وتلين جلودهم امام عظمة بارئهم وخالقهم فيتحقق الغرض الأسمى من وجودهم على ظهر هذه الأرض[2] قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[3].

وسيتضح ذلك الأمر فيما سنشرع به في هذا المبحث من خلال المطالب الآتية:-

المطلب الأول: الـــصــلاة

تعد العبادات الكنز الكبير لتعبئة البناء النفسي لشخصيات الإنسان، وفي تغيير سلوكهم؛ أسلوب العمل والممارسة الفعلية للأفكار والعادات السلوكية الجديدة التي يريد أن يغرسها في نفوسهم،ولذلك فرض الله سبحانه وتعالى العبادات المختلفة:- الصلاة والصيام، والزكاة، والحج. إن القيام بهذه العبادات في أوقات معينة بانتظام يعلم المؤمن الطاعة لله تعالى، والامتثال لأوامره، والتوجه الدائم إليه في عبودية تامة، كما يعلمه الصبر، وتحمل المشاق، ومجاهدة النفس والتحكم في أهوائها وشهواتها، كما يعلمه حب الناس، والإحسان إليهم، وينمي في نفسه روح التعاون والتكافل الاجتماعي، وكل هذه خصال حميدة تتميز بها الشخصية السوية الناضجة المتكاملة، ولاشك أن قيام المؤمن بهذه العبادات بإخلاص وانتظام يؤدي إلى اكتسابه

(1) صحيح البخاري 12/1 . كتاب الإيمان ، باب الإيمان
(2) ينظر منهج القرآن في تربية المجتمع: 228-229.
(3) سورة الذاريات الآيات: 56.

هذه الخصال الحميدة التي توفر له مقومات الصحة النفسية السليمة، كما يمده بوقاية من الأمراض النفسية[1].

الصلاة أول فرائض الإسلام منهج متكامل لتربية المجتمع: تطهره ظاهراً وباطناً، وتروي فيه شجرة الأخلاق بماء الوضوء ونور الذكر وروعة التجرد لله فإذا ما تنشده الإنسانية من مساواة وعفة ومحبة ورحمة وقوة وأدب واقع حي ملموس تراه في أصوات الساجدين والمتبتلين والداعين والذاكرين والمتجهين لربهم والخاشعين لسيدهم ... شعورهم واحد وشعارهم واحد الله أكبر.. الله أكبر.

وهي عبادة بدنية فرضها الله على المسلم في اليوم والليلة خمس مرات، في أوقات محدودة، يقف فيها مستقبلاً بوجهه أينما كان جهة المسجد الحرام الكائن بمكة[2].

وهي الرباط الروحي الذي يصل المسلم بربه بعد الإيمان به، وهي نور يشرق في جنبات النفس الإنسانية فيجعل المسلم ينظر إلى الحياة نظرة خاصة به أساسها الفهم عن الله والوقوف عند حدوده، وتعظيم ما عظم الله، وتحقير ما حقره، فلا يتلوث بشيء يدنسه، ولا يرتع في شهوات يعلم أنها تجلب عليه مقت الله وغضبه وهي مفتاح كل خير، والباب الموصل إلى السعاة وتركها مجلبة لكل شر، وسبيل الشقاء الأبدي والطرد من رحمة الله[3].

إن الصلاة هي صلة بين العبد وربه، وحين يقف المؤمن في الصلاة بخشوع حقيقي يحس أنه متصل مع الباري عز وجل ويشعر أنه ضعيف فهو يحس بطاقة روحية هائلة فيها الصفاء الروحي والاطمئنان، ويحس بالانصراف التام عن الدنيا ومشاكلها وهمومها وهذا الأمر من شأنه أن يبعث على الاسترخاء التام،والباري عز وجل يحث عباده على الدعاء ويصرح لهم بذلك لأن الإنسان يجب أن يدعو الله عز وجل في كل أمر، وللدعاء معنى نفسي جميل، وهو أن المسلم يشعر بأن الله عز وجل يستجيب دعاءه، فهو لا يقنط ولا ييأس، لأن الله عز وجل وعد عباده بالإجابة؛أذن الدعاء يعكس معناً نفسياً سوف نكشف عن نقابه في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾.[4]

---

(1) ينظر القرآن وعلم النفس:- 255.
(2) ينظر منهج القرآن في تربية المجتمع: 191، الإسلام عقيدة وشريعة: 93.
(3) ينظر فقه العبادات، حسن أيوب: 7، ط6، دار الندوة، 1403هـ-1983م، شجرة الإسلام، عبد الله دمبيا: 47، ط1، 1401هـ-1981م.
(4) سورة البقرة الآية:- 186.

وإذا سألك يا محمد عبادي عني أين أنا ؟ فإني قريب منهم أسمع دعاءهم واجيب دعوة الداعين منهم، وليس المقصود من الدعاء الإعلام؛ بل إظهار العبودية والذلة والانكسار والرجوع إلى الله بالكلية، فإذا كان مقصودة من الدعاء إظهار الذلة والمسكنة، ثم بعد ذلك رضي بما قدره الله وقضاه فذلك من أعظم المقامات[1].

والصلاة دلالة على الاستعانة به وحده، وتذكر لمعاني كتابه، وتسبيح وتهليل، وإنابة وصلة قلبية بالملائكة عن اليمين وعن الشمال قعيد، فيسلم عليهم، وصلة قلبية بإخوانه المسلمين فيسلم عليهم أجمعين أيا كانوا ويدعو لهم من أعماق قلبه دعاء يوثق الصلة الروحية بهم، ويثبت العقيدة في سويداء القلب تثبيتاً لا تهزمها أي عقيدة دخيلة، وتوثيقاً لجماعة المصلين، وتفقداً وحباً لهم، وهي إلى جوار كونها جزءاً من النظام الروحي فهي جزء من النظام الصحي، صحة الجسم وصحة النفس، وجزء من النظام الاجتماعي في التعارف والتعاون والانسجام – انسجام الفكر والروح والخلق[2].

كذلك يكون الفلاح في صلاة العبد بخشوع، لأن الخشوع أمر مهم يترتب عليه كثير من الأمور، كما في سورة المؤمنون ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾.[3]

والفلاح اطمئنان نفسي لا يحده شيء، والمراد بالمؤمنين المصدقون بما علم ضرورة أنه من دين نبينا ﷺ من التوحيد والنبوة، والخشوع صفة موضحة لهم أو مادحة لهم، وللخشوع معانٍ مختلفة فقد فسره:- قتادة: تنكيس الرأس، وعن علي كرم الله وجهه ترك الالتفات، وقال الضحاك وضع اليمين على الشمال، وإذا أردنا أن نمحص هذه الأقوال نجدها تنحصر في شيء واحد وهو قوة الصلة بالله عز وجل، واستشعار ذلك الأمر فتنكيس الرأس وحده دون ملازمة الخشوع لا يكون كافياً وكذلك الالتفات ووضع اليمين على الشمال.

والخشوع هو التذلل لله بطاعته، والاتصال الدائم به عز وجل والهلع والجزع صفتان خطيرتان يجب على المسلم أن يتجنبهما لأنها تؤدي إلى هدم نفسي خطير، وقد حث القرآن الكريم إلى أن المصلين لهم حصانة آلهية تمنعهم من أن يدرجوا تحت هذه الصفة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ﴾.[4]

---

(1) ينظر جامع البيان: 158/2، تفسير الفخر الرازي: 107/3.
(2) ينظر مدخل إلى التصور الإسلامي للكون والحياة: 127-128.
(3) سورة المؤمنون الآية: 1-2.
(4) سورة المعارج الآيات 19-22.

وهم المؤمنون عامة، فانهم يغلبون فرط الجزع بثقتهم بربهم ويقينهم. وهم يداومون في الصلاة على مواقيتها، والصلاة فوق أنها ركن الإسلام وعلامة الإيمان؛ هي وسيلة الاتصال بالله والاستمداد من ذلك الرصيد، ومظهر العبودية الخالصة التي يتجرد فيها مقام الربوبية ومقام العبودية في صورة معينة، وصفة الدوام تعطي صورة الاستقرار والاستطراد، فهي صلاة لا يقطعها الترك والإهمال والكسل لأن بهذه الصلاة يجد المؤمن حلاوة عظيمة لو علم بها الملوك لقاتلونا عليها بالسيوف.(1)

وقال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.(2)

فبمجرد ذكر أسم الله يحرك الوجل في ضمائرهم ومشاعرهم، ولا اعتراض لهم على قضاء الله فيهم، فهم يعبدون الله حق عبادته، وهكذا يربط بين العقيدة والشعائر فهي منبثقة من العقيدة وقائمة عليها. والشعائر تعبير عن هذه العقيدة ورمز لها، والمهم أن تصطبغ الحياة كلها، ويصطبغ نشاطها كله بتلك الصبغة فتتوحد الطاقة ويتوحد الاتجاه، ولا تتمزق النفس الإنسانية في شتى الاتجاهات(3).

وللصلاة آثار كثيرة نحصرها فيما يأتي:-

1-الآثار الروحية والنفسية:-

فالإنسان مركب من الجسم والروح، فكما إن جسمه يحتاج إلى غذاء ينميه ويقويه ويمنحه من المناعة ما يقاوم به الأمراض، فإن روحه كذلك تحتاج إلى غذاء ينميها ويقويها ويسمو بها إلى عالم الملكوت. وهذا الغذاء كامن في إقامة الصلاة شأنها شأن بقية الواجبات، إن القلق النفسي يفتك بالمجتمعات البشرية في الوقت الحاضر، وهو يزداد ضراوة يوماً بعد يوم نظراً لتعقد الحياة وتشابك المشاغل ويسلك طريقه إلى القلوب في سهولة ويسر، لأن الطرق أمامه معبدة عدا الطرق المؤدية إلى قلوب المؤمنين المقيمين الصلاة إذ مداخلها أمام هذه القلوب مسدودة، لذلك فأن القلق لا يظفر بها، فإن تسرب منه شيء إليها، فأنه يذوب ويتلاشى أمام قوة الإيمان المتولدة من صلة الإنسان بربه في صلاته كل يوم.(4)

2-الآثار الخلقية والاجتماعية:-

---

(1) ينظر الجامع لأحكام القرآن: 289/18-291، في ظلال القرآن: 3699/6.
(2) سورة الحج الآيات:- 34-35.
(3) ينظر جامع البيان: 161/17-162.
(4) ينظر العبادة وآثارها النفسية والاجتماعية نظام الدين عبد الحميد: 54-69، مكتبة القدس – بغداد.

الصلاة تغرس في نفوس المصلين المقيمين لها بذور الأخلاق الفاضلة، وتنمي في أعماقهم أسباب التعارف والتعاون والتواد والتراحم، ولا فرق بينهم إلا بالتقوى.

ولصلاة الجماعة الدور الكبير في التعارف والتعاون، وكذلك صلاة الجمعة والعيدين.

3-الآثار الصحية:-

ليس هنالك دين اعتنى بالنظافة مثلما اعتنى بها الإسلام كما أن للوضوء تأثيراً نفسياً، فإن له تأثيراً فسيولوجياً فإن الاغتسال بالماء خمس مرات يومياً وعلى فترات معينة من العمل اليومي إنما يساعد على استرخاء العضلات، وتخفيف حدة التوتر النفسي والبدني. ولذلك أوصى ﷺ بالوضوء إذا غضب الإنسان، فإنه أوجب الوضوء للصلاة. فلا صلاة بدون وضوء. وإذا فقد الوضوء وجب التيمم بالصعيد الطاهر الطيب، ليكون موصول السبب بالوضوء.(1)

ومن فوائد الصلاة الصحية أيضاً هذه الحركات التي يشترك فيها جميع أعضاء الجسم من الرأس واليدين والرجلين والفقرات ومفاصل الجسم أثناء القيام والركوع والسجود والجلوس والاعتدال، إذ في كل حركة من هذه الحركات فائدة صحية.(2)

(والصلاة التي تربط الإنسان بخالقهِ، فإذا هو كائن عجيب لا يشبهه شيء من خلق الله كله. كائن يقف بجسمه على الأرض وروحه تسبح في السماء.. كائن قادر – في عجزه وطاقته المحدودة الفانية، أن يحطم السدود والحواجز وأن تنفسح جوانحه فيشمل الكون وأن تنفسح روحه فتشمل الحياة. وأن ينفسح كيانه فيتذوق الخلد ويتذوق حقيقة الوجود).(3)

فالصلاة هي المراقبة لله في كل عمل وكل فكرة وكل شعور،وهي الإحساس الدائم بالله في كل لحظة ؛فالصلاة والعبادة، وصلاة التهجد، وقراءة القرآن ومئات من المشاعر الخفية واللمسات اللطيفة، والخفقات، واللمحات والومضات. وفي النهاية يتدفق هذا الحب الواغل في الأعماق وكذلك في الصلاة في موضع السجود حيث الذي يحس فيه الفرد انه ساجد لله عز وجل وهو متجه بقلبه وروحه إلى خالق الوجود والكون وبها يتخلص الإنسان من الكثير من العقد النفسية والاضطرابات.(4)

حب أعمق من أن يصفه اللفظ، وألطف من أن يمسكه التعبير. سارب في النفس، مشع في الكون، لا تمسكه الألفاظ ولكنه على خفائه ذلك قوي جاهز مبين ! يعلمه صاحبه ويحسه في أعماقه، ولا يحتاج أن يعبر عنه بلفظ، فهو ممتلئ به لا يحس الفراغ الذي يحوج للتعبير. وهم على موائد الله وضيافته يفد المؤمنون إلى

---

(1) ينظر الإسلام وأمراض العصر جمال أبو العزائم :1 د .ت .
(2) ينظر العبادة وآثارها النفسية والاجتماعية: 54-69.
(3) منهج التربية الإسلامية: 65/1.
(4) ينظر الإعجاز الطبي في القرآن، د. السيد الجميلي 211-212، مط اشبيلية – بغداد.

مساجدهم في تلك الصورة الجليلة الخاشعة صفوفاً متراصة ينسون في موقفهم هذا جنسياتهم وأحسابهم ومراكزهم الدنيوية ويجمع بينهم ذلك الرباط الموحد الذي لا يهن ولا يضعف وهو رباط الإيمان بالله عز وجل، وذلك الحب، وهو قمة العبادة هو الكفيل بطاعة الله طاعة منبعثة من الرضا، لا من القهر والخوف من العقاب ... وهو الكفيل بالتطوع النبيل فوق ما تفرضه الضرورة وما يفرضه القانون. التطوع الذي يرتقي بالإنسانية إلى أعلى. ويحثها على التقدم إلى أمام فالإنسان المتعمق في الكون الفسيح وما تنساب إليه الدلائل والحقائق، يحس بانه مغمور بفيض الله عز وجل الذي يتصل به ويدعوه في اليوم خمس مرات.(1)

ولعل القرآن الكريم حين جعل الصلاة من أوصاف المتقين فقال: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ ﴾ .(2) أراد أن يبين السر في هذه التقوى التي هيمنت على سلوك المجتمع المسلم أفراداً وجماعات في كل حركة وسكون، مع القريب والبعيد.. مع العدو والصديق.. في بيته وعمله.. في تعامله الدولي ونظام مجتمعه الداخلي بدأ في كل هذا نورانياً رحيماً عادلاً مراقباً لله ناظراً إلى خالقه.. شاعراً باطلاعه عليه. والسر في هذا بعد الإيمان بالله هو إقامة الصلاة (ويقيمون) برهان على صورة التجمع والتعاون والتناسق في اقرار الصلاة ورفع مكانها في كل مكان(3). قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴾.(4)

المطلب الثاني: الزكاة

الزكاة هي التي تربط المسلمين برباط الحب والإخاء الصادق بين الغني والفقير، وتسمو بهما إلى ثواب الله، الذي أشترى به المال، وهي ثقة الغني أن صرف المال لله ينميه ولا ينقصه ﴿**ما نقص مال من صدقة**﴾.(5)

فتنقيه من الشح والأنانية تعوده البذل، بل حب البذل وتذوق طعم التضحية، كما تثبت العقيدة عملياً، وتشرح النفس برضوان الله وتنمي الضمير وترهفه، وتدرب على الطاعة.

---

(1) ينظر منهج التربية الإسلامية: 60/1، منهج القرآن في تربية المجتمع: 196.
(2) سورة البقرة الآيات: 1-3.
(3) ينظر منهج القرآن في تربية المجتمع: 191-192.
(4) سورة الحج الآية: 41.
(5) سنن الترمذي476/4 ، كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ ، باب التواضع وهذا حديث حسن صحيح.

والزكاة في الإسلام ضمان اجتماعي، يفرضها الدين وتنظمها الدولة الإسلامية، وتقام من أجلها الحروب استخلاصاً لحقوق الفقراء، وقد حذر الله تعالى من الامتناع عن أداء هذا الحق[1] بقوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾.[2] فهي تشريع يحفظ للفرد استقلاله وحريته في العمل والكسب، ويحفظ المجتمع حقه على الفرد في المعونة والتضامن، وبذلك يبرز المبدأ الإسلامي العام وهو تحميل الفرد من حقوق الجماعة، وتحميل الجماعة من حقوق الأفراد، وهي تعالج جانباً خطيراً إذا عرفنا أن هذه الزكاة تسد عدة جوانب في المجتمع الإسلامي.[3]

وللزكاة أثر نفسي كبير في بناء النفس، لما فيها من تذكر بمعاناة الفقراء وآلامهم، وهي تقوي الشعور بين المسلم وأخيه وكذلك شعور مستحقي الزكاة بالاطمئنان النفسي بأن مالهم من حق في أموال الأغنياء يصلهم سنوياً دون انقطاع أو تأخر فلا يخافون غائلة الفقر والحرمان، فهم في راحة نفسية كبيرة.[4]

والقرآن الكريم يربي المجتمع على هذا التجرد من حب المال يرسم خطة محكمة تحاصر النفس من كل جوانبها فإذا بها سخية لينة كريمة معطية.. تدفع وتبذل بكل ما تستطيع في السر والعلن ولا تخشى من ذي العرش إقلالاً.

وتتمثل حقوق الله في المال في أوامر الله تعالى في هذا المال، ولها جانبان:

جانب سلبي:- ويتمثل في تجنب الخبيث، وجانب إيجابي ويتمثل في فعل ما يرضي الله تعالى، كإيتاء الزكاة، والأنفاق في سبيل الله.[5]

وهي طهرة من الشح والبخل والأثرة وحب الذات والقسوة على المجتمع، وكذلك لها دورها الفعال بالانتماء الاجتماعي. قال تعالى: ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.[6]

---

(1) ينظر التصور الإسلامي للكون والحياة: 5130، شجرة الإسلام: 55-56.
(2) سورة التوبة:الآية: 34-35.
(3) ينظر الإسلام عقيدة وشريعة: 110، فقه العبادات: 111.
(4) ينظر العبادة وآثارها الاجتماعية والنفسية: 79-80.
(5) ينظر منهج القرآن في تربية المجتمع: 207، وفلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم: 132.
(6) سورة التوبة الآية :103.

خذ يا محمد من أموال هؤلاء الذين اعترفوا بذنوبهم فتابوا صدقة تطهرهم من دنس ذنوبهم، وتزكيهم بها، وتنميهم وترفعهم عن خسيس منازل أهل النفاق بها، إلى منازل أهل الإخلاص، وأدع لهم بالمغفرة لذنوبهم، فدعاءوك واستغفارك طمأنينة لهم بأن قد عفا عنهم، وتاب عليهم، والله سميع لدعائك إذا دعوت لهم، وذلك أن أخذ الصدقة منهم يرد إليهم شعورهم بعضويتهم الكاملة في الجماعة المسلمة، فهم يشاركون في واجباتها، وينهضون باعبائها، وفي تطوعهم بهذه الصدقات تطهير لهم وتزكية وفي دعاء الرسول ﷺ لهم طمأنينة وسكن[1].

والزكاة.. تطهير من شح النفس، وإطلاق للروح من الأثرة البغيضة التي تحس بوجودها وحدها ولا تحس بالآخرين. إنها إحساس بالأخوة النبيلة التي تجمع الأسرة البشرية الواحدة، فإذا كلها قريب من قريب، ولكل فرد فيها دور مهم مع الآخرين الأخوة التي تخرج بالإنسانية عن الشعور (بالملك) فيما يمتلك فليس هناك ملك خالص في الأسرة الواحدة، وإنما الناس شركاء في الخير، أصلاء في رزق الله العميم، وحتى الفقير لا يحس بيأس من هذه الحياة، إذا هو عاش في دوامة من الفقر فسوف يكون باله في أغلب الأحيان غير مستقر لما يعاني ويكابد، فإذا لم يدفع الأغنياء الزكاة إلى الفقراء، رأيت المجتمع تكثر فيه السرقة، فالباري عز وجل أراد لهذه النفس أن تكون ذات بناء جيد إذ هي طبقت منهج الله عز وجل الذي فيه يشرق القلب وينتفض من الأدران إلى الجوهر المشرق المستضيئ بنور الله، هنالك حيث أودعه الله ليتصل به ويلقاه.

وللزكاة أهداف نفسية؛ حيث خلق الله الإنسان وركب فيه جملة من الميول والرغبات والعواطف والأحاسيس، وهي تنفعل في المواطن والحالات التي يجب أن تنفعل فيها بوجه من الوجوه، فإذا ما استجاب لها صاحبها بوحي من أعماقه وجد برد الراحة يأخذ سبيله إلى نفسه ويشعر بالارتياح في وجدانه.

وكذلك في إخراج الزكاة تعويد النفس على الجود والسخاء وتوطينها على البذل والعطاء، وتخليصها من خصلة البخل والإمساك والأنانية وعبادة المال. [2]

إذن هذا البناء الذي قال عنه الرسول ﷺ بني الإسلام على خمس شهادة ان لا إله إلا الله وان محمد رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا[3].

فعلاً هو البناء النفسي الفريد للنفس الإنسانية إذا ما تمسكت به نجت وأفلحت، وكانت في مأمن من القلق والاضطرابات النفسية.

---

(1) ينظر جامع البيان: 16/11 ، في ظلال القران: 1707/3 – 1708 .
(2) ينظر منهج التربية الإسلامية: 1/65-66.
(3) سبق تخريجه في ص 172.

المطلب الثالث: الصيام

الصوم وهو المنهج الروحي الثاني، وهو مران متواصل شهراً كاملاً، لاستيعاب أهداف المجاهدة النفسية، فهو نقاء روحي، وإخلاص في العبادة، إذ لا تشوبها شائبة النفاق لذا فإن الصوم أختصه الله، وهو تدريب للإرادة على تحمل الصعاب، ابتغاء رضوان الله وتطويع النفس على كبح جماح الاعتداء والإساءة باللسان والجوارح، وهو هبوط إلى مستوى الفقراء ومشاركتهم حياة الحرمان، ليندفع الصائم بصدق إلى رفع الضر عنهم، لا الاتجار بهم، كما هو شأن الكثيرين !

وهو الصلة الدائمة مع الله عز وجل، وهو من دعائم هذا الدين، والفرائض التي بها يتم النظام فإن الإنسان مجبول على حب نفسه، فيما يعود عليها بالنفع الخاص، تاركاً ما وراء ذلك من حاجات الضعفاء والمساكين.[1]

والصوم هو الواحة التي يفد إليها المؤمنون فيرون فيها خضرة الإيمان، ونماء المعرفة وأنهار التقى والطهر، ويستنشقون عطر الرضا والسكينة ويعودون إلى ركب الحياة المضطرب يصلحون اعوجاجه، ويقومون اضطرابه ويتولون هم قيادته فيعيدون له الاستقرار ويذهبون عنه الخوف والقلق.

والصيام هو الامتناع عن الأكل والشرب، والملابسة الجنسية طول النهار – من الفجر إلى غروب الشمس – بقصد امتثال أمر الله. وقد فرضه الله على جميع القادرين عليه.[2]

ويعد الصيام من الدعائم المهمة للبناء النفسي فهو تربية شعورية، ففيه تهذيب للنفس وعلاج لكثير من أمراض النفس والجسم، فالإمساك عن الطعام والشراب من قبل الفجر إلى غروب الشمس في جميع أيام رمضان، إنما هو تدريب للإنسان على مقاومة شهواتهِ والسيطرة عليها ويؤدي ذلك إلى بث روح التقوى فيهِ.[3]

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾.[4]

ففي قوله تعالى بيان علة الصيام وهي تربية نفسية المؤمن وصدرت الآية بالنداء، وهو نداء من الحبيب للحبيب، وتنبيه من الحبيب للحبيب، وقال الحسن:- إذا سمعت الله يقول (يا أيها الذين آمنوا) فأرفع لها سمعك، فإنه لأمر تؤمر به، أو لنهي

(1) ينظر مدخل إلى التصور الإسلامي للكون والحياة: 128.
(2) منهج القرآن في تربية المجتمع: 215، الإسلام عقيدة وشريعة: 125.
(3) ينظر القرآن وعلم النفس: 264.
(4) سورة البقرة الآية: 183.

تنهى عنه، وقال جعفر الصادق لذة في النداء، أزال بها تعب العبادة والعناء، يشير إلى أن المحب يبادر إلى إمتثال أمر محبوبه، حتى لو أمر بإلقاء نفسه في النار.(1)

وحين يحس المؤمن أن كل خاطرة في نفسه، وكل إحساس في شعوره وكل لفتة، وكل نظرة وكل خالجة وكل سر، ينبغي أن تكون – في هذا الشهر خالصة – نظيفة متطهرة تصلح للصيام والتبتل، والتوجه الكامل إلى الله.. حينئذ تملأ التقوى القلب وتنطلق الروح إلى آفاق عالية من النور المشرق الوضئ.

إنها التقوى لله غاية الصيام.. التقوى التي تنشأ من الطاعة. الطاعة التي تتطوع بالامتناع عن شهوات النفس وشهوات الجسد، في حين تملك ألاّ تمتنع ولا تطيع ! أي بناء نفسي فريد الذي بناه القرآن الكريم لهذه النفس.(2)

وإن الإنسان عندما ينوي الصوم يعرف أنه يقبل على الله بهذه الطاعة التي هي سر خفي بينه وبين ومولاه فيظل نهاره خاشعاً موصول القلب بالله سبحانه وتعالى، فيبتعد عن كل ما يفسد عليه صومه ويقطع عنه طاعته ويدعو إلى سخط الله عليه وغضبه، ويقبل بنفس واعية تلمس أسباب الخير المفضية إلى رضائه وثوابه الجزيل.

فإذا استنجد به مستنجد ذهب لنجدته، وإذا طلب منه شخص عونه سارع الى تقديمه مادياً كان أو معنوياً، وإذا وجد ما يكرهه صبر واحتسب، وإذا وجد ما يسره شكر الله فتقرب، وهذا دليل على امتلاء النفس بالرضا والطمأنينة.(3)

(ومن الفوائد النفسية للصيام أنه يشعر الغني بآلام الجوع ويبعث في نفسه عواطف الرحمة والشفقة على الفقراء والمساكين، فيدفعه ذلك إلى البر بهم والإحسان إليهم مما يقوي في المجتمع روح التعاون والتضامن والتكافل الاجتماعي).(4)

وللصوم فوائد صحية فهو يعالج:-

1- اضطرابات الأمعاء المزمنة المصحوبة بتخمر في المواد الزلالية والنشوية.
2- زيادة الوزن الناشئ عن كثرة الأكل وقلة الحركة.
3- زيادة الضغط.
4- البول السكري.
5- أمراض القلب.
6- التهاب المفاصل.
7- بعض أمراض الجلد.

---

(1) ينظر تنوير الأذهان: 2/128-130.
(2) ينظر منهج التربية الإسلامية: 1/65.
(3) ينظر العبادة وآثارها النفسية والاجتماعية: 88.
(4) القرآن وعلم النفس:- 265

8- علاج اضطرابات الهضم واضطراب الأمعاء.
9- التهاب الكلى الحاد.

إذن هو بناء طبي فضلاً عن كونه بناءً نفسياً، فالباري عز وجل يريد لعباده المؤمنين أن يكونوا من أقوى الناس في جميع المجالات والأصعدة.[1]

فلقد أعتنى الإسلام بالشخصية الإنسانية ونشأتها، فأرادها تنشأ سوية في كل مراحل حياتها، ولاشك أن الإنسان المسلم لو سار وفق الآداب الإسلامية، وكان قلبه يتقلب في شريعة الله تعالى حيث تقلب، يحبها ويفديها بنفسه وماله واهله، يراعي أمر الله تعالى، وينسجم معه في كل شؤون حياته، وكأن شرع الله واحكامه هواه المتبع الذي يملي عليه أن يفعل، ويمنعه مما يخالف هواه، يسير وفق ما يحب الشرع ويرضاه، لو كان كذلك لما شعر بأي مرض نفسي من قلق أو أرق أو اضطراب.[2]

المطلب الرابع: الحج

الحج هو استقطاب الحجيج من آفاق الأرض في بيت الله، في مؤتمر رباني يلبي خالقه، ويعاهده ويتضرع إليه في أخشع لحظات العمر – يوم عرفة، وعند الكعبة – بيت الله – وفي شعاب مكة مهد الإسلام الأول، ورحاب المدينة المنورة عاصمة الإسلام الأولى، ودار الهجرة، وتأدية المناسك التي تهز المشاعر هزاً، وتنقل الجميع إلى رحاب رضوان الله وعفوه ومباهاته الملائكة بحجيجه، والصلاة في المسجدين الحرام والنبوي، والسلام على نبي الهدى ﷺ، وهو معراج الروح الى الله عز وجل ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾.[3]

وهو مشهد الملايين متجردين من كل شيء إلا بما يشبه الكفن، وهي تضج بالدعاء لله عز وجل، ونحن أمام فريضة جمعت مبادئ التربية كلها، وهي كفيلة بما تحمله من معاني الخير والطهر أن تعيد للإنسان إنسانيته فيعود إلى دياره كما خلقه الله نقاء في الفطرة وإشراقاً في السريرة، وإخلاصاً يملأ عليه حياته ويدفعه إلى بذل نفسه وماله في سبيل إسعاد أمته وإخوانه.

وللحج فوائد نفسية عظيمة، فزيارة بيت الله الحرام، له الأثر الكبير في النفس وزيارة أماكن البطولات والمعارك يترك في المسلم انطباعاً نفسياً جميلاً له الأثر البالغ في بناء النفس،وفي الحج تهذيب للنفس على التواضع والألفة في ارتداء هذه الملابس المتواضعة حيث لاحاكم ولا محكوم، كلهم سواسية في ميزان الله عز وجل،

---

(1) ينظر العبادة وآثارها النفسية والاجتماعية: 91، الإعجاز الطبي في القرآن: 214.
(2) ينظر الإعجاز العلمي في السنة النبوية د. صالح أحمد رضا: 1308/2، مكتبة العبيكات، ط1، 1421هـ-2001م.
(3) سورة الذاريات الآية: 50.

وهو أيضاً جهاد للنفس على تحمل الآلام و الجهد والتعب وعدم الخصام ومباشرة النساء[1].

قال تعالى: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾.[2]

ففي الحج يصير محرماً عليه الأمور المحظورة عليه فلا جماع، ولا فحش من الكلام، ولا خروج عن حدود الشرع بارتكاب المحظورات، من السباب والتنابز بالألقاب، ولا خصام مع الخدم والرفقة.

ولا جدال في الحج حيث كانوا يقفون مواقف مختلفة يتجادلون كلهم يدعي أن موقفه موقف إبراهيم عليه السلام، فقطعه الله حين أعلم نبيه بمناسكهم[3].

والله عز وجل عندما يجمع الناس في هذا الموقف فيه أثر نفسي بالغ وتربوي دقيق هو أن الجماعة والوحدة هي أساس هذا الدين قال تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾.[4]

يأمر الله إبراهيم عليه السلام إذا فرغ من إقامته الأساس الذي كلف به، أن يؤذن في الناس بالحج، وأن يدعوهم إلى بيت الله الحرام، ووعده أن يلبي الناس دعوته فيتقاطرون على البيت من كل فج، رجالاً يسعون على أقدامهم وركوباً، وعلى كل ضامر جهده السير فضجر من الجهد والجوع.

وما يزال وعد الله يتحقق منذ إبراهيم عليه السلام إلى اليوم والغد، وما تزال أفئدة من الناس تهوى الى البيت الحرام وترف إلى رؤيته والطواف به..الغني القادر الذي يجد الظهر يركبه ووسيلة الركوب المختلفة تنقله؛ والفقير المعدم الذي لا يجد إلا قدميه، وعشرات من هؤلاء يتقاطرون من فجاج الأرض البعيدة تلبية لدعوة الله التي إذن بها إبراهيم عليه السلام منذ آلاف الأعوام، فهم يؤتون على ضوامر الإبل، وهم يحضرون من بلاد نائية وسفر بعيد إذعاناً للدعوة وإجابة لأمر الله قياماً بما أفترض عليهم،حيث

---

(1) ينظر مدخل إلى التصور الإسلامي للكون والحياة:130، منهج القرآن في تربية المجتمع: 222.
(2) سورة البقرة الآية: 197.
(3) ينظر روح المعاني: 1/85-86، الدر المنثور: 1/530.
(4) سورة الحج الآيات: 27.

يودعون الأحقاد والخلافات ويقبلون على الله عز وجل تحت صعيد واحد وكلمة واحدة وتلبية واحدة ولسان حالهم يقول (لبيك اللهم لبيك *لبيك لا شريك لك لبيك).[1]

والذين يذهبون إلى الحج صافية قلوبهم لهذه الفريضة، يحكون عجباً ويحسون عجباً.

إن حالات (الوجد) التي تستجيشها في وجدانهم من زيارة الأماكن المقدسة وأداء الفريضة فيها لهي حالات عجيبة نادرة المثال في واقع الحياة.

حالات ترتفع فيها النفوس عن ملابسات الأرض، ومطامع الأرض، وشهوات الأرض، وتتجرد لله خالصة، تتوجه إليه أن يتقبلها في عباده، ويمنحها مغفرته ورضوانه.

والشفافية التي يحسها الناس هناك، وهم يسيرون حيث سار الرسول صلوات الله عليه ويصلون حيث صلى وحيث تنزل عليه الوحي، وحيث جاهد وصبر، وحارب وانتصر.

ففي هذه الأجواء ترتفع النفس بأجواء نفسية فريدة يحلق بها المسلم في أجواء جميلة، فهي الصلة الدائمة المستمرة بالله عز وجل.[2]

(فشعائر الحج تؤثر في مشاعر الحاج وسلوكه أيما تأثير، فترق نفسه وتسمو أحاسيسه، وتعمل دواعي الإيمان في قلبه وتسوقه نحو الفضائل، وينشط سائق الهدى في أعماقه فيبعده عن الرذائل ويكون موصول السبب برقابة الله عليه في غالب أحواله، فإذا ما زينت له نفسه الاقتراب من سيئة من السيئات همزته هذه الرقابة وذكرته بعقاب الله، فتخنس فيه وساوس الشيطان، وحل محله دوافع الهدى السالكة به الى ما فيه رضى الرحمان).[3]

---

(1) ينظر في ظلال القرآن: 2418/4، التفسير الفريد للقرآن المجيد: 2040/3.
(2) ينظر منهج التربية الإسلامية: 66/1.
(3) العبادة وآثارها النفسية والاجتماعية: 98.

المبحث الخامس

حساب النفس واليقظة الدائمة.

حساب النفس

مادام أمامنا حساب، فلابد من حساب مسبق، نبادر به أنفسنا- وتلك بديهة، أما حساب الله فأدق وأشمل واعدل واكمل من حسابنا ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٍ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾،[1] وللقرآن الكريم مع الحساب أروع صور لتنفذ إلى أعماق الضمير ﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾،[2] أما حساب الإنسان نفسه فهو انطلاقاً من هول المطلع، فان الإنسان ليفزع إلى نفسه ليحاسبها والى روحه ليقدم غذاءها الروحي الموصول بربه اشفاقاً على نفسه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا ﴾،[3] فهنا ينبعث دافع المحاسبة لدى المسلم- إذ هو مسؤول عن كرامة نفسه ومكانتها في الدنيا، ومسؤول عن مصيرها في الأخرى.

أما وسيلة المحاسبة؛ فمعرفة النفس- معرفة خصائصها الفطرية، لأن المعرفة مفتاح التوجيه السلوكي ومفتاح التكيف العلمي السليم. والتوجيه من غير علم خبط عشواء، والتوجيه عن علم لهو كبد الصواب.

أما ميزان صلاح النفس- فهو حب الله وحب ما يصدر عن الله ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾،[4] أما قواعد الحساب فهي ان تشغل عن نقد غيرك باصلاح ما تراه في نفسك من عيوبهم ﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ ﴾.[5]

---

(1) سورة البقرة الآية: 281.
(2) سورة الأنبياء الآية: 47.
(3) سورة التحريم الآية: 6.
(4) سورة الأنفال الآية: 2.
(5) سورة البقرة الآية: 44.

أما اليقظة الدائمة فهي ملازمة النفس والمحاسبة رقابة لدوافع السلوك وللنتائج وهي دائماً تستلزم يقظة مستديمة وانتباهاً وحذراً لتنفيذ أهدافها، إذ لا محاسبة مع غفلة، والله تعالى ينبه رسوله الحكيم إلى اليقظة الدائمة[1]﴿ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾.[2]

(1) ينظر مدخل إلى التصور الإسلامي: 135-139.
(2) سورة الأعراف الآية: 205.

المطلب الأول:- الصبر

الصبر وذكر الله عز وجل، والتوبة والاستغفار لمسات وإشارات خفية تساعد النفس الإنسانية على بناء شخصيتها، لأن كل أمر من هذه الأمور الأربعة عامل نفسي يبني النفس، حيث الصبر على نكبات الدهر ومصائبه يعلم النفس التهذيب والتربية، ولهج الناس بذكر الله عز وجل لا يجعل للشيطان مكاناً في قلب الذاكر، وتبقى التوبة التي هي الشعور الحسي الفياض الذي طالما لمسه المؤمن إذا ما أرتكب ذنباً أو معصية، فيجد أن له رباً يتوب عليه فتجد نفسه اطمأنت وسكنت، لما تعلم من الله عز وجل يغفر الذنوب جميعا، والاستغفار الذي يزول به الهم والحزن وتحقق السكينة النفسية والرضا.

وسوف نقوم بدراسة هذه الألفاظ بشيء من الاختصار:-

1- الصبر:- الصبر في اللغة:- الحبس والكف، ومنه: قيل فلان صبراً، إذا أمسك وحبس[1]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ .[2]

أما في الاصطلاح : فهو حبس النفس عن الجزع والسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش، ويكون الصبر على حقيقته،إذا حبس العبد نفسه ووفقها مع سنن الله وآياته في نفسه وفي الآفاق، ومع نعم الله عليه، ومع أسماء الله وصفاته وآثارها، وما تقتضيه من هدي الفطرة ونورها، ومع رسله ورسالاته، فعندئذ يذوق حلاوة الصبر، ولذلك قرنه الله مع الصدق والشكر في كثير من المواضع[3]، كما في قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾.[4]

الصبر مفتاح الفرج، ولا يفيد مع المصيبة الجزع، بل يجب أن يكون رائد المصاب بمصيبة الصبر والصلاة قال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ .[5]

---

(1) لسان العرب مادة صبر: 438/4.
(2) سورة الكهف الآية: 28.
(3) ينظر مدارج السالكين: 162/2-163 .
(4) سورة إبراهيم الآية: 5.
(5) سورة البقرة الآية: 45.

أمر الله عبيده فيما يؤملون من خير الدنيا بالاستعانة بالصبر والصلاة، وأعلموا أنها من طاعة الله، والصلاة أكبر العون على الثبات في الأمر.

وأنها جلاء القلوب والأرواح، واستعينوا بهما أيضاً على أنفسكم الأمارة بالسوء، وإن الصلاة لشاقة صعبة الاحتمال إلا على المخبتين لله الخائفين من شديد نقمته وعذابه وإنما تثقل عليهم لأنهم مستغرقون في مناجاة ربهم فلا يشعرون بشيء غيره.[1]

(1) ينظر تفسير القرآن العظيم: 128/1-129، التفسير الفريد: 41/1.

والصبر على ثلاثة أنواع:-
1- صبر على طاعة الله.
2- وصبر على معصية الله.
3- وصبر على امتحان الله.

فالأول والثاني صبر على ما يُتعلق بالكسب، والثالث:- صبر على ما لا كسب للعبد فيه.

فالأول:- أن يكون الباعث له هو الاستعانة به، ورؤيته أنه هو المصبر، وأن صبر العبد بربه لا بنفسه ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴾.[1]

والثاني: وهو أن يكون الصبر الباعث له محبة الله، وإرادة وجهه والتقرب إليه.

والثالث:- وهو دوران العبد مع مراد الله الديني منه، ومع أحكامه الدينية، وهو أن يكون صابراً مع الله، أي قد جعل نفسه وقفاً على أوامره ومحارمه، فهو لذلك يكون في راحة نفسية كبيرة تزوده بالأمل الكبير في هذه الحياة[2].

وفي آية أخرى خص الصابرين بأنه معهم في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾.[3]

وفي هذه الآية خص الله عز وجل الصابرين، وأرشدهم إلى الاستعانة بالصبر والصلاة على القيام بطاعتي، وأداء فرائضي في ناسخ أحكامي، فالصبر على المكاره تدركون مرضاتي، فإني مع الصابرين على القيام بأداء فرائضي وترك معاصيّ، أنصرهم وأرعاهم وأكلؤهم حتى يظفروا بما طلبوا، فالعبد أما أن يكون في نعمة فيشكر عليها، أو في نقمة فيصبر عليها، والله عز وجل يجازيه على الصبر على المصائب.[4]

والذين آمنوا دائماً يتواصون بالصبر والرحمة قال تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ﴾.[5]

---

(1) سورة النحل الآية:127 .
(2) ينظر مدارج السالكين 162/2-163.
(3) سورة البقرة الآية: 153.
(4) ينظر جامع البيان: 382/2، تفسير القرآن العظيم: 285/1.
(5) سورة البلد الآية: 17.

فالصبر هو العنصر الضروري للإيمان بصفة عامة ولاقتحام العقبة بصفة خاصة والتواصي به يقرر درجة وراء درجة الصبر ذاته، درجة تماسك الجماعة المؤمنة وتواصيها على معنى الصبر، وتعاونها على تكاليف الإيمان،فهي أعضاء متجاوبة الحس، تشعر شعوراً واحداً بمشقة الجهاد لتحقيق الإيمان في الأرض، وحمل تكاليفه فيوصي بعضها بعضا بالصبر على العبء المشترك، ويثبت بعضها بعضا فلا تتخاذل، ويقوي بعضها بعضا فلا تنهزم، وهذا أمر غير الصبر الفردي، وأن يكون قائماً عن الصبر الفردي، وهو إيحاء بواجب المؤمن في الجماعة المؤمنة، وهو إلا يكون عنصر تخذيل بل عنصر تثبيت، ولا يكون داعية هزيمة بل داعية أقتحام، ولايكون مثار جزع بل محيط طمأنينة.(1)

والباري عز وجل، يمحص رجال هذه الدعوة بالصبر على المحن، والصبر في الجهاد لهو أمر عظيم يتبين فيه قوة النفس على الصبر كما قال تعالى: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ﴾.(2)

وبالله لنبلونكم ونعاملنكم معاملة المختبر بأمركم بالجهاد في سبيل الله وغيره، حتى نعلم ويعلم الكل حقيقة حالكم، وحتى يتميز للجميع المجاهدون الصابرون من المنافقين الكاذبين، والله يعلم السرائر وما تخفي الصدور.(3)وفي قوله تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِ ﴾.(4)

فالصبر في القتال شريطة النصر، والجزع مغبة الهزيمة، فإذا تعلم الإنسان الصبر على تحمل المشاق، ومصائب الدهر، والصبر على أذى الناس وعداوتهم، والصبر على عبادة الله وطاعته، وعلى مقاومة شهواته وانفعالاته، والصبر على العمل والإنتاج، فإنه يصبح إنساناً ذا شخصية ناضجة متزنة متكاملة منتجة فعالة، ويصبح عصياً على القلق، وفي مأمن من الاضطرابات النفسية. وبذلك يصبح المؤمن قادراً على تحقيق أهدافه العلمية والعملية، ويمكن من تحقيق أهدافه العظيمة والعالية، فالمؤمن الصابر لا يجزع لما يلحق به من أذى ولا يضعف ولا ينهار، إذا ألمت به مصائب الدهر وكوارثه، فقد وصاه ربه بالصبر، وعلمه أن ما يصيبه في الحياة الدنيا إنما هو إبتلاء ليعلم الصابرين منا، وقدم الباري عز وجل في آياته عوامل نفسية لها

---

(1) ينظر في ظلال القرآن: 3913/6.
(2) سورة محمد الآية: 31.
(3) التفسير الواضح: 32/23، التفسير الفريد للقرآن المجيد: 2896/4.
(4) سورة الأنفال الآية :65 .

الأثر البالغ في البناء ونبه المؤمن أنه سيلاقي من الأذى ما يلاقي فعليه الصبر والثبات [1].

قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) ﴾ [2].

وقال عز وجل: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [3].

ومن الوهم الذي قد يقع فيه الفرد المسلم أو الجماعة المسلمة أن مدافعة المصائب تناقض الصبر، وهذا وهم غير صحيح لأن حقيقة الصبر هي:-

أن تثبت حيث أمرك الشرع بالثبات وأنت تقوم بما أمر الله بفعله أو أباحه لك.

والشرع أمرك بدفع ما يؤذيك، وبدفع ما يستحق الدفع والإزالة شرعاً،وإن كان الجميع بقدر الله تعالى فالمصيبة التي يمكن رفعها ودفعها بإزالة أسبابها أو بعمل ما يدفعها، من الأمور المشروعة غير الممنوعة، وعلى الفرد المسلم والجماعة المسلمة والأمة كلها أن يباشروا جميعاً باتخاذ الأسباب المشروعة لإزالة ما حلَّ فيهم من نكبات ومصائب، وأن يصبروا على ذلك بثبات وصبر والله تعالى دائماً مع الصابرين[4].

وللإسلام قيمه الثابتة في الأخذ بيد الإنسانية، ايا كانت هويتها إلى شاطئ الامان، والسمو بها إلى اعلى مستوى تدركه طاقات الدعاة، وامكانات الدولة الإسلامية، إذ المسلمون جهود دفاقة للعمل والبناء يشحنهم صبر وإيمان ملتهب لا يهدأ ولا يخبو، وهم أبداً القادة لركب الحياة وهم الاسياد بفكرهم المسلم وصدق انتسابهم إلى الله عز وجل[5].

المطلب الثاني: ذكر الله عز وجل

---

(1) ينظر القرآن وعلم النفس: 269-270.
(2) سورة البقرة: 155-157.
(3) سورة آل عمران: 186.
(4) ينظر السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية: 217.
(5) ينظر مدخل إلى التصور الإسلامي للإنسان والحياة: 20.

ذكر الله عز وجل المحرك الدائم للمؤمن في يومه، فقد رتب له الباري عز وجل، أن يذكره من الصباح وحتى العشاء في الصلوات الخمس فهي ذكر لله عز وجل، فمن أين يأتي للنفس القلق النفسي إذا كانت هي متصلة برب العالمين الذي هو في رعايته وحمايته من الصباح وحتى العشاء.

وبهذا الذكر تطمئن القلوب ولا تضطرب، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ .[1]

فالذكر يؤدي الى تزكية النفس وصفائها، فالقلوب تسكن وتستأنس بذكر الله، إلا بذكر الله تستأنس قلوب المؤمنين.

والله عز وجل يقرر أنه يقضي بالهدى لمن ينيب إليه، فيدل هذا على أنه إنما يضل من لا ينيب ومن لا يستجيب ولا يضل منيباً ولا مستجيباً، لأن ذكر الله عز وجل هو الذي تطمئن إليه النفوس.[2]

وجاء الأمر به مطلقاً ومقيداً في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾ ﴾ .[3]

وفي قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾ .[4]

والقرآن ذكر وخلود للمسلمين، هذا وان قراءة القرآن الكريم واستيعاب معانيه وحفظه والعمل به والخشوع الكامل هو الغذاء الكامل للروح والنشاط الكامل للنفس، فهو الحياة في أنشط حالاتها ﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡ ﴾.[5]

والذكر في اللغة: الصيت والثناء والمسموع الحسن الجميل، والمعنى في القرآن الكريم ينبه إلى ذكر الله فاعرفوا له ذلك[1] قال تعالى: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴾.[2]

---

(1) سورة الرعد الآية: 28.
(2) ينظر جامع البيان: 145/13، في ظلال القرآن: 2072/4.
(3) سورة الأحزاب الآيات: 41-43.
(4) سورة الأعراف الآية: 205.
(5) سورة الأنبياء الآية: 10.

والذكر منشور الولاية، الذي من أعطيه أتصل، ومن منعه عزل، وهو قوت قلوب القوم، الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبوراً، وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بوراً، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق، ودواء أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب.[3]

وقد جاء الأمر به في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.[4]

وإما النهي عن ضده: فكقوله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾.[5]

وقوله ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.[6]

ومن شاء أن يسكن رياض الجنة في الدنيا، فليستوطن مجالس الذكر؛ فإنها رياض الجنة،عن جابر ﷺ، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ، فقال (يا أيها الناس، ارتعوا في رياض الجنة قلنا: يا رسول الله، وما رياض الجنة ؟ قال (مجالس الذكر)..الحديث).[7]

إذن في هذه المواطن منافع روحية وعقلية وبدنية ونفسية للمؤمن، فكلما كانت تيارات نفسه موجهة نحو ميزان العمل الإسلامي رقت وتقدمت في هذه الرياض[8].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له: حمدان، فقال:(سيروا هذا حمدان، سبق المفرِّدون، قيل: وما المفرِّدون يا رسول الله؟ قال، الذاكرون الله كثيراً والذاكرات)[9].

---

(1) ينظر لسان العرب 165/8، والفائق 13/2. وينظر مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: 223، دار الكتاب العربي.
(2) سورة ص الآية: 1.
(3) ينظر مدارج السالكين: 440/2.
(4) سورة الأحزاب الآية: 41-42.
(5) سورة الأعراف الآية: 204.
(6) سورة الحشر الآية: 19.
(7) مسند أحمد: 150/3.
(8) ينظر علم النفس القرآني والتهذيب الوجداني: 224.
(9) صحيح مسلم 2062/4، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب الحث على ذكر الله.

وعن معاذ بن جبل، قال سألت رسول الله ﷺ: أي الإعمال أحب إلى الله ؟ قال: ﴿أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله عز وجل﴾.[1]

والذكر: هو التخلص من الغفلة والنسيان، والفرق بين الغفلة والنسيان: أن (الغفلة) ترك باختيار الغافل، والنسيان ترك بغير اختياره.[2]

والذكر نوعان:-

الأول:- ذكر أسماء الرب – تبارك وتعالى – وصفاته، والثناء عليه بهما، وتنزيهه وتقديسه عما لا يليق به تبارك وتعالى.

الثاني:- ذكر أمره ونهيه وأحكامه.

ومن ذكره سبحانه: ذكره بآلائه، وإنعامه، وإحسانه ومواقع فضله على عبيده، وهو أيضاً من أجِّل أنواع الذكر.

ومن علو الهمة في الذكر الخلاص من القيود، والبقاء مع الشهود، ولزوم المسامرة

أما الخلاص من القيود: فهو التخلص من الغفلة والنسيان، والحجُبُ الحائلة بين القلب وبين الرب سبحانه.

والبقاء مع الشهود:- ملازمة الحضور مع المذكور، ومشاهدة القلب له، حتى كأنه يراه.

ولزوم المسامرة: هي لزوم مناجاة القلب لربه؛ تملقاً تارة وتضرعاً تارة، وثناءً تارة، واستعظاماً تارة، وغير ذلك من أنواع المناجاة بالسر والقلب، وهذا شأن كل محب وحبيبه.[3]

ومن نتائج الأعراض عن ذكر الله عز وجل: في الدنيا:-

أولاً- نتائجه على العاملين:-

1- **علة البدن:-** إن الأثر الأول الذي يتركه الإسراف إنّما يكمن في علة البدن، ذلك أن هذا البدن محكوم بطائفة من السنن والقوانين، والقوانين الإلهية، بحيث إذا تجاوزها الإنسان بالزيادة أو بالنقص تطرقت إليه العلة في الإعراض عن ذكر الله، وحين تتطرق العلة إليه، فإنه يقعد بالمسلم عن القيام بالواجبات، والمسؤوليات الملقاة على عاتقه، أو المرتبطة به.

2- **قسوة القلب:-** الأثر الثاني الذي يترتب عن الأعراض عن ذكر الله عز وجل، ذلك أن هذا القلب يرق، ويلين بالجوع، أو بقلة الغذاء، وحين يقسو القلب، أو يجحد، فإن صاحبه ينقطع عن البر والطاعات، والويل كل الويل

---

(1) مسند أحمد: 16/6، اسناده صحيح، مسند احمد، تحقيق شعيب الارنؤوط: 226/29.
(2) ينظر مدارج السالكين: 451/2.
(3) ينظر علو الهمة في إصلاح الأمة: 76/3-77.

لمن كانت هذه حالته ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ .[1]

3- **خمول الفكر**:- ذلك أن خمول الفكر ونشاطه مرتبط بعدة عوامل، ويوم أن يصاب الفكر بالخمول يوم أن يحرم المسلم الفقه والحكمة، وحينئذ يفقد أخص الخصائص التي تميزه عن باقي المخلوقات.

4- **تحريك دواعي الشر والإثم:-** لأن الإعراض يولد في النفس طاقة ضخمة، ووجود هذه الطاقة من شأنه أن يحرك الغرائز الساكنة، أو الكامنة في هذه النفس، ولعل ذلك هو السر في تأكيد الإسلام على الصوم لمن لم يكن قادراً على مؤن النكاح.

ومنها الانهيار في ساعات المحن والشدائد، وعدم الرعاية أو الاهتمام بالآخرين، وأما آثاره على العمل الإسلامي، فسهولة القضاء عليه، أو على الأقل تأخيره إلى الوراء عشرات السنين، نظراً لأن السلاح الوحيد الذي يواجه به أعداء الله هو الإيمان بالله عز وجل وذكره في كل حال.[2]

ويبقى السؤال ما أسباب الأمراض النفسية التي تؤدي إلى حدوث هذه الأمراض؟ لبيان ذلك سوف نقوم بجولة مختصرة لبيان هذه الأمراض ونحصرها في ستة أمراض:- قبل الشروع في بيان هذه الأمراض يمكننا أن نقول إن أكثر الأمراض انتشاراً في عالمنا الذي نعيشه هذه الأيام هي الأمراض النفسية فثلثا الأسِرة في المستشفيات – في عالم الغرب غير المسلم – مخصصة لهذه الأمراض النفسية، وثلثها الباقي لسائر الأمراض العضوية، إن هذه الحال التي عليها الغرب، وقلة الأمراض النفسية في عالم المسلمين، ليحتاج إلى وقفة متأنية منا فاحصة لهذه الأمراض نستبين من خلالها السبب الرئيس الذي أبعد عالمنا الإسلامي شبح النفس المريضة المتهافتة التي لا تقوى على مجابهة أي حدث من الأحداث اليومية التي تقابلها في كل لحظة من لحظات حياتها، وقد أجمل رسول الله ﷺ هذا السبب في صيغة تعجيبية جميلة فعن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ﴿عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير – وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن – إن اصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له﴾.[3]

---

(1) سورة الزمر الآية: 22.
(2) ينظر آفات على الطريق، د. السيد محمد نوح: 48/1، دار الفرقان، ط1، 1413هـ- 1993م.
(3) مسند أحمد 16/6، اسناده صحيح على شرط مسلم، مسند احمد، تحقيق شعيب الارنؤوط: 351/39.

فيمكن أن نستخلص أسباب الأمراض النفسية التي تصيب الإنسان وهي:-

السبب الأول: ضعف الإيمان.

فالمؤمن الواثق أن ما ينزل به من أمور هي من قضاء الله وقدره، والعبد المؤمن برزقه، المتوكل على الله عز وجل، وأثر نجاحه وفشله هو بسعيه، فهذا لا يصيبه المرض النفسي ولا يتطرق إليه، لأن الإيمان ومحله القلب-هو المحطة الأساسية التي تقف عندها أول ما نقف في كل شؤوننا في كل اتجاهاتنا فإذا قوي الإيمان قويت النفس وعزَّت وأبدت تفهمها لمجريات الحياة، وإن ضعف الإيمان ضعفت النفس وهزلت وأصبحت مكاناً موبوء للمرض النفسي، وفوجئت بأي طارئ في الحياة.

السبب الثاني:- إهمال التربية على الصفات الحميدة.

فبين الله تعالى أن النفس الإنسانية خيوط تربطها بالتقوى والصلاح وأخرى تربطها بالفجور والطغيان، ويبقى على الإنسان أن يطهر نفسه من الصفات الذميمة ويقوي فيها الصفات الطيبة فيفلح وينجح بعد ذلك.

السبب الثالث:- الظلم:-

فالظلم بالنسبة للظالم مرض، فإن الإنسان لا يقوم بظلم غيره، أو يتسبب في ظلم أحد من الناس إلا لمرض داخلي ينتابه، إذ لو كان سوياً لما أقدم على ظلم غيره.

والظلم وضع الشيء في غير موضعهِ الشرعي، وصاحب الإيمان الضعيف قد يكبت هذا الظلم في نفسه ليتفاعل مع ما فيها من رغبة في الانتقام، أو حق على المجتمع، وما أشبه ذلك من الأمراض.

فدفع الظلم عن المجتمع الإسلامي، ورفعه عن تعاملهم فيما بينهم طاعة لله تعالى، واذعاناً لأوامره، واتباعاً لسنة المصطفى ﷺ يبعد عن المجتمع سبباً كبيراً من أسباب الأمراض النفسية، سبق الرسول ﷺ كلها في التنبيه إليه والإبعاد عنه، فجزاه الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته.

السبب الرابع:- شعوره بالفقر:

وطلبه المزيد؛ فمن الأسباب التي تورث أمراضاً نفسية وعقداً راسخة في النفس الإنسانية ما يقع في هذه الحياة الدنيا من مصائب تصيب أفراداً، أو جماعات بخسائر فادحة في المال، أو الجسد أو الأهل أو الأولاد وكذا الأمراض التي يقع فيها الإنسان أو أحد أفراد أسرته فيتقلب في الألم ويتلوى من شدته، مما يكون له الأثر الكبير في نفسه. ولاشك أن استحضار الإيمان بالله وأنه خالق كل شيء، وبيده ملكوت كل شيء، وأنه فعال لما يريد وأن الصابر على البلاء له أجر كبير، وأن الإيمان بالقضاء والقدر أصل أصيل في الإيمان يرجع إليه الإنسان في كل ما يجري عليه من أمور الدنيا.

السبب الخامس:- الفراغ:

حيث لا يكون عند الإنسان أي عمل يقوم به ويشغل به نفسه فتمضي النفس الإنسانية في شتى مناحي الفكر في أحلام اليقظة، ويكون للشر مجال واسع في فراغ الإنسان وعدم وجود شغل يشغل به هذا الفراغ.[1]

فالنفس الإنسانية تكون سليمة من الأمراض النفسية من خلال:-

1- الخلو من الانحراف- قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾.[2]

2- تحقيق التوازن- قوله تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾.[3]

3- تحقيق التوافق- قوله تعالى: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴾.[4]

4- تحصيل السعادة- قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾.[5]

5- تحقيق الذات- قوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾.[6]

6- حسن الخلق- قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.[7]

---

(1) ينظر الإعجاز العلمي في السنة النبوية: 1336-1373.
(2) سورة الشمس الآيات:9-10 .
(3) سورة القصص الآية : 77 .
(4) سورة الإسراء الآية :84 .
(5) سورة الضحى الآية :11 .
(6) سورة هود الآية : 61.
(7) سورة الأنعام الآية :68.

7- والتاريخ الإسلامي حافل بنماذج إنسانية عظيمة كانت في صحة نفسية، وتحملت العذاب في الدنيا في سبيل السعادة في الآخرة، فأقبلوا على الموت فرحين مستبشرين.

فهؤلاء وجدوا في تحقيق ذاتهم في عمل يرضي الله عز وجل فأخلصت وصدقت وصبرت واحتسبت، فرضي الله عنهم، ورضوا عنه، وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا، فسعدوا في الدنيا والآخرة.[1]

---

(1) ينظر مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية السنة الخامسة، تعريفات الصحة النفسية في الإسلام د. كمال إبراهيم مرسي العدد الثاني عشر، 220-258، 1409هـ-1988م.

والباري عز وجل يذكر من يذكره، فالذي يذكر الله عز وجل فسوف يملأ الله قلبه نوراً ونوراً في سمعه، وتكون المجازاة بالثواب، قال تعالى: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾.[1]

إن الله كلفنا في هذه الآية بأمرين:- الذكر، والفكر، أما الذكر فقد يكون باللسان أن يحمدوه ويسبحوه ويمجدوه ويقرؤا كتابه، اذكروني بطاعتي أذكركم برحمتي، واذكروني بالثناء والطاعة، أذكركم بالثناء والنعمة، اذكروني في الدنيا أذكركم بالآخرة، اذكروني في الخلوات أذكركم في الفلوات اذكروني بمجاهدتي أذكركم بهدايتي، اذكروني بالصدق والإخلاص، أذكركم بمزيد من الاختصاص، اذكروني بالربوبية في الفاتحة أذكركم بالرحمة والعبودية في الفاتحة، اذكروني بالطاعة قلباً وقالباً، فيعم الذكر باللسان والقلب والجوارح، وعلى كل حال فالذي يذكر الله عز وجل، فإن الله سيذكره، والذي يذكره الله فلا يخاف بخساً ولا هضما.[2]

والإعراض عن ذكر الله عز وجل نتيجة الهدم النفسي والقلق الدائم المستمر، وإن كان ظاهر الأمر الرضا، ولكن هذه النفس تحمل في أعماقها أغوار ليس لها قرار. فعبر القرآن الكريم عن الإعراض عن ذكر الله بالمعيشة الضنك فقد قال تعالى في ذلك ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾.[3]

أي ومن أعرض عن القرآن الكريم؛ أي انقطع عن الاتصال بي، لانشغاله في الدنيا، وذلك جزاء على عدم الذكر في الأولى حتى إذا سأل (رب لمَ حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا) كان الجواب (كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى)، ولقد أسرف من أعرض عن ذكر ربه، أسرف فألقى بالهدى من بين يديه، وهو أنفس شراء وأذخر، وأسرف في أنفاق بصره في غير ما خلق له فلم يبصر من آيات الله شيئا، فلاجرم يعيش معيشة ضنكا، ويحشر يوم القيامة أعمى، فهو في خزي وضنك في الدنيا والآخرة.[4]وقال تعالى: ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ

(1) سورة البقرة الآية:- 152
(2) ينظر تفسير الفخر الرازي: 4/158-159، روح المعاني: 2/19.
(3) سورة طه الآية: من 124-126.
(4) ينظر روح المعاني: 16/276، في ظلال القرآن: 4/2355.

ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾.[1]

فالذكر في الصلاة وفي غير الصلاة أكبر نهياً وأعظم عن الفحشاء والمنكر من كل ما سواه، نعم فإن دوام الذكر يحقق المراقبة في كل لحظة وكيف يعصي ذاكر لمولاه.

لأن اللسان الذاكر لا يعرف المعصية لذكره لله عز وجل، والله يعلم ما تصنعون، لقد وصفت لكم ما تقوى به مراقبتكم فافعلوه، وثقوا أن الله يعلم ما تصنعون صغيراً وكبيراً سراً أو علانية وسيجازيكم عليه إن خيراً فخير وإن شراً فشر ولذكر الله تعالى إياكم أكبر من ذكركم إياه سبحانه، فالدوام على الذكر يعطي الفرد حصانة ربانية وحماية من الله عز وجل.[2]

والباري عز وجل أثنى على الذاكرين لله عز وجل وحسن جزائهم فقال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾.[3]

وأما خسران من غفل عنه فقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾.[4]

وقد ختم بالذكر الصلاة في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾.[5]

---

(1) سورة العنكبوت الآية: 45.
(2) ينظر روح المعاني: 164/20، التفسير الفريد: 2406/3.
(3) سورة الأحزاب الآية: 35.
(4) سورة المنافقون الآية: 9.
(5) سورة النساء الآية: 103.

وأما اختصاص الذاكرين بالانتفاع بآياته، وهم أولو الألباب والعقول ففي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾.[1]

وأما مصاحبته لجميع الأعمال واقترانه بها، وأنه روحها فإنه سبحانه قرنه بالصلاة[2] كقوله تعالى: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴾.[3]

والمؤمن الذي يريد أن يسير في طريق التقرب إلى الله تعالى لا يكتفي بذكر الله كل يوم أثناء الصلاة فقط وإنما يقوم أيضاً بذكر الله كثيراً خارج الصلاة، وذلك بالإكثار من التسبيح والتكبير والابتهال والدعاء، وأن التقرب إلى الله تعالى بوساطة العبادات وتلاوة القرآن والأوراد والأدعية إنما يعمل على تعميق الإيمان في القلب، وبث الشعور بالأمن والسكينة في النفس، وهو بذلك في بناء نفسي وفي مأمن من القلق والاضطرابات النفسية[4]، وذكر الله عز وجل هو مسك الختام في غذاء الروح وذلك ان ذكره عز وجل هو تذكير للإنسان بقيمته ومسؤولياته، وتذكير له باستقامة سلوكه وغزارة جهده، وذكر للقيم الإنسانية التي يحيا المسلم لنشرها والعمل بها، بل وذكر للحياة بأوسع معانيها. إذ أن خالق الحياة وخالق الإنسان وخالق الكون يوحي ذكره بجميع هذه المعاني، فمن غفل عن ذكر الله فقد غفل عن ذكر نفسه فنسي مسؤولياته في الحياة ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾،[5] ومن غفل عن نفسه فقد فقد قيمته ووجوده وخسره المجتمع وهبط محراره إلى مادون الصفر، وان ذكر الله هذا الذكر الواعي الخاشع ليملأ قلب المؤمن الذاكر فرحاً وثقة بربه واطمئناناً بقربه، وأملاً أن يكون معه في أخراه كما هو قريب منه في دنياه[6].

المطلب الثالث: التوبة

التوبة إلى الله عز وجل هي العطاء النفسي الكبير الذي يمحنه الله عز وجل للتائبين المنكسرين على بابه الراجين عفوه،لأن المذنب يحس بثقل الذنوب على قلبه

---

(1) سورة آل عمران الآيات: 190-191.
(2) ينظر مدارج السالكين: 443/2-444.
(3) سورة طه الآية: 14.
(4) ينظر القرآن وعلم النفس:- 273.
(5) سورة الحشر الآية: 19.
(6) ينظر مدخل إلى التصور الإسلامي للإنسان والحياة: 153- 155.

مما يؤدي إلى الاضطراب النفسي ؛فإذا وجد المسلم ان هنالك ربا يتوب عليه وإن بلغت ذنوبه عنان السماء فإن ذلك الأمر يعود عليه بالبناء النفسي الفريد.

ويمكن ان نعرف التوبة في اللغة والاصطلاح.

أما في اللغة:

فالتوبة لغة: (الرجوع عن الذنب وتوبة جمع توبة ومثل عزم و عزمة، وتاب إلى الله توبةً ومتاباً)[1].

أما في الاصطلاح فهي: هي الندم والعزم على عدم الرجوع إلى ذنب بتوبة صادقة[2].

(وهي رجوع العبد إلى الله، ومفارقته لصراط المغضوب عليهم والضالين، وذلك لا يحصل إلا بهداية الله إلى الصراط المستقيم).[3]

والتوبة نهاية المطاف للنفس المؤمنة المذنبة، وهي الندم والشعور بانحراف سلوك إلى استقامة، وبهوى مضل إلى هدى مشرق، وبظلام انزاح عن القلب، إلى نور استوطنه وشع منه، وهو ليس ظاهرة تحمل عقدة الذنب، بل إنما هي عنصر اساسي لتكامل الشخصية الإنسانية المسلمة[4].

ويهتم العلاج النفسي في مثل هذه الحالات بتغيير وجهة نظر المريض عن خبراته السابقة التي سببت له الشعور بالذنب، فيراها في ضوء جديد بحيث لايرى فيها ما يبرر شعوره بالذنب وشعوره بالنقص، فيخف تأنيبه لنفسه ويصبح أكثر تقبلاً لذاته، فيزول قلقه وأعراض مرضه النفسي.

ويمدنا القرآن الكريم بأسلوب فريد وناجح في علاج الشعور بالذنب ألا وهو التوبة؛ فالتوبة إلى الله سبحانه وتعالى تغفر الذنوب، وتقوي في الإنسان الأمل في رضوان الله، فتخف حدة قلقه. ثم أن التوبة تدفع الإنسان عادة إلى إصلاح الذات وتقويمها حتى لا يقع مرة أخرى في الأخطاء والمعاصي، ويساعد ذلك على زيادة تقدير الإنسانية لنفسه، وزيادة ثقته فيها، ورضائه عنها، ويؤدي ذلك إلى بث الشعور بالأمن والطمأنينة في نفسه[5].

---

(1) لسان العرب 203/1، مختار الصحاح: 80.

(2) ينظر مختصر منهاج القاصدين، أحمد بن عبد الرحمن المقدسي: 323، مكتبة الشرق الجديد- بغداد.

(3) مدارج السالكين: 199/1.

(4) ينظر مدخل إلى التصور الإسلامي للانسان والحياة: 141.

(5) ينظر القرآن وعلم النفس: 274.

وقد أمر الله تعالى بالتوبة فقال: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾.[1]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.[2]

وقال النبي ﷺ ﴿يا أيها الناس توبوا الى الله فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة﴾.[3]

والتوبة واجبة على الدوام، فإن الإنسان لا يخلو من معصية فلو خلا عن معصية بالجوارح لم يخل عن الهم بالذنب بقلبهِ، وأن خلا عن ذلك، لم يخل عن وسواس الشيطان بإيراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله تعالى، لو خلا عنه لم يخل عن غفلة وقصور في العلم بالله تعالى وصفاته وأفعاله، وكل ذلك نقص، ولا يسلم أحد من هذا النقص، وإنما الخلق يتفاوتون في المقادير، وأما أصل ذلك، فلابد منه[4].

ولهذا قال النبي ﷺ إنه لَيُغَانُ [5]على قلبي فاستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة.[6]

والتوبة: هي رجوع العبد إلى الله، ومفارقته لصراط المغضوب عليهم والضالين، وذلك لا يحصل إلا بهداية الله إلى الصراط المستقيم، ولا تحصل هدايته إلا بأيمانه وتوحيده، فقد انتظمت سورة الفاتحة أحسن انتظام، وتضمنتها أبلغ تضمن فمن أعطى الفاتحة حقها – علماً وشهوداً وحالاً معرفة – علم أنه لا تصح له قراءتها على العبودية إلا بالتوبة النصوح.

فإن الهداية التامة إلى الصراط المستقيم لا تكون مع الجهل بالذنوب، ولا مع الإصرار عليها، فإن الأول جهل ينافي معرفة الهدى، والثاني غيٌّ ينافي قصده

---

(1) سورة النور الآية: 31.
(2) سورة التحريم الآية: 8.
(3) صحيح مسلم2075/4، كتاب الذكر والدعاء والتوبة ، باب استحباب الاستغفار، مسند أحمد 211/4.
(4) ينظر مختصر منهاج القاصدين: 322.
(5) ليغان : (والمراد بالغين : فترات عن الذكر الذي شأنه أن يدوم عليه فإذا فتر عنه لأمر ما عد ذلك، وقيل: هي هفوات الطباع البشرية لا يسلم منها أحد) فتح الباري: 101/11 .
(6).صحيح ابن حبان: 204/3 كتاب البر والإحسان ، باب الأدعية .

وأرادته، فلذلك لا تصح التوبة إلا بعد معرفة الذنب والاعتراف به، وطلب التخلص من سوء عواقبه أولاً وآخراً).[1]

وفي عدم القنوط من رحمة الله أمل واسع وفسيح وهو الأفق السامي الذي وضعه الله عز وجل أمام المذنبين في عدم اليأس من رحمته كما جاء في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾.[2]

فقد عني تعالى ذكره بذلك جميع من أسرف عن نفسه أهل الإيمان والشرك، لأن الله عم بقوله (ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم) جميع المسرفين فلم يخصص به مسرفاً دون مسرف، ولا تيأسوا من رحمة الله، أن الله يستر الذنوب كلها بعفوه عن أهلها وتركه عقوبتهم عليها إذا تابوا منها، وهو الغفور الرحيم بهم أن يعاقبهم عليها بعد توبتهم منها إنها الرحمة الواسعة التي تسع كل معصية كائنة ما كانت وإنها لدعوة إلى العصاة المسرفين الشاردين المبعدين في تيه الضلال، دعوتهم إلى الأمل والرجاء والثقة بعفو الله إن الله رحيم بعباده، وهل يعلم ضعفهم وعجزهم؟ ويعلم العوامل المسلطة عليهم من داخل كيانهم ومن خارجه – ويعلم أن الشيطان يقعد لهم كل مرصد، ويأخذ عليهم كل طريق، ويجلب عليهم بخيله ورجله، وأنه جاد كل الجد في عمله الخبيث !

ويعلم أن بناء هذا المخلوق الإنساني بناء واه، وأنه مسكين سرعان ما يسقط إذا ما أفلت من يده الحبل الذي يربطه والعروة الوثقى التي تشده.[3]

وجاء في قوله تعالى أنه يتوب على عباده، وأن عملوا السوء ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾.[4]

(هذه الآية عامة لكل من عمل ذنباً،واتفقت الأمة على أن التوبة فرض على المؤمنين، والسوء بجهالة يعم الكفر والمعاصي، فكل من عصى ربه فهو جاهل، حتى ينزع عن معصيته، ثم يتوبون من قريب معناه، قيل: المرض والموت، كل ما كان قبل الموت فهو قريب، والله عز وجل كتب على نفسه بمحض فضله أن يقبل توبة

---

(1) مدارج السالكين: 199/1.
(2) سورة الزمر الآية: 53.
(3) ينظر جامع البيان: 16/24، في ظلال القرآن: 3058/5.
(4) سورة النساء الآية: 17.

الذين يرتكبون المعاصي مطاوعة لحماقتهم، أو استجابة لنداء شهواتهم، إذ بادروا بالتوبة النصوح على قرب عهد من ذنوبهم والله سبحانه عليم بالتوبة الصادقة حكيم في قبولها والعفو عن صاحبها، وهو لا يعاقب التائب النادم على ما اقترف من إثم).[1]

والله عز وجل يتوب على من يظلم إذا هو أقبل على الله عز وجل وأصلح ذاته، كما في قوله تعالى: ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾.[2]

فمن تاب بعد سرقته وأناب إلى الله فإن الله يتوب عليه فيما بينه وبينه، فأما أموال الناس فلابد من ردها إليهم.

والتصريح بذلك لبيان عظم نعمته تعالى بتذكير عظم جنايته، وأصلح أمره في التقصي لرد مال السرقة إن أمكن أو أن يستحل لنفسه من مالكه أو ينفعه في سبيل الله إن جهله، فإن الله يتوب عليه بأن يقبل توبته فلا يعذبه في الآخرة، وإن قبول التوبة تفضل منه، والله رحيم بعباده عز وجل.[3]

والله عز وجل غفار لعباده، ولكن يجب أن تكون هذه التوبة خالصة ونصوحاً لله عز وجل قال تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴾.[4]

فالله سبحانه غفور لمن تاب من شركه فرجع منه إلى الإيمان وذاق حلاوة الإيمان وأخلص الألوهية، ولم يشرك في عبادته أحداً،وأدى فرائضهُ التي افترضها عليه الله سبحانه وتعالى واجتنب المعاصي ثم اهتدى ولزم ذلك، فاستقام ولم يضيع شيئاً منه فأن الله عز وجل يغفر له ذنوبه ويتوب عليه،والتوبة ليست كلمة تقال، إنما هي عزيمة في القلب يتحقق مدلولها بالإيمان والعمل الصالح، ويتجلى أثرها في السلوك العملي في عالم الواقع، فإذا وقعت التوبة وصح الإيمان، وصدقه العمل فهنا يسلك الإنسان الطريق، على هدى من الإيمان، وعلى نور من العمل الصالح، فالاهتداء هنا ثمرة، ونتيجة للمحاولة والعمل.[5]وفي قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ

---

(1) الجامع لإحكام القرآن: 90/5-92، التفسير الفريد: 516/1.
(2) سورة المائدة الآية: 39.
(3) ينظر تفسير القرآن العظيم 300/2، روح المعاني 134/3-135.
(4) سورة طه الآية: 82.
(5) ينظر جامع البيان 194/26، في ظلال القرآن 2346/4.

مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ۝١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ۝١٣٦ ﴾ .[1]

وهذا شأن القلوب السليمة الصافية التي تعرف الحق وضَّاءً لاشك فيه، فلذا عندما يعرض عليها شيء من الإثم فإنها سترده ولن تقبله أبداً لأنها أعلنت التوبة لله عز وجل دون إصرار على الذنب[2].

والعباد الذين إذا صدر منهم ذنب اتبعوه بالتوبة والاستغفار ومن يغفر الذنوب إلا الله ؟ فأنهم يجدون الله عز وجل تواباً رحيماً، وهي بشرى كبيرة تزف إلى التائبين، وتطيباً لقلوبهم، وبشارة لهم بسعة الرحمة وقرب المغفرة، وإعلاء لقدرهم بأنهم علموا أن لا مفزع للمذنبين إلا فضله وكرمه[3]،وحين تعرف النفس الإنسانية ذلك كله تكون قد تهيأت للبناء السليم، ويكون هذا أول هدف تقوم به هذه العقيدة الضخمة في حياة النفوس، ثم تكون الخطوة التالية هي إقامة البناء ذاته. هي بناء النفس بمقتضى هذا العلم الذي تعلمته من العقيدة، فإن لهذه العقيدة مقتضى، وتكون موجودة على الحقيقة إلا حين يتحقق مقتضاها في واقع الأرض، والبناء على مقتضى ذلك العلم يكون بتربية النفوس على طاعة الله عز وجل[4].

إن إيمان المسلم بأن الله جل شأنه يقبل التوبة ويغفر الذنوب وأن الله سبحانه وتعالى لا يخلف وعده، إنما يدفعه إلى الاستغفار والتوبة والابتعاد عن ارتكاب المعاصي أملاً في مغفرة الله ورضوانه، وإذا تاب المسلم توبة نصوحاً، والتزم بطاعة الله وعبادته وبالعمل الصالح، ارتاح باله، واطمأنت نفسه وزال عنه الشعور بالذنب الذي يسبب القلق واضطرابات الشخصية.لأن الشعور بالذنب ينتج من عدة أمور منها النقص بعدم الارتياح والطمأنينة لذلك الأمر، لأن الباري عز وجل فطر الناس على فطرة الخير لا الشر.[5]

وإن هذه التوبة والندامة على كل خطأ أو معصية أو تفريط في حق الله مهما صغر، هي التي ترد الإنسان أبداً إلى نقائه وصفائه، وتزيح عنه غبار الذنب وظلمة المعصية، وتشرح صدره بالرجوع إلى الله والى الحق والصواب، ذلك ان الصغائر ممهدات للكبائر فاذا ألف المعصية هلك[6]﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ ﴾.[1]

---

(1) سورة آل عمران الآيات: 135-136.
(2) ينظر الاعجاز العلمي في السنة النبوية: 2/ 1322.
(3) ينظر تفسير القرآن العظيم 557/1، التفسير الفريد 427/1.
(4)ينظر منهج التربية الإسلامية 340/2-341.
(5) ينظر القرآن وعلم النفس: 275.
(6) ينظر مدخل إلى التصور الإسلامي للانسان والحياة: 142.

المطلب الرابع: الاستغفار

الاستغفار هو نتيجة حتمية للمحاسبة الواعية للنفس المقصرة المذنبة، والاستغفار طلب المغفرة من الله عز وجل، وشعور بالإثم فيما أخطأنا له من سلوك والالتجاء إليه أن لا يؤاخذنا بذنوبنا، وأن يرحمنا بألا نعود إليها، فهو يقظة الضمير في نبذ الشر وحوزة الخير، وهو رجعة الى الله رب الكون، نلوذ به من غضبه ونطمع في رحمته، وهو حياء من الله أن يرانا حيث نهانا، أو يفتقدنا حيث أمرنا، إنها التربية اليقظة والنفس المتفتحة والضمير الحي والإرادة الواعية.

والنفس التي تستغفر الله عز وجل، لها نصيبها من التفتح النفسي، أنه يهز الكيان النفسي كله ويوقظه وينشطه ويجدد حياته، إنها تجربة نفسية رائعة حية، كأنها لمسة رقيقة تلمس طرف عصب مكشوف، فيتفزز ويتأثر وينقل اللمسة إلى مركز الحس بكامل وقعها وكامل تدفقها، إنها عملية جميلة ممتعة.. تملأ الحياة ثراء وسعة ومتاعاً متجدداً على الدوام.[2]

فالاستغناء عن هذه الشعائر غير ممكن، لأنها هدف في ذاتها وواجب إلهي لابد من أدائه جعلها الله منهجاً ويبتعد عن مواطن الزلل والسوء فإذا لم تؤد غرضها فليس لعيب في الدواء وإنما العيب في المريض الذي لم يلتزم أوامر الطبيب الذي أرشده إلى طريقة تعاطي الدواء.[3]

والاستغفار طريق الرزق، والأولاد، وطريق الآخرة بما فيه من جنات وأنهار كما في قوله تعالى: ﴿ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾.[4]

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[5].

والتوبة والاستغفار يجتمعان، وذلك إن الإنسان لا يستطيع أن يقيم بنياناً في نفسه ما لم يزح البناء السابق غير المرضي، ولو بنى إلى جوار بناء فاسد، لاجتمع النقيضان، ولكان كاذباً فيما يبني وفيما يُبنى، فالاستغفار إزاحة صادقة لجميع آثار الذنب في النفس.

---

(1) سورة آل عمران من الآية: 11.
(2) ينظر مدخل إلى التصور الإسلامي للإنسان والحياة: 140، منهج التربية الإسلامية: 46.
(3) ينظر منهج القرآن في تربية المجتمع: 234.
(4) سورة نوح الآيات: 10-12.
(5) سورة النساء الآية: 110.

وتنظيف ونقاء الضمير لتلقي البناء الجديد والتوبة عهد مع الله ألا نعود وعهد على نقيض الذنب، وهو الخير الذي يأمر به الله لذلك قال تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ ﴾،[1] وليس معنى الاستغفار ادراك العصمة والكمال، إذ الكمال لله وحده، ولكنه غسيل للماضي في النفس وصفاء لها واطمئنان إلى رضوان الله عز وجل[2].

لابد أن النفس حين ترى نفسها في الميزان تخرج دائماً بتقصير تتفاوت درجته، وإن التقي لينقطع عن الصغائر حين يحاسب نفسه بين يدي ربه، فإليه يهدي الله عز وجل أما يخفف من روعته ويهدئ من نفسه ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ .[3] وحين ترتدع النفس في هذا الحساب الدائم، ويؤيد العقل كل حق في هذا الحساب ويخشع القلب له حينئذ يتجاوب السلوك تبعاً له من قول وكتابة وعمل، حينئذ ينطلق المسلم بسلوك متين يتناسب ومكانته بين يدي ربه وبين المؤمنين،وملازمة المحاسبة رقابة لدوافع السلوك والنتائج وهي جميعها تستلزم يقظة مستديمة وانتباهاً وحذراً، لتستنفذ أهدافها، إذ لا محاسبة مع غفلة، والله تعالى ينبه رسوله الحكيم إلى اليقظة الدائمة ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾.[4]

فلابد من الارتقاء بالروح من توافر أربع وسائل لا ينفك بعضها عن بعض هي:-

أ- طبيعة النفس. ب- طبيعة الروح.
جـ- طبيعة التكيف. د- وطبيعة الحياة.[5]

---

(1) سورة هود الآية: 3.
(2) ينظر مدخل إلى التصور الإسلامي: 143- 144.
(3)سورة هود الآية : 114 .
(4) سورة الأعراف الآية : 205 .
(5) ينظر مدخل إلى التصور الإسلامي: 139-140.

إذن لابد من:

1- تقييم الحاجة لتطوير علم النفس الإسلامي.

2- وضع معايير سوية للسلوك البشري كما جاء بها الإسلام.

3- ادخال نظرية الشخصية الإسلامية كما جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية.

المبحث السادس

البناء الموضوعي للذات في القران الكريم

حين نتحدث عن البناء النفسي الموضوعي، فنحن في الحقيقة نتحدث عن الإنسان في أعلى مراحل تطوره، والشخصية الإسلامية مأمورة بحمل هذا المنهج الشامل الراسخ والمتصور في آن ومأمورة بالأخذ بالتراكم الحضاري والابداع البشري المتواصل.

إن البناء الموضوعي يعتمد على رؤية الله تعلو على الزمان والمكان ويتجاوز موضوعات العصر النسبية، فإنه بنظر بانفتاح تام إلى الأحداث، ويبسط الأضواء على مساحتها جميعا، دون أن يقتصر على الأحمر أو الأخضر لكي تبدو حمراء أو خضراء. إن رؤيته للأحداث رؤية واقعية شاملة في إمداداتها الزمنية الماضية والحاضرة والمستقبلة، وانطلاقا من الإحساس بثقل التفكير فإن الإنسان قد لا يبذل ماله إلا بمقدار، وكذلك نحن مع المشكلات فإننا نعطيها من الجهد العقلي ما يتناسب مع حجمها وموقفنا هذا منطقي فمن غير المناسب أن نبذل أوقاتنا وجهودنا في حل مشكلة لن يأتي حلها بفائدة تتكافأ مع العناء الذي بذلناه في سبيله لحلها.[1]

ويمكن ان نعرف البناء الموضوعي: بأنه مجموعة الأساليب والخطوات والأدوات التي تمكننا من الوقوف على الحقيقة والتعامل معها على ما هي عليه بعيداً عن الذاتية والمؤثرات الخارجية [2].

وقد ذكر لنا القرآن الكريم هذا البناء الموضوعي وسوف نشير إليه فيما يأتي، ولابد أن ننوه إلى تلك النماذج الهادية التي قد تكون بيانا من رسول، كما قد تكون عتباً على تصرف أمة من الأمم السالفة، وقد تكون لحوار وجدال بين أطراف شتى، وهذا ما سنلحظه من خلال ما يأتي :

1. **معرفة حدود الذات :**

ان من أهم مفردات الموضوعية أن يدرك الإنسان أبعاد أية مشكلة، أو موقف يريد أن يتعامل معه التعامل الصحيح ؛ لكن الأهم من كل ذلك أن يدرك المرء أبعاد ذاته، إذ الجهل في هذا وخيم العواقب، حيث يؤدي في بعض الأحيان إلى الكبر والغرور التهور، وهذا نخر في البناء النفسي الموضوعي، وقد يؤدي في أحيان إلى نكران الذات وعدم الاستفادة من إمكانيتها المقدورة لها.

---

(1) ينظر فصول التفكير الموضوعي: 45 ، وينظر آفات على الطريق: .210/3.
(2) المصدر نفسه .

وفي هذا السياق نجد القرآن الكريم يخبرنا عن حنو نوح (عليه السلام) على ولده فيسأل الله نجاته من الغرق ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ ؛[1] ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي، وإن وعدك الحق، أي وإن وعدك ذلك، أو كل وعد تعده لا يتطرق إليه خلف فيدخل فيه الوعد المعهود فيدخل دخولا أوليا وأنت احكم الحاكمين. وإنما سأل نوح ابنه لقوله (أهلك) وترك قوله (إلا من سبق عليه القول)[2].

وهنا يأتي التنبيه له من الله تعالى بالكف عن سؤال أمور لا يعرف حقيقة حالها، اخطأ هي ام صواب: ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ ﴾.[3]وتأتى الإنابة السريعة الى الله تعالى والاعتصام به من تكرار ذلك :

﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾.[4]

إن هذا تعليم لهذه الأمة بأن يعرف كل منها حدوده ذاته وقدر نفسه، و إذا ما أخطأ،أو قصر فإن طريق الأوبة مفتوح لمعرفة كل منها حدود ذاته، لما يمثله من تتبع الخطوات نحو البناء الموضوعي للذات. وحين أخبر الله تعالى الملائكة الكرام انه جاعل في الأرض خليفة استفهم بعض الملائكة على سبيل التعجب والاستعلام كيف يستخلف الله بني آدم وفيهم من يفسد في الأرض؟ وحين أدركوا انهم قد تجاوزا حدودهم بذلك: ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.[5]

وهذا من باب تعذر الفهم، وعدم فهم القصد، فهي طاعة لله عز وجل كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ .[6]

---

(1) : سورة هود الآية:45.
(2) ينظر روح المعاني: 68/2، تفسير الجامع لأحكام القران: 45/5 .
(3) سورة هود الآية : 46 .
(4) سورة هود الآية : 46 .
(5) سورة البقرة الآية :32 .
(6) سورة النور الآية: 51.

سبحانك تنزيها لك عن الإعراض عليك في حكمك لا علم لنا الا ما علمتنا،اعترفوا بالعجز عن علم ما لم يعلموه، إنك أنت العليم الحكيم، تحكم بالحق وتقضي به. فلما ظهر عجز الملائكة قال الله تعالى لآدم ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ ﴾.[1] قالوا انك اجلّ من أن نحيط بشيء من علمك إلاّ ما علمتنا إنك أنت العليم بخلقك الحكيم في أمرك.[2]

---

(1) سورة البقرة الآية : 33 .
(2) ينظر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، علي بن احمد الواحدي 99/1 ، تحقيق : صفوان عدنان داودي ط1 1415 ، دار الكتب بيروت ، معالم التنزيل ، الحسن بن مسعود الفراء البغوي : 62/1 ، تحقيق: خالد العك ومروان سوار، دار المعرفة –بيروت، ط2 ،1407 – 1987 .

2. التثبت :

من ثوابت الموضوعية التثبت من حقيقة ما يصادفه المرء في حياته قبل أن يتخذ موقفا تجاهه ؛ وقد ركز القرآن الكريم على هذا الجانب حتى لا يقع المسلم في سلسلة من الأخطاء نتيجة الفهم الخاطئ أو القاصر؛ وقد عرض القرآن الكريم هذا الموضوع بأساليب شتى حتى يصبح حقيقة راسخة ؛ فهؤلاء فتية الكهف الذين ربط الله على قلوبهم يقولون : ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴾ .[1]

وهؤلاء الذين اتخذوا إلهاً يعنون عبدوا الأصنام في زمانهم فلوا انهم جاءوا بسلطان بين لبينوا صحة عبادتهم وقوة حجتهم فما ادعوه على الله كذبا، فزعم أن معه الهاً[2].

قال تعالى: ﴿ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ ﴾ .[3]

لذلك أكد القرآن الكريم على التثبت حفاظاً على القيمة الانسانية أن تهدر وحفاظاً على البشرية ان تنقسم، وصيانة للعقل الإنساني ان يضل، والتثبت من الدوافع السلوكية التي تؤدي إلى الالتزام بأمر الله عز وجل[4].

فما هي الأسماء لا حقيقة لها سميتموها أنتم وآبائكم ما أنزل الله بها من سلطان حجة وبرهان، وما يتبعون في عبادتها إلاّ الظن وما تهوى الأنفس يعني أن ذلك شيء ظنوه، وأمر سولت لهم أنفسهم ولقد جاءهم من ربهم الهدى والبيان على لسان (محمد ﷺ) [5]، وكما جاء في قوله تعالى: ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴾ ،[6] وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴾،[7]

---

(1) سورة الكهف الآية 15 .
(2) ينظر تفسير الواحدي: 655/2 ، تفسير البغوي: 153/3 .
(3) سورة يوسف الآية: 40 .
(4) ينظر التصور الإسلامي: 50.
(5) ينظر تفسير الواحدي 104/2 ،وتفسير البغوي 251/4 .
(6) سورة النمل الآية : 21 .
(7) سورة المؤمنون الآية: 45 .

وقوله تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾.[1]

3-نبذ الآبائية:

كثيرا ما يكون تراث الآباء سببا في تعطيل العقل، والاستفادة من خير يخالف ما كان عليه السابقون،ومن ثم فإن الإنسان مكلف بامتلاك الميزان الذي يمكنه من تقويم ما تركه أسلافه، وإنزالها المنزلة اللائقة بها، لئلا يقدس ما كان عاريا عن كل المقومات سوى ميزة القدم، وقد ضرب لنا إبراهيم (عليه السلام)المثل المنير في موالاة الله تعالى والحق الذي أتاه، والانسلاخ عما ساد في مجتمعه من ضلال ؛ وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ﴾،[2] وذلك انه كان قد وعده أن يستغفر له رجاء إسلامه،وأن ينقله الله باستغفار إياه من الكفر إلى الإسلام وهذا ظاهر في قوله تعالى سأستغفر لك ربي وقوله لاستغفرن لك فلما مات أبوه مشركا تبرأ منه وقطع الاستغفار، إن إبراهيم لأواه كثير البكاء حليم، لم يعاقب أحد إلاّ في الله ولم ينتصر من أحد إلا لله، وسأستغفر لك ربي يعني إذا أسلمت، وذلك أن إبراهيم وعد أباه أن يستغفر له رجاء إسلامه. وقد حرص القرآن الكريم على دعوة الناس من الأوهام والخرافات التي تعطل التفكير وتعوقه عن معرفة الحقيقة [3].

4.أنصاف الناس وعدم هضم حقوقهم :

عندما ينشب الخلاف، وتثور العدوات يصبح كثير من الناس عاجزاً عن الأبصار بعين الحق ؛ فهو لا يرى إلا المثالب والمساوئ، وحين تهب رياح المودة فان كثيراً لا يبصرون بعين الرضا، ومن هنا جاءت دعوة شعيب لقومه واضحة صريحة للخلاص من هذه النقيضة حين نصح قومه : ﴿ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾.[4]

---

(1)سورة آل عمران الآية:66

(2) سورة التوبة الآية : 114 .

(3) ينظر تفسير الواحدي: 484/1 ، وتفسير البغوي: 331/2-332، الإسلام في حياة المسلم . د. محمد البهي 167-169، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1973.

(4) سورة هود الآية : 85 .

ويا قومي أوفوا المكيال والميزان أي اتموها بالقسط بالعدل وقيل بتقويم لسان الميزان ولا تبخسوا، ولا تنقصوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين وايفاء المكيال اتمامها[1].

5- النظرة التفصيلية :

فالنظرة التفصيلية التي يمتلكها الإسلام للأمور، لا توجد في أي فلسفة من الفلسفات، ولا تحظى بما تحظى به البرامج الإسلامية من التكامل الجامع والاستعلاء على أهواء البشرية. من أكبر الأخطاء التي تنافي الموضوعية إصدار الأحكام العامة في القضايا الإنسانية، حيث يتشابك عدد من العوامل في إيجاد الظاهرة الواحدة، وحيث يصبح الربط بين ظاهرة ما وبين ظواهر أخرى معقداً غاية التعقيد، مما يستدعي الأناة في إصدار الأحكام، وتفصيل ما يحتاج إلى تفصيل [2]. وفي هذا الصدد يقول تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ .[3]

فقد وجد الكفر في بيت نبيين من الأنبياء الكرام، وخرج الإيمان من بيت أعدى أعداء الله، وفي ذلك تبصرة لأولي الألباب حتى لا يحكموا بالإيمان او الكفر لأهل بلدة او قبيلة او بيت بصورة عامة، وفي هذا إخبار أن الأنبياء لا يغنون عن المعاصي شيئاً، وقطع من ركب المعصية رجاء ان ينفعه صلاح غيره، وقوله ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾. قيل : إن فرعون لما تبين له إسلامها ثبتها على الأرض بأربعة أوتاد على يديها ورجليها، فقالت وهي تعذب رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله أي تعذيبه إياي، وهذا بيان أنها لم تمل إلى معصيته مع شدة ما قاست من العذاب، وكذا فليكن صوالح النساء، والخيانة لم يكن البغي قط كما قال ابن عباس (رضي الله عنهما)، وإنما كانتا على غير دينهما[4].

---

(1) ينظر تفسير الواحدي: 530/1 ، وتفسير البغوي: 397/2.

(2) ينظر من التبعية الى الأصالة في مجال التعلم والقانون ، أنور الجندي 139 : دار الاعتصام 1977 م .

(3) سورة التحريم الآية : 11 .

(4) ينظر تفسير الواحدي: 1114/2 ، تفسير البغوي: 368/4 .

ويحكي لنا القرآن الكريم، قول بعض علماء بني إسرائيل الذين كانوا في جيش طالوت حين قالوا ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾.[1]

فالنصر لا يتوقف على عدد وعدة أو عدة وحدها، أو الإخلاص وحده، ولكن هناك عدة عوامل تسهم في تحقيقه، وفي هذا دفع للمؤمنين كي يحاولوا تحقيق ما يمكن من تلك العوامل حتى يفوزوا بالغلبة وكان مع النبيﷺ يوم بدر ثلاثة مائة وبضعة عشر. والفئة أي الجماعة القليلة التي تغلب الفئة الكثيرة بإذن الله، والله مع الصابرين بالمعونة والنصر[2].

6- نقد الذات :

إن نقد الذات يمثل إحدى قمم الموضوعية، فهو إقرار ببشرية بني آدم التي لا تستطيع أن تخرج من دوائر الجهل والقصور والخطأ، إلاّ من عصم الله، وفي هذا السياق يحدثنا الله تعالى عن أبينا آدم وأمنا حواء حين أكلا من الشجرة وبدت لهما سوآتهما، وعرفا الوقوع في المخالفة، فإنهما أسرعا إلى الإنابة قائلين: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾.[3]

وقوله إني كنت من الظالمين اعتراف بالذنب، وهو تضمن طلب المغفرة، وقالا: ربنا ضررنا أنفسنا بالمعصية، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين الهالكين، قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين، قال فيها تحيون يعني في الأرض تعيشون وفيها تموتون، ومنها تخرجون، أي من الأرض تخرجون من قبوركم للبعث [4].

والتوبة لا تكون إلا بعد اكتشاف الخطأ، واكتشاف الخطأ لا يكون الا بعد صحوة عقل، وكل منهما أمارة النضج والرقي، وهذه السنة التي سنها أبونا آدم لنا ستظل مناراً يستنبت فيها الصالحون من أبنائه صفوفاً من الأوبات والمراجعات[5].

---

(1) سورة البقرة الآية : 249 .

(2) ينظر تفسير الصنعاني ، عبد الرزاق بن همام 101/1 ، تحقيق مصطفى مسلم، مكتب الرشيد– الرياض، ط1 ، 1410 هـ.

(3) سورة الأعراف الآية : 23 .

(4) ينظر دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية ، احمد بن عبد الحليم 361/2 ، تحقيق : محمد السيد ، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ط1، 1404هـ.

(5) ينظر فصول في التفكير الموضوعي : 55 .

وهذا موسى (عليه السلام) يعترف بخطئه، حين قتل القبطي نصرة للإسرائيلي، ويقول ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [1].

وهذا يونس (عليه السلام) يعلن بكلمات ملؤها الضراعة والثناء على الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.[2]

وهذه بلقيس ملكة سبأ تعلق توبتها من عبادة الشمس قائلة ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.[3]

7- المرونة الذهنية :

إن الإحاطة بموضوع ما ؛وجذوره وأسبابه وعواقب ووجوه ارتباطه مع موضوعات أخرى تجعل المرء يتحلى بفضيلة المرونة الذهنية، التي توجد للإنسان مساحات للحركة يوازن فيها بين الخير والشر، والنموذج القرآني يحدد هذه السمة الحميدة وذلك عندما ذهب موسى (عليه السلام) لمناجاة ربه، وترك أخاه هارون خليفة في قومه، وقد قام السامري بما قام به من صنع عجل لبني إسرائيل حتى يعبدوه من دون الله، وقام هارون بنصحهم وموعظتهم، لكنهم لم يقبلوا منه، وحين عاد موسى قال: ﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ ﴾ [4].

قال يا هارون، أي قال له موسى حين رجع ما منعك إذا رأيتهم ضلوا عبادة العجل إلا تتبعن في الغضب لله والمقاتلة مع من كفر به، أو أن تأتي عقبي وتلحقني أفعصيت أمري في الصلابة في الدين، قال يا ابن أم، وخص الأم استعطافاً وقيل: لأنه كان أخاه من الأم، والجمهور: إنه من أب وأم له. لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي،

---

(1) سورة القصص الآية :16 .
(2) سورة الأنبياء الآية : 87 .
(3) سورة النمل الآية : 44 .
(4) سورة طه الآية : 92-94 .

أي بشعر رأسي قبض عليهما يجره إليه بشدة من غيظ وفرط غضبه، فقال له هارون : خشيت أن تقول: فرقت بين إسرائيل، وفارقت بعضهم بعض ولم ترقب قولي [1].

وفي قوله تعالى: ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ ﴾ .[2]

قد علمنا الخضر (عليه السلام) كيف نوازن بين الإبقاء على سفينة معيبة، وبين ذهابها بالكلية؟ ولا ريب أن بقاءها معيبة أخف شراً، كما علمنا أن موت نفس واحدة أخف شراً من هلاك نفسين، هذا البناء للخلفية الموضوعية للبناء النفسي، كان بمثابة التمهيد للعقل المسلم حتى يشعر أنه حين يؤمر بسلوك دروب الموضوعية والواقعية والإنصاف فإنما يؤمر بالسير في طريق خطا فيها من قبل الأنبياء والمرسلين ومن معهم من خيار البشر، يشكل ذلك جزءاً من النظام الشعوري، وجزءاً من المحك المرجعي للمسلم فيها.

وقد أتت هذه اللفتات كلها، فلم تمض مدة يسيرة على البعثة المحمدية، حتى هبت رياح التغيير الجذري على العقلية العربية، وعقلية الشعوب التي دخلت في الإسلام بعد أن كتبت صفحات خالدات. فالقرآن الكريم يسير بهذه الإمكانيات الحسية والعاطفية والخيالية، والعقلية والانفعالية والروحية، ويسير بها صوب استجابة مكثفة مترعة، إزاء كل ما يحركها ويهزها ويدفعها إلى مزيد من الحياة في أجواء البناء الموضوعي للذات.

فهو وثيق ببنائه بعيد عن المؤثرات والبواعث التي تعرضه للانفكاك والتدهور،

فالعناية بها من أهم ما تتوجه إليه السياسة الشرعية، وتدعو الرسالات الربانية حتى يكون استرسالها مع الله على ما يريد [3] .

إن البناء النفسي للمسلم بالخطوات والخصائص التي ذكرناها يكاد يكون ضرورة إنقاذ، ليس للعالم الإسلامي وحدة، وإنما للإنسانية كلها، فهذا النموذج الذي

---

(1) ينظر تفسير البيضاوي 67/4، دار الفكر- بيروت، تحقيق عبد القادر عرفات، 1416 – 1996.

(2) سورة الكهف الآيات: 79-80-81 .

(3) ينظر فصول في التفكر الموضوعي : 57-58 ، والنقد الإسلامي المعاصر . د. عماد الدين خليل 30 ط1 1394هـ –1972م، النفس أمراضها وعلاجها في الشريعة الإسلامية . د. محمد الفقي : 25 مكتبة .مط محمد علي 1390 – 1997 م .

تحدثنا عنه حين يتحقق في عالمنا المعاصر فإنه يصبح بمثابة سفينة نوح في زمان الطوفان.

والبشرية تقترب من مواجهة طوفان هائل يكاد يعصف بالمنجزات الحضارية المتراكمة عبر العصور ومظاهر الطوفان تتلخص في الآتي:

1- حربان عالميتان يموت في الأولى عشرون مليوناً، وفي الثانية،خمسة و أربعون
2- السباق المحموم في التسلح بأسلحة الدمار الشامل.
3- الهيمنة الأمريكية على العالم وممارسة الاستعلاء والسيطرة بشكل مستفز المشاعر
4- اغتيال الشرعية الدولية بوساطة الثور الأمريكي كما حدث في أفغانستان وفلسطين والعراق، وسيادة شريعة الغابة.
5- الخلل الاقتصادي المتمثل في زيادة مساحة الفقر في أغلب دول العالم، وزيادة الغنى الفاحش في عدد قليل من الدول الغربية التي تمارس الاستغلال والسيطرة.
6- التحلل الأخلاقي.
7- انتشار الإدمان بشكل خطير، وفشل المحاولات للسيطرة عليها.
8- ضعف الجوانب الدينية والروحية او تشوهها.كل هذه العوامل تنذر بالطوفان ولذلك أصبح العالم بحاجة إلى نموذج إنساني يتحلى بمنهج رباني رحب ومتسامح وعادل، لكي يحافظ على إيجابيات الحضارة القائمة على القوة والسيطرة والاستعلاء ويرسي قواعد الرحمة والتعايش سعيا لوجه الله عز وجل.

وحتى نحافظ على البناء النفسي يجب أن نتوجه إلى:

1- الغاية: وهي السعي نحو الله عز وجل قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ .[1]
2- المنهج: نقطة الانطلاق في المنهج النفسي الإسلامي هي الوعي بالكتاب المقروء (الوحي) والكتاب المنطوق الكون، ذلك الوعي الذي يوقظ العقل والوجدان ويوسع دائرة نشاطهما ويحميهما في ذات الوقت من الشطط.
3- مفتاح الشخصية: إدراك أن مفتاح الشخصية هو القرآن الكريم، وأنه الكتاب الذي صاغ الشخصية الإسلامية دون سواه.

(1) سورة القصص الآية: 83.

4- المخطط النفسي: ففكرة التوحيد هي مركز الشخصية الإسلامية والتي يبنى عليها الإيمان بالرسل وبالملائكة واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وكل هذا يكون نواة الشخصية الإسلامية وهو ما نسميه (الإيمان الصادق).

5- الوسائل هي نظام تربوي إسلامي في البيت والمدرسة والمسجد والاعلام ويراعى فيه الجانب الايماني، الجانب الاخلاقي، الجانب الوجداني، الجانب العلمي.

6- الذوق والجمال فان صفات الذوق الرفيع والجمال الراقي في بناء المسلم ليست صفات كمالية أو ثانوية، وإنما هي صفات أساسية مرتبطة بالإيمان، حيث أن الله الذي نؤمن به يتحلى بصفات جلال وصفات جمال، وهذه الصفات حين تنشر ظلالها على حياة المؤمن بها فإن النتيجة تكون على مستوى عالٍ من الذوق والجمال.

7- الوسطية والاعتدال: قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾.[1]

8- احترام البعد الزمني، حيث يشكل الوعي الكبير بالزمن أحد المقومات للبناء النفسي للمسلم.

9- الترقي في مستويات الدين والحياة وذلك بتراكم الخبرات واستيعابها في منظومات قابلة للاضافة والنمو بشكل دائم.

10- الإبداع والمرابطة في إخلاص النية إلى الله وحده، وصرف الاهتمام عما لا يفيد، وتحسين العلاقة بالآخر مع عالمية الخطاب الديني من خلال شخصية عالمية منفتحة ومتقبلة ومتسامحة سعياً لإرضاء الله عز وجل.

---

(1) سورة البقرة من الآية: 143.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة التي قضيناها في رحاب القرآن الكريم، ظهرت لنا عدة نتائج من خلال هذه الدراسة نوجزها فيما يأتي :-

1- إن لكل ذات حدوداً وقدرات، ومعرفتها تبعث في النفس الإنسانية نوعاً من الاطمئنان النفسي، والهدوء، الذي لابد منه لإعادة التوازن إلى كل سلوك فيكون منضبطاً تحت حدود الطاقة أو الوسع، وبذلك يضع حداً لما نراه من الطيش أو الغرور، وما يرافقه من التهور، المؤدي إلى الكبر أو التكبر، الذي حرمه الله عز وجل الذي يعد مظهر من مظاهر مشاركة الله تعالى في بعض صفاته، وهذا ما لا يليق بالمسلم.

2- وحتى لا يخطئ المؤمن، فقد قطع القرآن الكريم كل مصادر الوقوع في الخطأ ومنها سوء الفهم، أو الإسراع في إطلاق الأحكام جزافاً، دون تريث أو تثبت، حتى عدّ ما يحدث من هذا النوع كذباً أو افتراء،وأعتبر من يفعل ذلك فاسقاً، لا تصح تصرفاته، ولا يبنى عليها حكم، وبذلك وضع حداً للمتقولين، وأصحاب لإشاعات، ومروجي الحرب النفسية، وحذر منهم، وعد من ثوابت الإيمان عدم سماع تلك الدعاوى حتى وإن كان أصحابها ذوي سطوة أو سلطان في الدنيا، حتى تكون أدلتهم مقبولة ومقنعة وموافقة لما جاء به الشرع الحنيف.

3- إتباع الأسلاف، بما لا يعطل العقل، ولا يخالف الشرع، أمر معقول وجائز، أما أن تعد نوعاً من التقليد والتقديس، دون أن يخضعها إلى ميزان التقييم والتقويم، فإن ذلك يثير في النفس الإنسانية نوعاً من القلق، وما يصاحبه من هموم التأرجح بين الحق ونقيضهُ، وذلك الذي يعطل عمل العقل، ومن ثم تحدث الانتكاسة، التي تعطل مواجهة التحديات، فتكون حينئذ الاستجابة سلبية فيخسر الفرد ذاته ثم تنتقل تلك العدوى الفردية إلى المجتمع، فيصيبه الخلل الواضح في تكوينه النفسي المضطرب المغلف بعدم المعرفة وتلك قاصمة الظهر.

4- أن هضم حقوق الآخرين، وإشاعة الظلم والعدوان، ووضع الرجل غير المناسب في المنصب، وغيرها من معالم الظلم والاستبداد والتكبر والعنت، وما إليها كلها تصيب المجتمع بنوع من الإحباط وتعرقل عملية التقدم الحضاري والفكري، ثم النفسي، وتحطم في المجتمع تلك القدرة على الخلق والإبداع وتصرفه عن منهج الله تعالى في الاستخلاف.

5- ولذلك أمر تعالى عباده المؤمنين بأن ينظروا إلى أمر الله تعالى وشرعه نظرة كلية، أولاً، ثم لا مانع بعد ذلك في الخوض في الجزئيات، فأهل

القرية عندما يشيع فيها الفساد، أو الظلم وغيره مما عد عوامل ذات أثر في التدهور والانحطاط والسقوط، لا يخلو مجتمعها من أفراد أو جماعات تخالف أهل الكفر في عقائدهم بل إنها قد تكون فئة مؤمنة، ولكنها لم تكن عاملة، ولم تكن ذات تأثير، وذلك ما وضعها تحت طائلة ما أعده الله عز وجل لأهل هذه القرية الظالم أهلها من عذاب، وإن صرح تعالى بأنهم يبعثون على ما كانوا يعملون.

6- الاعتراف، سيد الأدلة كما يقولون، وقدرة الإنسان وطاقته محدودة، ومع ذلك عدّ بذل الوسع جهاداً، مهما كان نوعه، وجزاء المجاهد الجنة، وعندما يخالط الهوى بعض مظاهر عمل المسلم فإن لذلك أثراً بالغاً في نفس المؤمن الفطن، حتى إذا أحس بذلك بادر إلى تصحيح الخطأ، والإقلاع عنه، وتلك التي عبر عنها القرآن الكريم بالتوبة، ومن المظاهر الصادقة في النفس المؤمنة المبادرة فوراً إلى علاج هذا الداء، بالإقلاع عن تكرار الخطأ والندم عليه، فيتحول العلاج إلى سلاح فعال في بناء النفس القوية الثابتة.

7- وتلك مرونة ذهنية تربط حياة المؤمن وتفكيره برباط وثيق من التفكر والتدبر، والتعلم المستمر المتوازن الذي إن وجد فيه راحة نفسية غير سلوكه نحوها، وهو أصل التعلم بلاشك الذي حث الإسلام عليه وأمر به، وتلك المرونة وذلك التعلم، هو الذي حول العربي في مكة، بعد إيمانه إلى إنسان آخر، طوى من حياته كل صفحات الماضي المؤلم، وظل ينظر إلى أمام، ومن فوق إلى كل القيم التي رفضها الإسلام بينما تراه يتمسك بقوة لانظير لها بما أمره الإسلام وما دعا إليه.

8- القران الكريم يدعو إلى التحلي بالإيمان لتتكون الشخصية المؤمنة المتوازنة.

9- يجب تحفيز الدافع في النفس المؤمنة، ووضع السبل أمامها، والحلول التي من شانها أن تعيد إلى السلوك توازنه الذي اختل.

10- النتيجة التي يخرج بها هذا البحث، إن صياغة الفرد المسلم، وتكيف الشخص مع البيئة يعد من الدوافع الضرورية، لأن بيت الداعية هو موقع القدوة، وإن الخلل في هذا الموقع خلل صعب يدمر جميع الجهود والتضحيات التي يبذلها الداعية في الخارج ما لم يكن قد أحكم أهل بيته وأحسن تربيتهم وإعدادهم.

11- ويقرر الكتاب أمرا مهما أن النصر مع الإيمان، ولايعني هذا عدم الأخذ بالأسباب ولكن التوكل على الله مع الإيمان.

12- التخلف عن الجهاد أمر لايرضا به الله عز وجل لما فيه من أثر نفسي مرير في نفوس المتخلفين اولا، وفي نفوس القادة ثانيا.
13- وان مما تهدف إليه هذه الدراسة هو فتح الحوار بين المهتمين بموضوع علم النفس على اختلاف رؤيتهم له، ومشروع التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، ولا شك إن الرسائل الجامعية إلى جانب المقالات العلمية والكتب وسيلة من وسائل هذا التواصل، ولابد أن نصل في النهاية إلى صيغة مشتركة تكون لها شرعية جماعية وتعبر عن يقظة العقل المسلم وطموحه إلى الاستقلال الثقافي.

ورغم ان هناك من يقف من الفكرة موقف الرفض إلا إن ذلك ناشئ أساساً من القلق الذي لا تزال تعانيه الفكرة والمصطلحات المستعملة للتعبير عنها، غير ان العلماء والاخصائيين النفسيين المسلمين ينبغي ان يكونوا طرفاً واحداً في هذا المشروع والا يكونوا اطرافا متعددة، وتبقى رؤية كل واحد والاسم الذي يختاره مشكلات داخلية يتم حلها بالحوار العلمي والتواصل الأكاديمي.

إذن ... لابد للدعاة المخلصين والقادة الربانيين أن يشمروا السواعد لإنقاذ الأمة مما تعاني من الآلام والهموم التي أثقلت كاهلها، فالبناء النفسي هدفه تعميق الحوار، والدخول على النفس ومسح آلامها بمسحة الصدق والقول، وعنينا بذلك المخلص لدينه، والقائد الرباني، لأن هؤلاء إذا توكلوا على الله عز وجل فإن الصعب يصبح سهلاً مهما كان ذلك الأمر، ولان الهدف المنشود دائما هو (الله غايتنا)
وأخيرا هذا ما يسر الله لي كتابته وتدوينه في هذا الكتاب الذي اسأل الله أن يتقبله مني، وان يجعله خالصا لوجهه الكريم كما أساله تعالى أن ينفعني به وسائر إخواني إنه تعالى قريب مجيب. والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. الآثار النفسية للمبادئ الإسلامية، د.عبد الحميد محمد العيسوي أستاذ علم النفس– كلية الآداب، د. ت.
2. آفات على الطريق، د. السيد محمد نوح، ط1، دار الفرقان، 1413هـ1993م.
3. آفاق بلاحدود، بحث في هندسة الفن الإنسانية، د. محمد التكريتي، دار المنطلق، 1418هـ-1994م.
4. الأخلاق النظرية، لعبد الرحمن بدوي، ط1 وكالة المطبوعات الكويت – 1975م.
5. الأساس في التفسير، سعيد حوى، ط1، دار السلام، 1405هـ-1985م.
6. أساسيات علم النفس التربوي، د. محي الدين توق، د. عبد الرحمن عدس، مط جون وايلي وأولاده.
7. أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني شركة الرشد للطباعة والنشر.
8. أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، لعبد الرحمن حبنكة الميداني ط1.
9. الإسلام ضرورة عالمية، لزاهر عزت الزغبي، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر – 1971م.
10. الإسلام عقيدة وشريعة لمحمود شلتوت، ط4، دار الشروق، 1968م.
11. الإسلام في حياة المسلم د. محمد البهي ط 2. مكتبة وهبة- القاهرة 1973.
12. الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين، لمحمد الغزالي ط5، 1380هـ-1960م.
13. الإسلام والطاقات المعطلة، لمحمد الغزالي، دار الكتب - مصر 1383هـ1964م.
14. الإسلام وقضايا علم النفس الحديث، د. نبيل محمد تو فيق، الشروق- جدة - 1980م.
15. الإسلام ومشكلات الحضارة، لسيد قطب، مط عيسى الحلبي، 1962.
16. أصول علم النفس، د. احمد عزت راجح المكتبة المصرية الحديثة د.ت.
17. الاعتقاد والهداية الى سبيل الرشاد، البيهقي الشافعي، تحقيق احمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة، ط1، 1401هـ- 1981م.
18. الإعجاز الطبي في القرآن، د. السيد الجميلي مط اشبلية-بغداد.

19. الإعجاز العلمي في السنة النبوية، د. صالح بن أحمد رضا، مكتبة العبيكان، ط1، 1421هـ- 2001م.
20. أمراض العصر جمال ماضي أبو العزائم. د : ت.
21. الأمراض النفسية وعلاجها الروحي في الإسلام. د. عبد الستار أبي غدة، الكويت.د.ت.
22. الإنسان بين المادية والإسلام، لمحمد قطب، ط3 سنة 1957، مط عيسى الحلبي.
23. الإنسان ذلك المجهول، الكسيس كارليل، تعريب شفيق أسعد فريد، بيروت مكتبة المعارف.
24. الإنسان في القرآن، لعباس محمود العقاد، من الأعمال الكاملة، دار الكتاب بيروت– 1974م.
25. الإنسان من هو ؟ لقاسم حسين صالح، مط التعليم العالي – بغداد 1987م.
26. الإيمان بالله هو الطريق الى النفس المطمئنة د. لطفي الشربيني.د.ت.
27. بناء المجتمع الإسلامي ونظمه، دارسة في علم الاجتماع الإسلامي، د نبيل محمد السمالوطي دار الشروق جدة، 1988-1408 .
28. البناء النفسي للمسلم المعاصر د. محمد المهدي : د.ت.
29. تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد مرتضى الزبيدي تحقيق عبد الكريم العزباوي.
30. التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، الكتاب في النفس الإنسانية والمنظور الإسلامي محمد عز الدين توفيق ط2 دار السلام 1423-2002.
31. تحليل السلوك التنظيمي ، د. موسى المدهون، د. إبراهيم الجزاروي، دار العلم للملايين.
32. تراجم سيدات بيت النبوة (رضي الله عنهن) د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) دار الكتاب العربي-بيروت.
33. التربية في الإسلام.د. احمد الأهواني.ط 2، دار المعارف مصر.
34. التربية ودورها في تشكيل السلوك، مصطفى محمد الطحان ط1، 1423هـ-2002م.
35. التشريع الجنائي الإسلامي، مقارناً بالقانون الوضعي لعبد القادر عودة، دار الكاتب العربي-بيروت.
36. التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار المعارف 1963.
37. التفسير الإسلامي للتاريخ، د. عماد الدين خليل، ط2، 1978م.
38. تفسير البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الأندلسي دار الفكر1398هـ1978م.

39. تفسير البيضاوي،دار الفكر بيروت، 1416-1996، تحقيق عبد القادر عرفات.
40. تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر عاشور، الدار التونسية للنشر، 1973م.
41. تفسير الثعالبي، الموسوم الجواهر الحسان، منشورات الأعلمي-بيروت.
42. تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي المعروف بالخازن، دار المعرفة-بيروت.
43. تفسير الصنعاني، عبد الرزاق بن همام، تحقيق مصطفى مسلم، ط1، مكتبة الرشيد- الرياض-1410هـ.
44. تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب للإمام محمد الرازي فخر الدين ط3، دار الفكر – 1405هـ-1985م.
45. التفسير الفريد للقرآن المجيد، د. محمد عبد المنعم الجمال.
46. تفسير القرآن الحكيم، الشهير بتفسير المنار، محمد رشيد رضا، ط2، أعيد طبعه بالأوفسيت، دار المعرفة للطباعة والنشر.
47. تفسير القرآن العظيم، للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي، ط1، مكتبة هلال – بيروت – 1986م.
48. تفسير القشيري، المسمى لطائف الإشارات، لأبي القاسم عبد الكريم القشيري وضع حواشيه وعلق عليه عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، ط1، دار الكتب العلمية، 1420هـ-2000م.
49. تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ط1، مط البابي الحلبي 1365هـ-1946م.
50. التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي، ط4 مط الاستقلال القاهرة، 1388هـ-1968م.
51. التفسير الوسيط، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق.
52. تنوير الأذهان من تفسير روح البيان، لإسماعيل حقي البر وسوي، اختصار وتحقيق خادم الكتاب والسنة الشيخ محمد علي الصابوني، ط21409هـ1989م.
53. التوجيه والإرشاد النفسي، د. حامد عبد السلام، ط2، عالم الكتب – 1980م.
54. تيسير الكريم الرحمن من تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن السعدي، مؤسسة مكة للطباعة والأعلام.
55. ثقافة الداعية، د. يوسف القرضاوي، ومؤسسة الرسالة ط2 1399هـ-1979م.

56. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر– 1408هـ –1988م.
57. الجامع لإحكام القرآن ابو عبد الله محمد بن احمد القرطبي. مط دار الشعب.
58. جاهلية القرن العشرين، محمد قطب.دار الشروق.
59. جدد حياتك، محمد الغزالي، مؤسسة الخانجي.
60. الجواهر في تفسير القرآن الكريم، المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات، للشيخ سيد طنطاوي، مط البابي الحلبي، ط2، 1350هـ.
61. جولات في روضات الجنات، محمد رشيد العويد، ط4، دار ابن حزم 1420هـ-1999م.
62. الحاجات الاقتصادية في المذهب الاقتصادي الإسلامي، أحمد عواد محمود الكبيسي، ط1، مط العاني، 1408هـ-1987م.
63. الحرب النفسية من منظور إسلامي، د. أحمد نوفل، دار الفرقان 1407هـ1987م.
64. الحركة الإستشراقية، مراميها وأغراضها - د.رشيد العبيدي 1424هـ2003 مط أنوار دجلة، 1424ه – 2003م.
65. الحضارة الإسلامية أسسها و مبادؤها لأبي الأعلى المودودي، ط1، ترجمة عاصم حداد – بيروت.
66. حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية، وقواعد القانون الدولي، د. محمد عبد العزيز، مؤسسة الرسالة.
67. الحلال والحرام، د. يوسف القرضاوي، ط1، مكتبة وهبة،1396هـ1976م.
68. الحياة الاجتماعية في التفكير الاسلامي د. احمد شلبي دكتوراه من جامعة كمبردج، مباحث اجتماعية في نطاق الأسرة، وفي نطاق المجتمع وفي نطاق المال، ط2، مكتبة النهضة المصرية، 1973م.
69. خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، لمحمد قطب، دار الشروق بيروت ط7، 1982 م.
70. الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي مكتبة وهبة، ط4 1989م.
71. الخصائص المميزة لسيكولوجية الشخصية الإسلامية.د ماهر محمد عمر د.ت.
72. دراسات في سيكولوجية النمو، حامد عبد العزيز الفقي 1974-1975م، عالم الكتب القاهرة.
73. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، ط1، دار الفكر بيروت– 1983م.

74. دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، لأحمد بن عبد الحليم، تحقيق: محمد السيد، ط1، مؤسسة علوم القرآن 1404هـ.
75. ذخيرة علوم النفس.د. كمال الدسوقي. دار القلم.
76. الرحيق المختوم، صفي الدين المباركفوري، دار القلم-بيروت.
77. الرسول القائد للواء ركن محمود شيت خطاب، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ط2، 1960م.
78. روح الدين الإسلامي،عفيف عبد الفتاح طباره ط6، دار القلم، للملايين بيروت –1977م.
79. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة أبي الفضل شهاب الدين الآلوسي، دار الفكر.
80. زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج جمال الدين، ط1، المكتب الإسلامي 1385هـ-1965م.
81. السلام العالمي والإسلام، لسيد قطب، ط3، مكتبة وهبة.
82. سنن ابن ماجه، لمحمد بن يزيد القز ويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر- بيروت.
83. السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، د. عبد الكريم زيدان، 1980م- مؤسسة الرسالة.
84. سنن البيهقي الكبرى، لأحمد بن الحسين بن موسى مكة المكرمة 1414 1994 تحقيق محمد عبد القادر.
85. سنن الترمذي، محمد بن عيسى لأبي عيسى الترمذي السلمي تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير-اليمامة-بيروت، ط3، 1407هـ-1987م.
86. سنن النسائي،احمد بن شعيب لأبي عبد الرحمن النسائي مكتب المطبوعات الإسلامية- حلب 1406- 1986،ط2، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة.
87. سورة النور دراسة وتحليل، د. إسماعيل إبراهيم علي السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، 1423هـ-2003م.
88. السيرة النبوية، لابن هشام، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها مصطفى السقا، إبراهيم الابياري، عبد الحفيظ شلبي، دار الفكر-بيروت.
89. السيرة النبوية الصحيحة، محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، د. أكرم ضياء العمري، ط 1، مكتبة العبيكان الرياض1416 هـ-1995م.
90. شجرة الإسلام، لعبد الله دمبيا، ط1، 1401هـ-1981م.
91. الشخصانية الإسلامية، د. محمد عزيز الحبابي، ط1، دار المعارف الجامعة – 1969م.

92. الشخصـية الإنسـانية فـي التـراث الإسـلامي، د. نـزار العـاني ط1 دار الفرقان– عمان.
93. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل ابن حماد الجوهري تحقيق. احمد عبد الغفور عطار. بيروت ط3، 1404هـ.
94. الصحاح في اللغة والعلوم تجديد العلامة الجوهري – الحضارة العربية – بيروت.
95. صحيح ابن حبان لمحمد ابي حبان ابو حاتم تحقيق شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت ط 2، 1414 –1993.
96. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق د. مصطفي ديب البغا، دار بن كثير بيروت، ط3. 1407 –1987.
97. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، إحياء التراث العربي-بيروت، د.ت.
98. صناعة الحياة، لمحمد أحمد الراشد، ط1، الإمارات العربية1410هـ1989م.
99. الصورة الفنية في المثل القرآني، د. محمد حسين علي، دار الرشيد – العراق – 1981م.
100. عالمية الدعوة الإسلامية، د. علي عبد الحليم، ط4، 1412هـ-1992م، دار الوفاء للطباعة والنشر.
101. العبادة في الإسلام، د. يوسف القرضاوي، الدار المتحدة-مؤسسة الرسالة، ط20، 1413هـ-1992م.
102. العبادة وآثارها النفسية والاجتماعية، نظام الدين عبد الحميد.مكتبة القدس بغداد.
103. العقيدة الإسلامية وأسسها لعبد الرحمن حبنكة الميداني، ط2 دار القلم، 1399 هـ-1979م.
104. العلاج النفسي من منظور إسلامي، لهيام المفلح، د.ت.
105. العلاقات الإنسانية، د. سعيد عبد الحميد مرسي، ط1 القاهرة : 1985م
106. علاقة الوالدين بالطفل، وأثرها في جنح الأحداث مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة-1970م.
107. علم النفس الاجتماعي د. حامد عبد السلام زهران، دار الكتب –القاهرة، 5، 1984.
108. علم النفس القرآني والتهذيب الوجداني، د. عبد العلي الجسماني، ط1، الدار العربية للعلوم-بيروت، 1416هـ-1996م.
109. علم النفس المعاصر د.حلمي المليجي، دار المعرفة الجامعية ط 5-1984.

110. علم النفس وتطبيقاته التربوية والاجتماعية د. عبد العلي الجسماني. مط. الخلود ط1، 1404 –1984.
111. علو الهمة في إصلاح الأمة، د. سيد بن حسين العفاني، ط1، مؤسسة الرسالة، قدم له مجموعة من الشيوخ، 1417هـ-1997م.
112. عناصر القوة في الإسلام، سيد سابق، ط1، مكتبة وهبة، 1382هـ-1963م.
113. الفائق في غريب الحديث، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق علي محمد ط2-دار المعرفة-لبنان.
114. فتح الباري بشرح صحيح البخاري لاحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني دار المعرفة بيروت 1379، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين خطيب.
115. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ط1، دار ابن حزم، 1421هـ-2000م.
116. فصول في التفكير الموضوعي، د. عبد الكريم بكار، دار القلم، ط1، 1413هـ – 1993م.
117. الفقه الحركي في العمل الإسلامي المعاصر، دارسة تأصيلية نقدية موسى إبراهيم الإبراهيم، ط1، دار عمار، 1418هـ-1997م.
118. فقه السيرة، د. محمد سعيد رمضان، ط7، مكتبة الشرق بغداد، ط7.
119. فقه السيرة النبوية، منير محمد الغضبان، ط1، دار الوفاء1417 هـ1997م.
120. فقه العبادات، حسن أيوب، ط6، دار الندوة، 1403هـ-1983م.
121. فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف د. عبد الجواد سيد بكر، ط1، دار الفكر العربي –1983.
122. فن إدارة المعركة في الحروب الإسلامية، لفرج محمد مجمع البحوث الإسلامية للكتاب، 1391هـ-1972م.
123. فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر، د. عماد الدين خليل، مؤسسة الرسالة، 1397هـ-1977م.
124. في سبيل موسوعة نفسية (السلوك) د. مصطفى غالب، دار ومكتبة وهبة 1998م.
125. في ظلال القرآن، سيد قطب، ط7، دار الشروق 1318هـ-1978م.
126. في النقد الإسلامي المعاصر د. عماد الدين خليل ط1، مؤسسة الرسالة 1394-1972.
127. القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، دار الجيل-بيروت-لبنان.

128. القرآن الكريم، رؤية تربوية، لزهير محمد شريف كحالة، ط1، دار الفكر - عمان-الأردن، 1402هـ-1982م
129. القرآن وعلم النفس، د. أحمد فايق. د. محمد عبد القادر، مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – 1972.
130. القرآن وعلم النفس، د. محمد عثمان نجاتي، ط1، 1402هـ-1982، دار الشروق.
131. القرآن والمجتمع د. محمد البهي، ط2، 1406هـ-1986م.
132. قضايا في الفكر الإسلامي المعاصر، د. محسن عبد الحميد، ط1، 1422 هـ –2001 م.
133. قياس الالتزام الديني، وعلاقته بأساليب الحياة د. عبد الكريم جمعة 1417هـ-1996م.
134. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار الفكر- بيروت.
135. الله مع أعماق النفس الإنسانية، د. ضياء الدين الجماس، ط1، مركز نور الشام للكتاب.
136. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر ط1- بيروت.
137. ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، للسيد أبي الحسن علي الحسني الندوي دار ابن كثير ط1 دمشق - حلب 1420.- 1999.
138. مبادئ الطب النفسي، د. إبراهيم كاظم العظماوي، ط1، 1984م.
139. المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، لمحمد أبو زهرة، ط2 دار الفكر، 1390هـ-1970م.
140. مجموع فتاوى ابن تيمية، الرباط-مكتبة المعارف-
141. مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، دار الكتاب العربي.
142. مختصر منهاج القاصدين، لأحمد بن عبد الرحمن المقدسي، مكتبة الشرق الجديد-بغداد.
143. مدا رج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين للإمام العلامة أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (إبن قيم الجوزية) ط2، دار الكتب العلمية 1408هـ-1988م.
144. المدخل إلى علم النفس، د. عبد الله عبد الحي موسى، ط3، مكتبة الخانجي– القاهرة.

145. مدخل في التصور الإسلامي للإنسان والحياة، عابد توفيق الهاشمي، دار الفرقان ط1، 1402هـ-1982م.
146. المرشد في علم النفس الاجتماعي، د. عبد الحميد محمد الهاشمي ط1 المطبوعات الجامعية – الجزائر 1984 م.
147. المسار، محمد أحمد الراشد، ط3، مؤسسة الرسالة.
148. مسند الإمام أحمد بن حنبل لأحمد بن حنبل أبي عبد الله الشيباني مؤسسة قرطبة-مصر، د.ت.
149. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أشرف على تحقيقه الشيخ شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1، 1419هـ- 1999م.
150. معالم التنزيل الحسين بن مسعود الفراء البغوي، تحقيق خالد العك، ومروان سوار، دار المعرفة بيروت، ط2، 1407هـ-1987م.
151. معاني القرآن، للنحاس، ط1، مكة المكرمة، تحقيق:محمد علي الصابوني.
152. معجم علم النفس والطب النفسي إعداد جابر عبد الحمد جابر، دار النهضة العربية، القاهرة، ط1، 1989م.
153. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث - القاهرة، 1422-2002م.
154. معجم مقاييس اللغة، لابي الحسين احمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون مكتبة الخانجي، 1402 –1981.
155. مفتاح دار السعادة،ومنشور الولاية، لابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية.
156. مقومات التصور الإسلامي، سيد قطب، ط1، دار الشروق 1406هـ1986م.
157. من التبعية الى الأصالة في مجال التعليم والقانون أنور الجندي دار الاعتصام 1977.
158. المنطلق محمد احمد الراشد، دار المنطلق 1412هـ-1991م.
159. من الكائن إلى الشخص، د. محمد عزيز الحبابي، دار المعارف –بمصر
160. المنهج التربوي للسيرة النبوية (التربية الجهادية) لمنير محمد الغضبان، ط1، مكتبة المنار، 1411هـ-1991م.
161. منهج التربية الإسلامية أصول وتطبيقاته، د. علي احمد مد كور، ط1 مكتب الفلاح – الكويت –1987م.
162. منهج التربية الإسلامية، لمحمد قطب، ط3 دار الكتاب الإسلامي.
163. المنهج الحركي للسيرة النبوية، لمنير محمد الغضبان، ط3، مكتبة المنار الأردن، 1411هـ-1990م.
164. منهج الفن الإسلامي، محمد قطب.دار الشروق.

165. منهج القرآن في تربية المجتمع، د. عبد الفتاح عاشور، ط1، دار الجيل للطباعة، 1399هـ-1979م.
166. منهج القرآن في التربية، لمحمد شديد، ط1 مؤسسة الرسالة.
167. منهجنا التربوي، لعبد الحافظ الكبيسي، دراسة موضوعية في رحاب التربية الإسلامية، ط1، 1407هـ-1987م.
168. الموسوعة في سماحة الإسلام، لمحمد الصادق عرجون، مطابع سجل العرب – مصر، 1972م.
169. النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن، د. محمد عبد الله دراز ط2، 1390هـ-1970م.
170. نحو مجتمع إسلامي، لسيد قطب، دار الشروق.
171. نظرات في القرآن، لمحمد الغزالي، ط2 – مكتبة المثنى – بغداد 1380هـ1961.
172. النفس أمراضها وعلاجها في الشريعة الإسلامية د. محمد القفي، مط محمد علي صبيح، 1390هـ-1970م.
173. النفس انفعالاتها وأمراضها وعلاجها، د. علي كمال، ط3، دار واسط، 1983م.
174. هذا الدين، سيد قطب، ط4، مكتبة وهبة.
175. هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس د. ماجد عرسان الكيلاني الدار العالمية، 1416هـ-1995م.
176. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لعلي بن أحمدالوا حدي، تحقيق: صفوان عدنان داو ودي، ط1، دار القلم-بيروت-1415هـ.
177. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لأبي الحسن علي بن أحمد، تعليق الشيخ عادل أحمد، علي محمد، ط1، بيروت- 1415هـ-1994م.

الرسائل الجامعية

1. الشخصية الإنسانية في القرآن الكريم، دراسة موضوعية بلاغية، د. سعيد خضر،رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب، بإشراف محسن عبد الحميد 1424-2004م.
2. العقيدة الإسلامية في القرآن الكريم ومناهج المتكلمين، د. محمد عياش مطلك الكبيسي.رسالة دكتوارة مقدمة إلى مجلس كلية العوم الإسلامية بإشراف د. محمد رمضان عبد الله. سنة 1994.
3. منهج القرآن في تطوير المجتمع، أطروحة مقدمة إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية-جامعة بغداد، د. محمد صالح عطية بإشراف د. محسن عبد الحميد جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه، 1411هـ-1991م.

المجــــلات :

1. الاظطرابات النفسية عند الام، د0 زهير المختار مجلة الهلال الأحمر العراقي العدد 418 –لسنة 1990.
2. مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية السنة الخامسة- تعريفات الصحة النفسية في الإسلام د. كمال إبراهيم مرسي العدد الثاني عشر،1409-148.
3. مجلة الوعي الإسلامي لمحمد علم الدين، علم النفس وأثره في التربية الإسلامية السنة 11، 1311.